

الدكتور
محمد المختار ولد أباه

موكب السيرة النبوية

رسول الهجرة - في بيوت النبي
المهاجرون الأولون - الأنصار

بإشراف
إدارة: إحياء التراث الإسلامي
بدولة قطر

نشر وتوزيع
دار الثقافة

الدوحة - ص.ب. ٣٢٣

موكب السيرة النبوية

رسالة الهجرة - في بيوت النبي
المهاجرون الأولون - الأضداد

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٩٨٥ هـ - ١٩٨٥ م

دار الثقافة - قطر - الدوحة

ت: ٤١٣١٨٠ / ٤١٣٤٧١

ص ب ٣٢٣ تلکس ٤٣٥٤

مكتبة الأنصاري
 الرقم العام : ١٧٦٨
 الرقم الفني : ٣٠٢٤/٢١١
 تاريخ الزود : ١٤٠٨/٥/٦

مكتبة الشيخ عبد الله الأنصاري
 الرقم العام :
 رقم التصنيف :

مكتبة الشيخ عبد الله الأنصاري العامة
 رقم التصنيف :
 الرقم العام : ٣١٢٦
 الرقم الفني : ٢١٨٢
 جهة الفهرسة :

موكب السيرة النبوية

رسول الهجرة - في بيوت النبي
 المهاجرون الأولون - الأنصار

مكتبة الشيخ عبد الله الأنصاري العامة
 الرقم العام : ٣١٢٦
 رقم التصنيف : ٢١٩ و ٢٢٣

الدكتور
 محمد المختار ولد أباه

أستاذ مبرز - دكتوراه دولة في الآداب
 مستشار اليونسكو في الشؤون الثقافية
 للدول العربية
 المغرب

٢١٩
 ٢٢٣

بإشراف
 إدارة: إحياء التراث الإسلامي
 بدولة قطر

٨٢٤

دار الثقافة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الناشر

الحمد لله فتح أبواب عرفاته لعباده المؤمنين، وحقق الاطلاع للباحثين عن الصدق واليقين، وألهم من أحب صدق الحديث ولو أقسم علي لجعله من الصادقين، وصلاة الله وسلامه على سيد المرسلين وعلى آله وأصحابه أجمعين . . . وبعد

فان من دواعي سعادة المؤمن في حياته أن يتتبع سيرة النبي ﷺ وأصحابه الكرام إذ أن لنا في رسول الله قدوة حسنة كما وضع لنا ذلك كتاب الله العزيز، وها هو القرآن ينادي أيضاً: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ وقال الله تعالى ﴿قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾، وقال جل ذكره: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾.

لقد أحيا أصحاب محمد ﷺ سنته وشيدوا شريعته ومنهجه وبنوا صرح الإسلام وأعلوا مناره، فأوجبوا علينا نهج هذا الصرح العظيم الذي أرسى قواعده رسول الإسلام من وحي الله تعالى في كتابه العزيز فواجبنا أن نتبع حياة محمد ﷺ ودعوته وجهاده وهجرته وما كان عليه مع أهله وعشيرته من سنن عالية، وصفات حميدة، اصطفاه الله تعالى لرسالته وجعل كل ذلك منهجاً وترثاً لأمته

المرحومة التي هي خير الأمم: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾
ومن هنا كان لزاماً علينا أن نراقب كل حقيقة يتحدث بها عنه في
حياة رسول الله ﷺ وسيرته وآدابه وفضائله مع أهله، فلقد كان
عليه الصلاة والسلام كما حدثت عنه أم المؤمنين، عائشة رضي الله
عنها؛ كان خلفه القرآن وفي أثناء ما كنا نبحت ونسأل عن حقائق سيرة
الرسول عثرنا على هذا المخطوط بعنوان (موكب السيرة النبوية) الذي
قام بتأليفه وتنسيقه العالم الجليل الدكتور الشيخ محمد المختار ولد أباه،
وألّفه رسالة شافية وافية في مجالها بالرغم من صغر حجمها ولقد
استهدف فيها المؤلف حقائق الأمور في كل ما تحدث فيه واستند إلى
مراجع شافية.

وحيث أن مثل هذا الكتاب الصغير، إذا اطلع عليه القارئ
سوف يبحث نفسه لإكمال قراءته واستقصاء عبارته وفهم شوارده،
ولا شك أن طبيعة الإنسان مجبولة على حب الاختصار والإيجاز،
فمن هنا دفعتنا أطماع نيل الأجر والثواب لطبع هذا الكتاب فيها هو
أيها القارئ الكريم بين يديك لتقتبس منه شوارد الوقائع من سيرة
النبي ﷺ وتكتسب آداب الحياة من أخلاقه وشمائله مع أهله
وعشيرته ولقد أفلح من اقتدى برسول الله ﷺ في معاشرته مع أهله
وذويه.

هذا ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يتفح به وبأمثاله من التراث
الذي نسعى في إيجاده وإحيائه ليكون لنا ذخراً عند الحساب يوم
القيامة وخير ما يقدمه الإنسان: علم يتفح به ويغتمم أجره بعد
رحيله إلى الآخرة على حد قول الرسول ﷺ: (إذا مات ابن آدم
انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد
صالح يدعو له).

وكما نبتهل إلى الله تعالى أن يجزل الأجر والثواب لمؤلفه ولمن
حققه وراجعته ولمن قام بنشره وطبعه، والله لا يضيع أجر المحسنين .
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، سبحان
ربك رب العزة عما يصفون وسلام المرسلين والحمد لله رب
العالمين.

خادم العلم

الدوحة غرة ربيع الأول / ١٤٠٥

عبد الله بن ابراهيم الأنصاري

الموافق ٢٣ / ١١ / ١٩٨٤ م

مدير إدارة إحياء التراث الإسلامي
دولة قطر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقريظ

هذا الكتاب لو يباع بوزنه ذهباً لكان البائع المغبوناً لقد طالعت هذا الكتاب من ألفه إلى يائه فوجدته فريداً في نوعه، بليغاً في نظمه، حاوياً أهم ما صنف من أجله، بإيجاز غير مغل، وعبارة غير مقل، والحقيقة أن المؤلف برع في جمعه بترتيب مدهش لم يسبق إلى مثله، وعبارة مقتدر يظهر أنه خاض بحور الفن منذ نعومة أظفاره.

وإن المكتبة الإسلامية لفي حاجة ماسة إلى أن يأخذ هذا الكتاب مكانه بين رفوفها، وما أحوج المؤتمر الذي يعقد دورياً في السيرة النبوية إليه وإلى أمثاله وإلى حضور مؤلفه في مداولاته.

ولقد علقت على بعض عباراته، أثناء مروري عليه، وقلما ينجو مؤلف من هفوة أو جواد من كبوة. قاله
أحمد الشنقيطي

وليس من الغلو في القول إذا قيل إن هذا الكتاب نبراس في فته. فالله تعالى أرجو أن يعظم المثوبة لمؤلفه وناشره ودارسه، ومن اعتنى بشيء مما من إحياء سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم والإشادة بصحبه الأخيار من المهاجرين والأنصار، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أحمد الشنقيطي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

«في موكب السيرة النبوية» مشاهد يجلو للمؤمن أن يراها وأن يتصفحها. وصفحات يطيب له أن يقرأها، وأن يعيد قراءتها. آيات نزلت من السماء إلى الأرض لتزيد أولي الألباب إيماناً و يقيناً ومواقف تذكري العواطف وتبعث على إكمال مكارم الأخلاق، وحكمة سنت شرعة ومنهاجاً لتحقيق الانسجام بين العاطفة والعقل.

نرى من خلال هذه المشاهد الأسباب التي امتدت بين الرب والعبد، بين الخالق والبشر. فنرى كيف بعث الله سبحانه بشراً رسولاً، وأوحى إليه كلامه بلسان عربي مبين، وأمره أن يدعو إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة، ونرى كيف واجه هذا الرسول رسالته، وكيف آمن بها، كيف يحمل ثقل القول الذي ألقى عليه، وكيف واجه المصاعب التي اعترضته، آمن محمد بأن الله معه، يسمع ويرى. يأمره أن لا يستئشس، وأن لا يضيق صدره بالرسالة، وينزل عليه الفرقان على مكث ليثبت فؤاده، ويحذره من الجهل والشرك، ويقول له حينما يتضابق من تكذيب قومه «إنما الآيات عند الله، وأنه كرسول، لا يستطيع أن يأتي بآية إلا بإذن ربه، ولو ابتنى نفقاً في الأرض، أو سلماً في السماء، ووعده بالعصمة، وعصمه من الناس ووعده بالنصر، ونصره على أهل الشرك.

لقد أردنا في هذه الصفحات أن نستعيد من ذاكرة التاريخ، في فصول موجزة مواقف حياة رسول الهجرة، ثم حاولنا أن نبسط القول عن بيوت النبي، ونعني بذلك الحديث عن أمهات المؤمنين، وكيف كانت عشرة الرسول هن أو الظروف التاريخية التي أحاطت بدخولهن في بيوته، راجين بذلك أن نتفهم الصلة بين الحياة البشرية والحياة النبوية.

ثم نتقل إلى الكلام عن السابقين من صحابته. عن أولئك الذين أخرجوا من ديارهم يتبعون فضلاً من ربهم ورضواناً، وهم المهاجرون الأولون، ثم عن الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم، ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا. وهم الأنصار، الذين ظهرت على أيديهم معجزة الإسلام، وتحققت فيهم مواعيد الكتاب الذي لا ريب فيه. ها هم هؤلاء، الذين أردنا أن نستعيد ذكرياتهم بعد أربعة عشر قرناً من حياتهم، لعلنا بهذه الذكريات ندرك أمثلة من حياة البشر، عاشها أصحاب الرسول من مهاجرين وأنصار. بين يدي الله ورسوله، وينظر الله إلى أعمالهم ويعلم ما في قلوبهم، فيرضى عنهم ويشيهم الفتح القريب، راجين أن نكون من ﴿الذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا، ربنا إنك رؤوف رحيم﴾.

- رسول الهجرة

إنه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، صفوة بني هاشم بن عبد مناف، وهم صفوة قريش، وقريش من خيرة كنانة، وكنانة من خيرة العرب.

نشأ محمد يتيمًا من أبيه، رضيعاً في بني سعد بن بكر، وما هي إلا سنوات ست حتى فقد أمه، آمنة بنت وهب، فكفله جده عبد المطلب

بن هاشم ستين، وبعده احتضنه عمه أبو طالب حتى بلغ سن الرشد. في كل هذه الفترات كان بأعين ربه، يرعاه في حله وترحاله، يؤويه في خلواته، فحجب إليه الخلاء والتحنث، والفكر في ملكوت السموات والأرض.

بدأ الهجرة الأولى إلى الله وهو في ريعان شبابه، فهجر مجالس اللهو والمجون التي اعتادها فتيان أهل مكة، وظل مواصل التعبد دائم الفكرة، متعبداً في عمله صادقاً في نفسه، أميناً في قوله وفعله.

هذا فضل ربه عليه الذي اصطفاه من أمته وهداه، شرح صدره، ورفع ذكره، وأعطاه حتى رضي. وهذا فضل الله علينا إذ أرسله رحمة للعالمين. فاصطفاه هو هجرته الثانية التي منها يؤدبه ربه ويحسن تأديبه. يلقي عليه القول الثقيل، وبأمره أن يصدع بأمره ويعده أنه سيكفيه الأعداء والمستهزئين وأنه سيعصمه من الناس. أمره أن يصبر لحكم ربه الذي ما ودعه وما قلاه، وأن يصبر نفسه مع الذين يدعون ربهم بالعداوة والعشي يريدون وجهه. وأن يصطبر على الصلاة. بأمره أن لا يستخفه عرض الحياة الدنيا، وأن ما عند الله خير وأبقى. يقص عليه قصص الرسل ليعتبر بما لا قوة من إذابة وتكذيب. ثم يأتي نصر الله، ولينصرن الله من ينصروه.

في هذه المدة أسلم نفسه إلى ربه، فوجهه ربه إلى أمته، فكان إسلامه هو ما نعني بهجرته الأولى، وقبوله أن يهب نفسه لأمته، هو ما نعني بهجرته الثانية.

وهذه هي هجرته الثانية وهي تتجه إلى أمته. توجهه بقلبه وبفكره إلى الله ثم وجهه الله إلى الناس بشيراً ونذيراً وداعياً إليه بإذنه وسراجاً منيراً.

وآمن محمد برسالته، وتحمل أعباءها وجاهد في تبليغها. فأمر قومه أن لا يعبدوا إلا إلهاً واحداً، رب السموات والأرض، ونهاهم عن الشرك وعن قتل أولادهم، وعن الفواحش ما ظهر منها وما بطن. فتعرض لسخرية المستهزئين وللإذاية من كل عتل وزنيم، فلم يشأوا له عزماً، ثم حاولوا إغراءه بالملك والمال. فأخطأوا الرأي والتقدير حيث إنهم لو وضعوا الشمس في يمينه والقمر في شماله، لما تحلى عن رسالته.

حرص على هداية قومه، وعز عليه عتتهم، رأفة منه ورحمة بهم. فأندرهم، وقال لهم إنه لن يغني عنهم من الله شيئاً. فتمادوا في غيهم وطفيانهم، واعتدوا على المستضعفين من أصحابه، واشتدت رأفته بالمستضعفين منهم، المغلوبين على أمرهم في مكة مثل آل ياسر، وبلال بن رباح، وخباب بن الأرت. ولقد شاركهم في محنتهم وذكر أنه ظل أياماً في مكة هو وبلال لا يطعمون إلا ما يواريه إبط بلال.

دعا قومه ليعيدوا الحياة إلى كل مؤودة، والعدل والإنصاف إلى كل مظلوم، وليحفظوا دماء الناس، وأنسابهم وأموالهم وأعراضهم. وليقضوا على حمية الجاهلية، وليستعضوا عصيبة الجاهلية بأخوة الإسلام.

أما هجرته الثالثة إلى المدينة، فإنها ترمز إلى استبدال انتمائه إلى الوطن المادي بانتمائه الديني. لقد نشأ محمد في مكة، فيها أهله وقومه، أهل مجد وشرف، عرف شعابها وهضابها، وعليه أشرقت فيها أنوار الوحي. وفيها بيت الله وحرمه، وفيها المناسك التي تركها إبراهيم ومن تبعه من الحنفيين. فارتبط بها الرسول ارتباطاً روحياً وإنسانياً، غير أن قاطنيتها حيث لم يستجيبوا لدعوة الإسلام، لم يحافظوا على صلوات الوطنية بينهم وبين الرسول. فكان لا بد أن يغادر الرسول مكة،

ليؤسس دولة الإسلام بالمدينة. فأظهر الله بذلك، أن دين الإسلام ليس وقفاً على بلد، ولو كان هذا البلد هو مكة التي فيها أول بيت وضع للناس، بيت الثابة والهدى والأمن. وفيها المقام الأسمى لأبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام. وأظهر الله أن دين الإسلام ليس وقفاً على قبيلة، ولو كانت القبيلة هي قريش التي عزت بمكانها من بين العرب وشرفت بسقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام. فاختر الله مدينة أخرى غير أم القرى، لتكون مأوى الرسول ودار الهجرة ومنطلق الإسلام. واختار قبيلة أخرى لتكون أنصاراً لله ولرسوله.

هذه هي الهجرة التي برهنت على أن الإسلام ليس مكياً ولا قرشياً، وإنما هو دين الله الذين ارتضى للبشرية جمعا. وهذا هو الرسول الذي اختاره الله ليكون واسطة بين الله والناس عامة، وكانت أهليته لهذه الرسالة تفيض استعداداً فطرياً هيأته العناية الإلهية له، فوجه قوة ثبته الله بها على الإيمان، وأخلاقاً فريدة جعلت من رسول الإسلام نبي الرحمة والرفقة. ورسول الوفاء والمهد.

وهناك استطاع أن يضرب المثل الأعلى في الصدق والوفاء، وفي الرفقة والرحمة، ها هي بعض أخلاقه التي أردنا أن نوجز فيها القول.

إنه بعث ليتمم مكارم الأخلاق، وقد قالت عائشة عنه إن خلقه القرآن وقال عنه القرآن ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾.

إنه لم يك إلا بشراً رسولاً، بشراً يأكل الطعام ويمشي في الأسواق. لا يتميز عن أصحابه بشعار أو أمانة، يجلس بين أصحابه مثل ما يجلسون، ويتعجب مما منه يتعجبون، ويضحك مما منه يضحكون، يأكل على الأرض ويشرب قائماً أو قاعداً، يخدم نفسه بنفسه، يعلف الناضح، ويحلب الشاة، ويخصف النعل، ويرقع الثوب،

ويعين الخادم ويأكل معه، ويشتري بضاعته من السوق ولا يقبل لأحد أن يحملها عنه. يعود المريض، ويلبي دعوة من دعاه، ويجلس حيث انتهى به المجلس. عمل بيده الكريمة في بناء مسجد المدينة، وفي حفر الخندق، واحتطب مع أصحابه لكيلا يتميز عنهم بشيء، ونهى أصحابه أن يقوموا له وأن يعظموه مثلما فعلت النصارى بالمسيح ابن مريم، وإذا رأى من أحدهم ما يوحى بالخوف منه زجره قائلاً: «إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد». وقد تعرضه ذات الحاجة في طريقه فيقول لها اجلسي في أي طريق شئت اجلس إليك.

هكذا كان محمد، عبد الله ورسوله، كرجل، وكنبي. مبيناً لنا الفروق بين النبوة من جهة وبين الكسروية والقيصرية من جهة أخرى، ومعطياً أعلى الأمثلة لانسجامه المطلق في حدود البشرية المثلى.

فلقد كان وفاؤه لهجرته إلى أمته وفاء كاملاً من يوم رسالته إلى يوم شفاعته هداهم سواء السبيل في حياته، وترك بينهم القرآن، وبين لهم شريعة الحق، فظل بعد وفاته نبزاً لهم. يرد على تحياتهم وهو في قبره، ويتقبل الله صلاتهم عليه.

ثم امتدت رأفته إلى كل ضعيف، فدعا الله أن يحييه مسكيناً، وأن يميت مسكيناً، وأن يحشره في جملة المساكين. وعرف ضعف النساء، فاستوصى بهن خيراً، واعتنى كل العناية بالأيتام وقارن بين مقامه في الجنة ومقام كافل اليتيم، ويروى أنه مر على صبية في يوم عيد فوجدهم أحدهم كئيباً عرياناً فحن له، وألبسه الجديد، وقال له أما ترضى أن أكون لك أباً وعائشة أمماً. كان يسمع بكاء الصبي في الصلاة - وفيها قرّة عينه - فيخفف منها رفقاً به وبأمه. واستنكر معاملة الأرقاء، ونهى عن ندائهم بالعبد والأمة، وأمر أن يسموا بالفتيان والفتيات. وسماهم

إخواناً، وكانت آخر وصية لأمته: «الضلاة وما ملكت أيمانكم».

ومن الضعفاء الذين شملتهم رأفته وشفقته، المذنبون من أمته. وهذا يفسر لنا حديث شفاعته وحرصه على أن لا يتعجل بدعوته مثل ما فعل غيره من الأنبياء. تعجل كل نبي دعوته واختبأ محمد دعوته شفاعته لأمته. ليست شفاعته للمتقين ولكنها للمذنبين، الخطائين الثلوثين. لأهل الكباثر، تلك الشفاععة التي استحي منها آدم حين ذكر ذنبه، وأشفق منها نوح حين سأل ما ليس له به علم، وأعرض عنها موسى لما ذكر قتله للنفس، وأحالها عيسى إلى محمد. فوقع محمد ساجداً، وأمره ربه أن يرفع رأسه ليقول فيسمع، وليسأل فيطاع، ويشفع فيشفع، وتكرر شفاعته حتى لم يبق إلا من حبسه القرآن.

لقد شملت رأفته المسلمين مستضعفين كانوا أو عصاة وغيرهم، فلم يرض أن يدعو على سكان الطائف من ثقيف، وشدد على ظلم أهل الذمة، وبرىء إلى الله مما فعله خالد بن الوليد في بني جذيمة في غزوة الفتح، وصفح عن اليهودي الذي نال منه ومن بني عبد المطلب بين يديه.

ولو شاء الله لجمعهم على الهدى، والله يهدي من يشاء.

لم تقتصر رافة محمد على بني الإنسان، بل إنها تناولت كل ما هو حيوان ونبات، وتناولت الكون الذي يسبح بحمد الله ولو كنا لا نفقه تسبيحه، فهي عن قطع الشجر، وأمر باحترام حياة كل نفس حية، وحرمة إحراق الحيوان بالنار أو أن يجعل غرضاً في الرماية، ونهى عن المثلة به، وتشويه خلقه بالسماط، ثم دعا إلى استعماله برفق وإحسان، حتى في ذبحه، وأنكر أن تستعمل الدواب كما تستعمل الكراسي، أو أن يكون الراكب عليها يستفزها كالشيطان، كما نهى عن قتل كل ذي روح عبثاً.

هذه كانت أوامره ونواهيه، وتلك كانت عظاته، فوعد بالأجر من سقى كل ذي كبد رطبة. وذكر أن بغيّاً دخلت الجنة جزاء أن سقت كلباً يلهث عطشاً، وذكر أن امرأة دخلت النار بسبب هرة حبستها فلم تطعمها حتى ماتت جوعاً وعطشاً.

إن مثاليته الأخلاقية، جعلت لنا فيه الأسوة المثل، وألزمنا بطاعته التي أمرنا بها الله لننجو من الشرك بخالق الأكوان، لأنه جحود للعقل، والعقل أصل فضيلة الإنسان، ومفرقة بين الحق والباطل. وحرص أن يجنبنا في شريعته الضرر والضرار، لأنه بالمؤمنين رؤوف رحيم. لقد ظهرت رأفته بنا في اختيار أيسر الأمور، ورفع الحرج واجتناب الإكراه، وفي المعاملات بين علل المحرمات، وحكمة الفروض والواجبات، فالربا حرام لأنه وسيلة ضغط القوي على الضعيف، والصدقات واجبة لأنها طريق ير وإحسان من الغني للفقير، ويمحق الله الربا ويربي الصدقات. والصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة. والكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار. والظلم شر في نفسه، والعدل خير في نفسه، والفواحش مظهر انحطاط البهائم، والعفة مظهر الكرامة الإنسانية.

هكذا كانت طريقه في الحلال والحرام، وكلاهما بين وطريقه واضح.

وعرف محمد رسول الله عليه الصلاة والسلام أن الدين صعب، ولن يشاده أحد إلا وغبه، فأمرنا أن نسدد وأن نقارب، ونهانا عن المواصل، وطلب منا أن نجتنب نواهيه، وأن تأتي من أوامره ما نستطيع. فارتفع عن أمته الخطأ والنسيان وما استكروها عليه، كما بلغه ربه، أنه ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾ وأوحى إليه أن يدعو بقوله:

﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به، واغفر لنا وافرحنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾.

لقد اقتضت الحكمة الإلهية أن لا يؤمن بمحمد قومه، وأن لا يستجيبوا لداعي الحق والرشاد، فأذوه في داره، وحاصروا أهله في الشعب، وفتنوا المستضعفين من أصحابه، وبعد الهجرة أذن الله في قتالهم، دفاعاً عن النفس والحق، فكانت غزواته وسراياه رداً على سلسلة من الاعتداءات المعروفة، فقبل وقعة بدر حاول المسلمون استرجاع بعض حقوقهم، ففانتهم القافلة، وأدركهم جيش قريش بعد أن أبى أبو جهل أن يعود إلى مكة إلا بعد أن يسمع أغاني القينات بعد هزيمة محمد وأصحابه، ولكن قضى الله أمراً كان مفعولاً، انهزمت قريش، وانتصر رسول الله، ولم يسمع أبو جهل ما يطربه.

وفي أحد وفي الأحزاب، هاجته قريش في دار هجرته، وألّبت عليه قبائل العرب واليهود. يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون.

وغدرت بنو قريظة وبنو النضير عهدهم وهم يدعون أنهم يؤمنون بالله وأنهم أوتوا نصيباً من الكتاب، وكتب الله عليهم الجلاء وعذبهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب أليم.

وتمادت قريش في غيها، فمنعت من الحج إلى بيت الله، واستمرت في فتنة المسلمين في دينهم - والفتنة أكبر من القتل - ثم قبلت العهد في صلح الحديبية، وعادت فنقضته، فأخلفوا الموعد وقتلوا المسلمين ركعاً وسجداً. ثم كان الفتح الأكبر في مكة وفي حنين، غير أن هذا الفتح لم يستهدف قيصرية ولا كسروية، وإنما أراد أن تكون كلمة الله هي

العليا، وأن يظل الرسول المجاهد، والأب الحنون لجميع المسلمين، حتى يلتحق بالرفيق الأعلى ودرعه مرهونة عند يهودي في حفنات من الشعير يطعم منها أهل بيته.

كل هذا السلوك سواء منه ما كان بشرياً أو روحياً يعطينا المظاهر الثلاثة للهجرة النبوية، لقد كان مظهرها الأول الانقطاع إلى الخالق، وثانيها اصطفاؤه كرسول إلى البشرية، وثالثها التحول المادي من مكة إلى المدينة، وهو رمز جهاد الرسول في سبيل كلمة الحق وتحقيق العدل وبيت الإحسان. وسنرى في هذه الفصول الموجزة، أمثلة من حياته الخاصة، في صلته بأزواجه وصحابته من مهاجرين وأنصار.

محمد المختار ولد أباه



في بيوت النبي

(١) في بيت خديجة

إنها خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، تزوجها محمد بن عبد الله قبل أن يكون رسولاً، وإنما كان فتى من أشرف قريش، وهامة عزهم في بني هاشم بن عبد مناف، خطبها له عمه أبو طالب الذي كان كفيلاً عليه، وذكر ما له من رفعة وحسب، وأنه لا يوزن به فتى من قريش إلا رجح به فضلاً ونبلاً وعقلاً.

ورضي أهل مكة عن هذه الخطبة، وفرحوا بها، فتغنت بها ولائدهم ورددوا فيها الأراجيز.

لا تزهدني خديج في محمد نجم يضيء كضياء الفرقد
ولم تكن خديجة لتزهد في محمد بل رضيته ورضيت به،
وأحسنت إليه وكان بها برأ كريماً محسناً، أعانها في تدبير تجارتها، وربى
ابنها هند بن أبي هالة أحسن تربية - فكان هند بن أبي هالة
يقول: «ليس أحد أكرم مني أهلاً: أبي رسول الله ﷺ . وأمي
خديجة، وأخي القاسم وأختي فاطمة بنت رسول الله».

مكثت خديجة في بيت النبي عليه الصلاة والسلام نحواً من

أربع وعشرين سنة، ورزقت منه أبناء لم يرد الله أن تمتد بهم الحياة. أما بناتها فقد كبرن وسوف نتحدث عنهن فيما بعد.

وبعث محمد في بيت خديجة وأصبح رسولاً لله بشيراً ونذيراً وهداياً الى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وكان أول من أيده وصدقه من النساء زوجه خديجة، آمنت برسالته وقالت له إن ربه لن يضيعه، لأنها تعرفه، عرفته صادقاً أميناً، وزوجاً وقيماً، وعرفته عابداً متخشعاً رغبت نفسه عن أوثان قريش وتعلقت روحه بالحق، وعرفته كريماً يحمل الكل، ويقري الضيف، ويعين على نوائب الحق. ورضي رب محمد عن إيمان خديجة وعن سيرتها وأمر أمينه جبريل عليه السلام أن يقرئها السلام، وأن يبشرها في الجنة ببيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب.

وذكرت عائشة بنت أبي بكر أنها ما كانت تغار من امرأة مثل ما تغار من خديجة، فرسول الله ﷺ لا يفتأ يذكرها ويحسب إلى أيامها، وكثيراً ما كان يتصدق عنها، ويدعو لها، وذات يوم سلمت عليه أختها هالة وكان صوتها يشبه صوت خديجة ففزع إذ سمع كلامها، وقال اللهم هالة!! عن عائشة قالت كان رسول الله ﷺ لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة فيحسن الثناء عليها، فذكرها يوماً من الأيام فأخذتني الغيرة فقلت هل كانت إلا عجوزاً قد أبدلك الله خيراً منها فغضب ثم قال: لا والله ما أبدلني الله خيراً منها. «إنها آمنت حين كذبتني الناس وواستني بما لها حين حرمني الناس ورزقت منها الولد».

في سنة واحدة توفيت خديجة وأبو طالب ويقول أبو قتبية في المعارف إنه لم يكن بينها إلا ثلاثة أيام. ولكن الرسل لا تؤثر المصائب في حياتهم، فحياتهم لله وما كان لله دام واتصل ولكنهم

أيضاً بشر يتألمون كما يتألم الناس ويفرحون كما تفرح الناس .

حزن الرسول عليه الصلاة والسلام على أبي طالب كما حزن على
زوجته ورفيقته الحنون خديجة بنت خويلد التي سبقته وتركت في قلبه
ذكريات طيبة، وتركت له بنات كريمات عليه وعلى أمته .

فمنهن زينب بنت رسول الله ﷺ . زوّجها أبوها وأمها من ابن
خالتها أبي العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس، ظلت
معه بعد الهجرة وكان أبو العاص في أسارى بدر ولما أذن بالفداء بعثت
زينب عقداً لها في فداء أبي العاص ورآه النبي وعرفه فذكرها وتذكر
أمها ورق لها قلبه الرحيم فقال لأصحابه: «إن رأيتم أن تردوا لها
عقدها وأسيرها فافعلوا» . ورضي أصحاب رسول الله ﷺ برأيه
فأطلقوا أبا العاص ورجع العقد إلى زينب . وواعد أبو العاص النبي
ﷺ أن يعين زينب على الهجرة إلى المدينة، وبر بوعده وأثنى الرسول على
بره ووفائه وحسن مصاهرته، فأتت زينب المدينة وأسلم بعد ذلك أبو
العاص وحسن إسلامه ورجعت إليه زينب ويقول الشاعر:

وإن لصحبة الأخيار فضلاً بها عبد الأمير يصير سيداً
وكانت ابنة أبي العاص أمامة تأتي رسول الله ﷺ وهو في المسجد
فياخذها ويقربها منه ويحملها في الصلاة .

ومن بنات خديجة رقية وأم كلثوم كانتا في مكة عند ابني أبي لهب ولكن
الله أراد الخير بعثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس .
أكرم الله عثمان بمصاهرة رسول الله ﷺ . فتزوج رقية وتوفيت حينما كان
النبي ببدر، فتزوج بعدها أم كلثوم وتوفيت عنده كذلك . وقال له رسول
الله ﷺ لو كانت لنا ثالثة لزوجناكها .

أما فاطمة بنت رسول الله ﷺ فهي زوج علي بن أبي طالب وأم سيدي شباب أهل الجنة: الحسن والحسين، قال رسول الله ﷺ عنها إنها بضعة منه، وأن من آذاها فقد آذاه، وقد خرَّج البخاري عن الليث عن أبي مليكة عن المسور بن مخرمة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو على المنبر إن بني هاشم بن المغيرة استأذنونني في أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب فلا آذن! ثم لا آذن! ثم لا آذن! إلا أن يريد ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم فإنما هي بضعة مني يربيني ما أرابها ويؤذيها ما آذاها!!

ليس لعلي طبعاً أن يرغب عن ابنة رسول الله ﷺ ولا أن يتزوج عليها ابنة هشام بن المغيرة، وليس له أن يؤذي رسول الله ﷺ ولا أن يريبه في ابنته.

أما المسور الذي روى هذا الحديث فهو ابن مخرمة بن نوفل بن عبد مناف بن زهرة فهو من أحوال النبي ﷺ وكان المسور غلاماً لا يتجاوز الثامنة من سنه حينما التحق الرسول بالرفيق الأعلى، كان والده مخرمة يقول إنني لدة رسول الله ﷺ لأنني ولدت عام الفيل.

والمسور من رواة الحديث المشهورين. وحفيده أبو بكر بن عبد الرحمن بن المسور من شعراء قريش وفتيانهم فهو الذي يقول في قصة مشهورة:

بينما نحن بالبلاكت فالقاع سراعاً والعيس تهوى هوى
خطرت خطرة على القلب من ذكراك فما استطعت مضياً
قلت لبيك إذ دعاني لك الشوق وللحادين رداً لمطياً

أما نحن فسنعيد المطي إلى فاطمة بنت رسول الله ﷺ لقد

كانت من أحب بناته إليه . كانت تذهب معه وهو في مكة إلى الكعبة وتذب عنه وهو في الصلاة، وحينما نزلت عليه ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ دعا بطون قريش وأنذرهم ثم دعا ابنته فاطمة قائلاً: «يا فاطمة بنت محمد لا اغنى عنك من الله شيئاً» - وفي مرض وفاته أسراً إليها بدنو أجله وأخبرها أنها لن تمكث بعده طويلاً حتى تلتحق به . ويقول واصفوها إنها كانت تشبهه، وإذا رأوها ماشية قيل: هذه مشية رسول الله ﷺ، كان النبي يجمعها مع علي والحسن والحسين ويضع عليهم كساءه ويقول ﴿ إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ . وكان يجلس ابنه الحسن على فخذه ويقول إن ابني هذا سيد . وقد جاء مصداق قوله عليه الصلاة والسلام فبابنه الحسن خدت نار الفتنة بين الأمة وحقنت دماء المسلمين .

كانت فاطمة عند علي بن أبي طالب تقوم وحدها بخدمة بيتها وحينما شكت إلى أبيها أن الطحن بالرحى أضرت بيديها وطلبت منه خادماً يعينها أتاها رسول الله ﷺ هي وعلياً وجلس بينهما وقال: «ألا أدلكما على خير مما سألتماه؟ إذا أخذتما مضاجعكما فكبرا الله أربعاً وثلاثين واحمداً ثلاثاً وثلاثين وسبحاً ثلاثاً وثلاثين» وقال علي: إنه لم يترك هذا الدعاء حتى في ليلة صفين .

وها هم باختصار أهل بيت خديجة: ذلك البيت الذي أشرق فيه نور الإسلام وأضاء الخافقين، البيت الذي حمل فيه محمد رسالته الشاقة العظيمة التي تدعو إلى البر والإحسان والتوحيد وتنتهي عن منكرات الشرك والفحشاء، وهو البيت الذي تردد في جبريل الأمين على طه الأمين، وأوحى عليه السبع المثاني والقرآن العظيم .

(٢) في بيت سودة

دخلت بعد خديجة بنت خويلد في بيت رسول الله ﷺ سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي، وهي من أسبق الناس إسلاماً وهجرة.

لقد كان ابن عمها أبو سبرة بن عبد العزى بن قيس أول من هاجر إلى الحبشة ويقال إنه أول من وصلها. وكانت مع ابن سبرة زوجته أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبدود. وأخوها عبد الله بن سهيل. ثم التحق بهم السكران بن عمرو بن عبد شمس ومعه زوجته وابنة عمه سودة بنت زمعة.

فكان أقارب سودة من بني عامر بن لؤي مثل سائر بطون قريش، منهم من هدي إلى الإسلام في أول أمره مثل أبي سبرة والسكران وأخيه سليط، ومالك بن ربيعة بن قيس بن عبد شمس، ومنهم من لم يرد الله أن يهديه مثل عمرو بن عبد ود بن قيس الذي كان قاتل المسلمين يوم بدر ولقي حتفه حينما اقتحم خندق المسلمين في وقعة الأحزاب، لقد تحدى معسكر المسلمين ونادى يطلب المبارزة فقام له ابن أبي طالب وتقول بعض الروايات إن رسول الله ﷺ قال حينما خرج علي ابن أبي طالب لقتاله «اللهم إنك أخذت عبيدة يوم بدر، وحمزة يوم أحد، وهذا علي! رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين، ومن بني عامر من اهتدى وأدكر بعد أمة، مثل سهيل بن عمرو الذي كان من مطعمي قريش يوم بدر.

وانتصر النبي ﷺ على قريش في وقعة بدر وعاد إلى المدينة ومعه الأسارى والغنائم، ومن بين الأسارى سهيل بن عمرو أسره مالك بن

الدخشم أخو بني سالم بن عوف. ويروى أنه قال حين أسره:

أسرت سهيلاً فلا أبغني أسيراً به من جميع الأمم
وحنقد تعلم أن الفتى فتاها سهيل إذا يظلم

وتحكي لنا سودة أنها كانت في مناخة بني عفرأء، وذلك قبل أن يضرب الحجاب إذ قيل هؤلاء الأسارى، فذهبت لتراهم وإذا بسهيل ابن عمها وأخي السكران وهو في جانب الحجر، ويداه مجموعتان إلى عنقه فلم تستطع أن لا تقول: «يا أبا يزيد أعطيتم بأيديكم! هلاً متم كراماً». وتقول سودة والله ما نبهني إلا قول رسول الله ﷺ «يا سودة أعلى الله ورسوله تحرضين؟». قالت: قلت والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي حين رأيت أبا يزيد مجموعة يده إلى عنقه أن قلت ما قلت.

وقبل رسول الله ﷺ عذر زوجته سودة وعرف أنها ما كانت لتحرض على الله ورسوله. إنها كانت تحب الله ورسوله وترغب في رضاه. لقد وهبت لعائشة قسمتها من رسول الله ابتغاء مرضاة رسول الله، وكانت ممن عرفن بالنسك والعبادة، وكانت قبل أن يضرب الحجاب إذا اضطرت للخروج لا تخرج إلا ليلاً متنكرة مخافة أن تعرف، ولما رآها عمر ذات ليلة وقال لها: «ألا وقد عرفناك يا سودة» لزم بيتها وانقطت للعبادة، حتى روي عنها أنها قالت «كنت أحج في بيتي» وإنما تعني بذلك أن عليها أن تقرأ في بيتها وأن لا تتبرج تبرج الجاهلية الأولى، وأن تذكر ما يتلى في بيتها من آيات الله والحكمة.

وإذا كانت قد تحج في بيتها بقلبها فإنها أيضاً كانت تحج بيدنها مع رسول الله ﷺ. فقد كانت معه في حجة الوداع. وكان يعرف ما بها

من ضعف حيث إنها كانت بطيئة جسيمة، ففرق بها ورحم ضعفها فأذن لها بالسير ليلاً من المشعر الحرام إلى منى، وذلك لتصل قبل حطمة الناس فلا تتورط في زحامهم. وفي هذه الحجة بالخصوص بسط رسول الله يد الرحمة لأُمَّته فكان لا يسأله أحد من الحجاج عما قدم أو أخرج من حجه إلا قال «افعل ولا حرج» ففي البخاري عن ابن عباس قال سئل النبي ﷺ عن من حلق قبل أن يذبح، قال لا حرج لا حرج. وقال له رجل آخر رميت بعدما أمسيت قال لا حرج، وأخرج أيضاً عن ابن عمر أنه ﷺ وقف في حجة الوداع فجعلوا يسألونه، فما سئل يومئذ عن شيء قدم أو أخرج إلا وقال: افعل ولا حرج». فهل كل هذه الرحمة، وهذا التوسيع وصل إلى الأمة من بركة سودة؟ فهي التي كانت أول من استأذنه أن تتقدم قبل الحجاج، وأن لا تدفع من المشعر الحرام بدفع الجميع، فرحمها وأذن لها ورحم كل من سألها بعدها وقال له «افعل ولا حرج».

وقد توفيت سودة في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنها وعن جميع المسلمين.

(٣) في بيت عائشة

الحديث عن عائشة حديث طويل، من الصعب اختصاره ومن المحال إيفاؤه حقه في فصل قصير.

كانت لا تتجاوز تسع سنين حينما خرجت تلعب مع صواحبها على أرجوحة - وهي حبل يشد بين عمودين يركبه الصبي ويهز به - . وبينما عائشة على أرجوحتها أتتها أم رومان، ومعها نساء من

الأنصار يرددن: «على الخير والبركة وعلى خير طائر». والطائر هنا هو الحظ والقسم. ومنه قوله تعالى:

﴿قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ﴾ - المراد بها هنا: صحيفة الأعمال -

وقد كان طائر عائشة طائراً ميموناً. لقد أصلح النساء من شأنها وأدخلنها في بيت النبي ﷺ ومكثت في هذا البيت تسع سنين حتى قبض النبي وهو بين سحرها ونحرها.

وفي هذه المدة سمعت الكثير من الحديث ووعته. حتى قال عنها أبو موسى الأشعري: ما أشكل على أصحاب محمد حديث قط وسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً. وقال مسروق رأيت أصحاب محمد يسألونها عن الفرائض لقد أعطاه الله سبحانه سعة في الحفظ والعلم، فكانت تحفظ عشرات الآلاف من شعر لبيد وما تحفظ لغيره أكثر، ولقد أعدها الله أحسن إعداد لتكون من أعظم أمهات المؤمنين شأناً. وقد رآها رسول الله ﷺ والملاك يحملها في خرقة من حرير، ويقول هذه امرأتك ويقول رسول الله ﷺ إن كان من عند الله يمضه. وكان من عند الله، وأمضاه فكانت زوجته في الدنيا وفي الآخرة.

كانت عائشة أحب نساء النبي ﷺ إليه أعني نساء اللواتي كن معها في المدينة، وكان أصحاب رسول الله يعلمون حبه إياها. فكان أهل الهدايا ينتظرون يومها ليقدموها إلى رسول الله ﷺ هداياهم عندها، وكان نساء النبي يعلمن ذلك يوغرن منها ما عدا صديقاتها منهن.

وقد روت عائشة أن نساء النبي ﷺ كن حزينين. حزبا هي ومعها حفصة بنت عمر، وسودة بنت زمعة وصفية بنت حيي، وكانت أم سلمة^(١)

(١) لعلها زينب بنت جحش الأسدية رضي الله عنها فهي التي كانت تساميهما من نساء رسول الله ﷺ.

على رأس الحزب الثاني ومعها سائر نساء الرسول عليه الصلاة والسلام . .

وقد اجتمع نساء النبي ﷺ عند أم سلمة وسألنها أن تناشد رسول الله ﷺ العدل في بنت أبي قحافة . وأن يأمر الناس أن يأتوه بهداياهم أين ما كان ، وكلمته أم سلمة في الأمر فلم يجيبها أولاً ثم راجعته وألحت عليه فقال لها لا تؤذيني في عائشة ، فما نزل علي الوحي في ثوب امرأة غيرها . وقنعت أم سلمة بهذا القول وقالت له أتوب الى الله من أذاك يا رسول الله .

ولكن نساء النبي حاولن من جديد، وبعثن إلى رسول الله ﷺ ابنته فاطمة عليها السلام، فبلغته رسالتهن فقال لها: «أي بنية ألا تحبين ما أحب؟ قالت بلى وعادت إليهن وأبت أن تراجعها فيها بعد. غير أنهم لم يياسن ولم يستسلمن فأرسلن زينب بنت جحش، فأتت النبي ﷺ وهو في بيت عائشة فكلمته في أمرهن وأمر عائشة وتناولت منها، - والغيرة من شيم النساء - فالتفت الرسول ﷺ على عائشة مؤذناً لها أن تجيب عن نفسها، ولما أجابت بنت جحش أسكتتها، فسرى عنه وقال: «إنها بنت أبي بكر» .

نعم إنها بنت أبي بكر. وسنقف ساعة عند أبي بكر في الفصول الآتية:

ولنعد إلى عائشة أم المؤمنين رضوان الله عليها، لنجدها وهي في بيت رسول الله ﷺ تنصت إليه بإمعان، وتعقل ما يقول، وترفع إليه حوائج ذوي الحاجات وترد عليهم بما يريد، وتنام مبكرة بليل وبيوت يصلي قريباً منها، وإذا ما أراد السجود غمزها لتتنحى قليلاً كي ما يجد موضعاً يضع فيه جبهته السمحة، وربما استيقظت من نومها فتبحث

عنه ولا تجده مكانه فتغلي سورة الغيرة في نفسها، ثم لا تلبث أن تهدأ حين تسمعه يصلي قريباً منها، وأحياناً تغاضبه وتحاول مع بعض صديقاتها من نساته أن تحتال عليه، وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يعلم أن كل هذا من حبه لها، فيقبل تدللها وغيرها بصدر رحب، وأحياناً يمازحها فيقول لها إنه يعرف غضبها ورضاها عليه. وحين تستفسره عن ذلك يقول لها إن يمينها إذا كانت راضية «لا ورب محمد» وإذا كانت في حالة أخرى تقول «لا ورب إبراهيم» وتبتسم عائشة ابتسامة المعترف.

ولم تسلم عائشة في عهداها الزاهر من كيد المنافق والحسود، لقد كان جل نساء النبي خصماً لها، وأردن أن لا تكون إلا واحدة مثلهن ولكنهن لم يستطعن، وأكبر امتحان وانتصار عرفتهما عائشة هما في قصتها المشهورة بحديث الإفك، وها هي تقص علينا هذا الحديث فتقول: «كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين أزواجه فأين خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه، قالت عائشة فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج سهمي فخرجت مع رسول الله ﷺ بعدما أنزل الحجاب فكنت أحمل في هودجي وأنزل فيه، فسرنا حتى، إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته وقفل دنونا من المدينة قافلين أذن ليلة بالرحيل فقمنا حين أذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شأني، أقبلت إلى رحلي فلمست صدري فإذا عقد لي من جزع ظفار قد انقطع. فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه.

قالت وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلونني فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب عليه وهم يحسبون أني فيه.

وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يهبلن ولم يغشهن اللحم. إنما يأكلن العلقة من الطعام، فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحلوه وكنت جارية حديثة السن، فبعثوا الجمل فساروا ووجدت عقدي بعدما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها منهم داع ولا مجيب. فتيممت منزلي الذي كنت فيه وظننت أنهم سيفقدوني فيرجعون إلي. فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت، وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني، من وراء الجيش فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم، فعرفني حين رأني، وكان رأني قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني، فخمرت وجهي بجلبابي، ووالله ما تكلمنا بكلمة، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، وهوى حتى أناخ راحلته فوطيء على يدها، فقمت إليها، فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش موغرين في نحو الظهر، وهم نزول، فقدمنا المدينة.

فاشكت حين قدمت شهراً والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك لا أشعر بشيء من ذلك الذي يريني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكى، إنما يدخل علي رسول الله ﷺ فيسلم ثم يقول «كيف تيكم؟» ثم ينصرف فذلك يريني ولا أشعر بالشر، حتى خرجت حين نقهت، فخرجت مع أم مسطح قبل المناصع وكان متبرزنا، وكنا لا نخرج إلا ليلاً إلى ليل، وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريباً من بيوتنا، قالت وأمرنا أمر العرب الأول في البرية قبل الغائط، وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا.

قالت فانطلقت أنا وأم مسطح وهي ابنة أبي رهم بن المطلب بن

عبد مناف وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق، وابنها مسطح بن أثانة بن عباد بن المطلب، فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي حين فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها بشس ما قلت أتسيين رجلاً شهد بدرأ، فقالت أي هنتاه أولم تسمعي ما قال؟ قالت: قلت وما قال؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك.

قالت فازددت مرضاً على مرضي فلما رجعت إلى بيتي دخل علي رسول الله ﷺ فسلم ثم قال «كيف تيكم؟» فقلت له أتأذن لي أن آتي أبوي؟ قالت وأريد أن أستيقن الخبر من قبلهما، قالت فأذن لي رسول الله ﷺ فقلت لأمي يا أمته ماذا يتحدث الناس؟ قالت يا بنية هوني عليك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها لها ضرائر إلا أكثرن عليها. قالت فقلت سبحان الله أولقد تحدث الناس بهذا؟ قالت فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، ثم أصبحت أبكي.

قالت ودعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي يسألها ويستشيرهما في فراق أهله. قالت فأما أسامة فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم لهم في نفسه فقال أسامة أهلك ولا نعلم إلا خيراً. وأما علي فقال يا رسول الله لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير، وسل الجارية تصدقك، قالت فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال: أي بريرة، هل رأيت من شيء، يريبك؟ قالت له بريرة والذي بعثك بالحق ما رأيت عليها أمراً قط أغمضه، غير أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها، فتأتي الداجن فتأكله.

قالت فقام رسول الله ﷺ فاستعذر من عبد الله بن أبي وهو على المنبر فقال يا معشر المسلمين من يعذرنى من رجل قد بلغنى أذاه في أهلي؟ والله ما علمت على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً^(١)، وما يدخل على أهلي إلا معي، قالت فقام سعد بن معاذ أخو بني عبد الأشهل، فقال أنا يا رسول الله أعذرک فإن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرک، قالت فقام رجل من الخزرج وكانت أم حسان بنت عمه. من فخذة وهو سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج قالت وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً ولكن احتملته الحمية فقال لسعد كذبت! لعمر الله لا تقتله ولو كان من رهطك ما أحببت أن يقتل، فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم لسعد فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه فإنك منافق تجادل عن المنافقين قالت فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا، ورسول الله ﷺ قائم على المنبر، قالت فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا وسكت.

قالت فبكيك يومي ذلك كله لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، قالت وأصبح أبواي عندي وقد بكيك ليلتين ويوماً لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم حتى إنسي لأظن أن البكاء فالق كبدي، فبينما أبواي جالسان عندي وأنا أبكي فاستأذنت علي امرأة من الأنصار فأذنت لها، فجلست تبكي معي، قالت فبينما نحن على ذلك دخل علينا رسول الله

(١) اختلفت الروايات هل المعنى سعد بن معاذ أو أسيد بن حضير فابن عبد البر يعتقد أنه أسيد لأن سعداً قد توفى في غزوة بني قريظة ويقول أنها كانت قبل المريسيع، بينما البخاري يذكر أنه سعد. والأرجح أن حادثة الافك كانت قبل الخندق. انتهى كلام المؤلف.

ﷺ فسلم ثم جلس قالت ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها، وقد لبث شهراً لا يوحى إليه في شأني .

قالت فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال «أما بعد يا عائشة إنه بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله وإن كنت ألمت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف ثم تاب تاب الله عليه» قالت فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته، قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة فقلت لأبي «أجب رسول الله ﷺ عني فيما قال، فقال أبي: «والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ» فقلت لأمي: أجيبي رسول الله ﷺ فيما قال، قالت أمي والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ من القرآن كثيراً: «إني والله لقد علمت، لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم إني بريئة لا تصدقوني، ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني منه بريئة لتصدقني فوالله لا أجد لي ولا لكم مثلاً إلا أبا يوسف حين قال فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون .

ثم تحولت فاضطجعت على فراشي والله يعلم أي حينئذ بريئة وأن الله مبرئي ببراءتي ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحيأ يتلى، لشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيّ بأمر، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها فوالله ما رام رسول الله ﷺ مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى أنه ليتحدر منه من العرق مثل الجمان، وهو في يوم شات من ثقل الذي أنزل عليه قالت

فسري عن رسول الله ﷺ وهو يضحك، فكانت أول كلمة تكلم بها قال يا عائشة أما الله فقد برأك، قالت لي أُمي قومي إليه، فقلت والله لا أقوم إليه، فإني لا أحمد إلا الله عز وجل، قالت وأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾ العشر الآيات ثم أنزل الله تعالى هذا في براءتي.

قال أبو بكر الصديق وكان ينفق على مسطح بن أثانة لقرابته منه وفقره، والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال، فأنزل الله ﴿وَلَا يَأْتَلُ أَوْلُوا الْفَضْلَ مِنْكُمْ - إِلَى قَوْلِهِ - غُفُورٌ رَحِيمٌ﴾. قال أبو بكر الصديق بلى، والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، وقال والله لا أنزعها منه أبداً. قالت عائشة وكان رسول الله ﷺ سأل زينب بنت جحش عن أمري فقال لزينب ماذا علمت أو رأيت فقالت يا رسول الله أحمي سمعي وبصري، والله ما علمت إلا خيراً قالت عائشة وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ فعصمها الله بالورع.

لقد رماها إذاً المنافقون وبعض حاسديها بصفوان بن المعطل وشق أمرها على رسول الله ﷺ ومكث نحو شهر لا يعاشرها حسب ما ألفت منه، واستشار في أمرها ولا تنسى عائشة أن علي بن أبي طالب قال لرسول الله ﷺ في معرضها «النساء غيرها كثير» وقد تولى كبر هذا الحديث عبد الله بن أبيي وكانت عائشة لا تبريء حمنة بنت جحش وحسان بن ثابت، ولم يأل حسان جهداً في إرضائها فيما بعد فكان يزورها ويمدحها بقوله:

حصان رزان ما تزن بريبة وتصبح غرثي من لحوم الغوافل

وتجيبه جواب من لا يزال يجد عليه، غير أنها تذكر أنه كان ينافح عن رسول الله ﷺ كان يأمره بهجاء المشركين من قريش ويقول له إن روح القدس معك. وفي هذا عند عائشة شفيح مطاع. فكانت تقول إنه الذي قال:

فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء وانتصرت عائشة في حديث الإفك وبرأها الله تعالى مما قالوا بالقرآن وقدرت عائشة هذا الانتصار حق قدره، وآبت الى بيتها أوبة الظافر المتين، وظلت أعواماً مع رسول الله ﷺ في نعمة وسعادة وسرور. ينتزل الوحي من الله في بيتها، ويقرئها جبريل السلام ويحبها رسول الله ﷺ ويعظمها المسلمون.

وكان لها بعد رسول الله ﷺ عزاء في إيمانها وأن النبي ﷺ دفن في بيتها بعدما أراد أن يكون مرضه عندها فكان يقول في هذا المرض «أين أنا اليوم؟ أين أنا غداً؟ وعلم أزواجه أنه يجب أن يقيم عند عائشة وسمحن له بذلك. وأتاها وقد اشتد وجعه بين رجلين أحدهما العباس والثاني لم تذكره عائشة لأمر ما. وقال ابن عباس إنه علي بن أبي طالب. وكان من عزائها أيضاً أن أفضت الخلافة الى أبيها الحنون أبي بكر.

ولبثت عائشة بعد النبي ﷺ نحواً من خمسين سنة كانت فيها كعبة أهل المدينة ومقصد جميع المسلمين، والكل يقدر مكانتها من رسول الله ﷺ ويستنير أهل العلم بما لها من فقه وحديث، ويتقوى أهل الرأي بمشورتها ويحرص ذوو الحكم على تأييدها وعلى اكتساب نفوذها، فكانت حقاً زعيمة أمهات المؤمنين، وتأبى أن لا تعطي لمنصبها مدلوله في كل ميدان، وهذا ما يفسر لنا ما حملها على تدخلها

العنيف في مشاجرة المسلمين. وقيل إنها ترددت قبل أن تذهب إلى البصرة، وأن ابن أختها عبد الله بن الزبير لم يزل بها يفتل في الذروة والغارب حتى ذهب بها.

وقال علي بن أبي طالب إنها من أطوع الناس في الناس، وسافرت عائشة إلى العراق مع طلحة والزبير، وكان يوم الجمل والطرف الثاني هو ابن أبي طالب وفي هذا الموقف الحرج ألقّت كلمة قالت فيها أيها الناس؟ صه. صه. فكأنما قطعت الألسن في الأفواه فقالت «إن لي عليكم حق الأمومة وحرمة الموعظة، لا يتهمني إلا من عصى ربه، ومات رسول الله ﷺ بين حافتي ودافتي، وأنا إحدى نسائه في الجنة له ادخرنى ربي، وسلمني من كل بضع وبى ميز بين منافقكم ومؤمنكم، وبى رخص لكم في صعيد الإيواء ثم إنني ابنة ثالث ثلاثة من المؤمنين وثاني اثنين إذ هما في الغار، وأول من سمى صديقاً، مضى رسول الله ﷺ راضياً عنه، وطوقه طوق الإمامة، ثم اضطرب حبل الدين فمسك أبي بطرفيه. وزين له أفياءه. فوقم النفاق وغازب نبع الردة وأطفأ ما حش اليهود، وأنتم يؤمئذ جحظ العيون تنظرون الغدرة وتسمعون الصيحة. فرأب الثأبي وأوذم العطلة وانتاش من المهواة واجتحي دفين الداء حتى أعطى الوارد وأورد الصادر وعلّ الناهل. فقبضه الله واطئاً على هامات النفاق، مذكياً نار الحرب للمشركين. وانتظمت بضاعتكم بحبله.»

ثم ذكرت تولية عمر بن الخطاب وأثنت عليه خيراً وقالت إنها ما جاءت تلتمس إثماً ولا لتدلّس فتنة، وذكرت أن قولها كان صدقاً وعدلاً وإعذاراً وتعديراً، ثم سألت الله أن يصلي على محمد وأن يخلفه في المسلمين بأفضل خلافة المرسلين، ثم رجعت إلى المدينة وتقول بعض

الروايات إنها أسفت على ذهابها نحو البصرة، وقد بالغت بتقدير أسفها حتى قارنته بأسفها على أنها لم تنل من رسول الله ﷺ عشرة أولاد كلهم مثل عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، ولو رزقت عائشة من رسول الله ﷺ أولاداً لكان أمرهم أعظم بكثير من أمر عبد الرحمن بن الحارث بن هشام.

وتلقت عائشة بعد رجوعها إلى المدينة النصيحة والعتاب بعارضة قوية، فلم تفارقها ثققتها بنفسها ولا بمكانتها الخالدة، وكانت تحيب لائميها بالثر إذا وجهوا إليها النثر وبالشعر إذا سمعت أنهم قالوا فيها شعراً، وقد بلغها أن الأحنف بن قيس خاطبها بأبيات قال فيها:

فلو كانت الأكنان دونك لم يجد عليك مقالاً ذو أذاة يقولها
فقلت عائشة رضي الله عنها أي كان يستجم؟ إلى الله أشكو
عقوق ابنائي ثم أجابته بقولها:

بني اتعظ إن المواعظ سهلة ويوشك أن تكتان وعرأ سبيلها
ولا تنسين في الله حق أمومي فإنك أولى الناس أن لا تقيلبها
ولا تنطقن في أمة لي في الخنا حنيفة قد كان بعلي رسوها

ونلاحظ في تصرفها وفي كلامها وشعرها تأكيدها لمنزلتها من الأمة. فهي أم المؤمنين ولها عليهم جميعاً حق الأمومة، ألا وهو البر والإكرام.

ثم اعتزلت الفتنة وقرت في بيتها، ولما سمعت بوفاة علي بن أبي طالب تمثلت بقول المعفر البارقي:

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عيناً بالآباب المسافر

وهي تعني أن علياً استراح من متاعب الناس وقدم إلى البر بالعمل المبرور، ولم يك هذا أول بيت تتمثل به عائشة فإنها حين رأت أباها وهو في حالة الاحتضار أنشدت قول حاتم الطائي .
 لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر
 وقال لها أبو بكر بخ بخ يابنية هلا تلوت» (وجاءت سكرة الموت بالحق).

وفي عهد معاوية تقدمت بعائشة السن، وحنكتها التجارب، وأسعفها علمها وذكاؤها، فعاشت حياة مطمئنة سعيدة في بيتها ورسول الله ﷺ معها في البيت إلى أن التحقت به . .

(٤) في بيت حفصة

دخلت بيوت النبي ﷺ بعد خديجة وسودة وعائشة حفصة بنت عمر ابن الخطاب وكانت قبل عند خنيس بن حذافة السهمي، وبعد وفاته أراد والدها عمر أن يزوجهما من أبي بكر، ولما عرض أبو بكر عنها قال عمر: خسرت خسرت حفصة . ثم ما لبثت أن خطبها النبي ﷺ ثم قال أبو بكر لعمر قد علمت أن النبي ﷺ ذكرها وذلك سبب إعراضي عنها ولكني ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ .

إنها من خيرة أمهات المؤمنين، عرفت بكثرة الصوم والصلاة والأمانة . وعدت مع عائشة ممن حفظ القرآن وعندها كان المصحف الذي كتبه بأمر من أبي بكر وعمر زيد بن ثابت الأنصاري الذي يقول فيه حسان بن ثابت:

فمن للقوافي بعد حسان وابنه ومن للمثاني بعد زيد بن ثابت

وكانت حفصة أيضاً من اللواتي روين عن رسول الله ﷺ العلم .

ولها مع رسول الله قصة مشهورة نزل فيها القرآن . .

لقد كان رسول الله ﷺ حريصاً على إرضائها، وأسر إليها حديثاً قيل عنه إنه في تحريم جاريتة مارية، ورضيت حفصة بالحديث وأخبرت به صديقتها عائشة، ولكن الله كان لهما بالمرصاد، فأمره أن لا يحرم ما أحل له . وأخبره العليم الخبير بما كانت تتحدث به حفصة وعائشة، وأمرهما الله بالتوبة النصوح، وهددهما إن عادتا إلى التظاهر على النبي ﷺ في شأن زينب بنت جحش والعسل الذي شرب عندها، وهددهما الله بالخروج من بيوت النبي ﷺ وهو أشد العقاب، وتقول بعض الروايات إنه طلقها، وأمره جبريل أن يراجعها مرضاة لعمر، وتقديراً لعبادتها، وسمع عمر قصة حفصة وأقسم أن لو أمره رسول الله ﷺ بضرب عنق حفصة لفعل، غير أن الأمر لم يصل إلى هذا الحد، فحفصة تابت توبة نصوحاً ورضيت بالله ورسوله، ويقص عمر كيف كان يحاول أن يعرف ماذا جرى في بيوت النبي عليه الصلاة والسلام، ويقول إنه كان يسكن قرب المدينة وله صديق من الأنصار وكل منهما يبيت مع رسول الله ﷺ في المدينة ويأتي لصاحبه بأخباره، وما شعر عمر حتى أتى صاحبه يدق عليه دقاً عنيفاً فسأله مذعوراً ماذا حدث؟ فهل غزا المدينة الغسانيون الذين كان المسلمون يتخوفون منهم أن ذلك؟ وقال له صاحبه . لا . الأمر أشد من ذلك . رسول الله ﷺ طلق نساءه، فراجع عمر وقال «خسرت حفصة» ثم ذهب من توه إلى المدينة وصلّى الصبح مع رسول الله ﷺ، وبعد الصلاة انفرد النبي ﷺ في حجرته . واستأذن عمر على رسول الله ﷺ

ولم يجبه البواب، فرجع إلى المسجد ولكنه لم يستطع الجلوس ورجع واستأذن من جديد ولكنه لم يجد جواباً، فرجع إلى المسجد ثم مالبت أن أتاه غلام رسول الله ﷺ مؤذناً له بالدخول، ودخل عمر على رسول الله ﷺ ووجده مضطجماً على الأرض، ولم يستطع عمر أن يجلس فبقي واقفاً وقال: «أطلقت نساءك يا رسول الله» فأجابه بلا. فهدأ روع عمر. ثم بقي واقفاً مكانه. وبعد ذلك قال لقد كنا يا رسول الله في مكة ونحن نغلب نساءنا ولما جئنا المدينة وجدنا الأنصار ونساءهم تغلبهم فأفسدوا علينا نساءنا، فبتسم رسول الله ﷺ، واستطاع عمر أن يدنومه قليلاً، وقال يا رسول الله لقد قلت حفصة أن لا تغتر بما تفعله عائشة، لأن عائشة أجمل منها، وأضوأ، فابتسم النبي ﷺ أيضاً، واستطاع أن يجلس وأن يتناول أطراف الحديث مع رسول الله ﷺ وعرف أن حفصة لم تحسر، بل ستظل في بيت رسول الله عليه الصلاة والسلام، فكانت من القانتات لله ورسوله اللواتي سيجدن أجرهن مرتين، فهي أم المؤمنين و بنت عمر بن الخطاب، وسرى من هو عمر بن الخطاب.

كانت حفصة شقيقة عبد الله بن عمر، أمها زينب بنت مظعون، وخالها عثمان بن مظعون أول من دفن في البقيع، وكان أخوها عبد الله من علماء الصحابة وعبادهم وحفظتهم، ومن بنيه سالم بن عبد الله وهو من أهل الفقه والحديث، ويقول عبد الله بن عمر في ابنه سالم:

يلوموني في سالم وألومهم وجلدة بين العين والأنف سالم وكان نافع مولى ابن عمر من أوثق الرواة ويسمي المحدثون رواية مالك عن نافع عن ابن عمر سلسلة الذهب لصحتها. ومن

إخوة حفصة عاصم بن عمر وليس شقيقاً لها، وأم عاصم بنت عاصم ابن عمر هي التي أنجبت عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموي المشهور بالتقوى والعدل، ومن شعر عمر بن عبد العزيز هذه الأبيات:

| | |
|-----------------------|-----------------------|
| إنّ الفؤاد عن الصبا | وعن انقياد للهوى |
| فلعمر ربك إن في | شيب المفارق والجملا |
| لك واعظاً لو كنت تتعظ | اتعاط ذوي النهى |
| حتى متى لا ترعوي | وإلى متى وإلى متى |
| ما بعد أن سميت كهـ | لاً واستلبت اسم الفتى |
| بلي الشباب وأنت إن | عمرت رهن للبلبل |
| وكفى بذلك زاجراً | للمرء عن غي كفى |

وقد توفيت حفصة بنت عمر عام خمس وأربعين من الهجرة
رضوان الله عليها.

(٥) في بيت أم سلمة

أم سلمة هي هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وسوف نرى لبني مخزوم بن يقظة بن مرة شأناً عظيماً في قريش. ولم يجد النبي ﷺ أشد عليه من مشركيهم، ولكننا لا ننصف بني مخزوم إذا لم نذكر ما أسدوه للإسلام من أيادٍ بيضاء عرفها لهم رسول الله ﷺ.

فكان منهم الوليد بن المغيرة وأبو جهل بن هشام بن المغيرة وهما معلوما الشأن وفي يوم بدر، قتل من كبار بني مخزوم عمرو بن هشام بن المغيرة (أبو جهل) وأخوه العاص بن هشام، ومسعود بن أبي أمية ابن

المغيرة أخو أم سلمة وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة وأبو قيس ابن
الفاكه بن المغيرة، وكان في أسرى بدر خالد بن هشام بن المغيرة
وأمية بن أبي حذيفة بن المغيرة، والوليد بن الوليد بن المغيرة، ولم يكن
هذا كل من قتل أو أسر من بني مخزوم، ولكننا اقتصرنا على أبناء المغيرة
لنبين شدتهم على رسول الله ﷺ.

لقد كان الأرقم بن أبي الأرقم (واسم أبي الأرقم عبد
مناف) بن أسد بن عبد الله بن عمر المخزومي، ممن سبق إسلامه
وحسن، فهو الذي تحصن المسلمون في داره في مكة. وكان مع النبي ﷺ
يوم بدر، كما سبق إسلام أبي سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن
عبد الله بن عمر بن مخزوم، وهو أخو رسول الله ﷺ من الرضاعة، هاجر
الهجرتين وشهد بدرًا، وهاجر معه إلى الحبشة ابنا أخيه عبد الله وهبار ابنا
سفيان بن عبد الأسد، وسوف نجد أيضاً من أبناء المغيرة من سبق إسلامه
وحسن مثل هشام بن أبي حذيفة بن المغيرة وسلمة ابن هشام بن المغيرة
وعياش بن أبي ربيعة بن المغيرة، وهذان الأخيران كانا من المستضعفين
وكان معهم الوليد بن الوليد حين أسلم. وكان الرسول عليه الصلاة
والسلام يدعوهم في القنوت فيقول: «اللهم أنج سلمة بن هشام، اللهم
أنج عياش بن أبي ربيعة. اللهم أنج الوليد ابن الوليد». وقبل الفتح
بقليل أسلم سيف الله خالد بن الوليد بن المغيرة وأسلم بعده عكرمة بن
أبي جهل فكانا خير سند للإسلام، ولا سيما في حروب الردة والفتوح.

اشتهر بنو مخزوم بالرأي وبالشجاعة وشاركتهم أم سلمة في
رأيهم وشجاعتهم وفازت عليهم بدخولها في بيوت النبي عليه الصلاة
والسلام.

ونرى شجاعتهما في كونها أرادت أن تهاجر وحدها من مكة إلى المدينة، ليس معها إلا ابنها سلمة بن أبي سلمة وهو يومئذ صبي، وذلك أنه أزمع أبو سلمة الخروج مهاجراً إلى الله ورسوله، حملها على حمل هي وابنه، ولكن لما رآه بنو المغيرة منعه وحين غلبهم على أمره تركوه يذهب وحده، وأخذوا منه زوجته أم سلمة، وذهب أبو سلمة وأقرب أهله من بني عبد الأسد بن هلال بن عبد الله، ونزعوا من بني المغيرة سلمة ابن أخيهم. وحبست أم سلمة عند بني المغيرة، وفرق بينها وبين ابنها وزوجها، فمكثت قريباً من سنة تخرج كل غداة إلى الأبطح فما تزال تبكي حتى المساء.

ثم رُق لها بعض أهلها وأذنوا لها بالهجرة، وأخذت ابنها وبغيرها وذهبت تقصد المدينة وحدها وتنوي أن تبلغ بمن تلقى في الطريق، وتصادف في سبيلها عثمان بن طلحة أخا بني عبد الدار، فسألها عن أمرها. ولما عرفه أبت له مروءته أن يتركها تضع، فرافقها وسار بها إلى المدينة مرافقة الكريم الأمين.

ووصلت أم سلمة إلى المدينة ورجع عثمان بن طلحة إلى مكة، وذلك قبل أن يسلم ويتسلم من يد رسول الله ﷺ مفاتيح الكعبة إلى يوم القيامة، ولعل أمانته ورفقه بمن ستكون فيما بعد أم المؤمنين قد أهلتها للفوز بهذه الوديعة الخالدة.

وبعد وفاة أبي سلمة كان لها من رسول الله ﷺ أفضل خلف. فكانت من أهل مشورته وعمن حمل عنه العلم والحديث، كما كانت ممن ثبت معه في المواقف الحرجة، وأتاه جبريل في بيتها ورأته وظنته دحية الكلبي.

لقد مرت على رسول الله ﷺ أوقات صعبة في جهاد المشركين وكان من أصعبها صلح الحديبية، وثقل هذا الصلح على المسلمين وقبل رسول الله ﷺ عقد الهدنة مع قريش وقبل أن يرجع عن مكة، وقبل أن يرد عليهم من جاءه من مسلمي مكة، ونفرت نفوس كثير من المسلمين من هذا الصلح، ولم يثبت مع رسول الله ﷺ في هذه الساعة إلا القليل، وكان ممن ثبت معه زوجه أم سلمة بنت أبي أمية. ولما انتهى أمر الصلح أمر النبي ﷺ الناس أن ينحروا وأن يحلقوا. أمرهم بذلك ثلاث مرات ولم يقم منهم أحداً! فدخل على أم سلمة وقص عليها ما لقي من أصحابه. قالت له أم سلمة. أرى يا رسول الله أن تخرج إليهم ولا تكلم أحداً منهم ثم تنحر بدنك وتدعو حالقك فتحلق. وخرج عنها رسول الله ﷺ وفعل ما أشارت عليه به فنحر وحلق وبادر أصحابه إلى اتباع ما فعل فكان الرأي في هذه المرة ما أشارت به أم سلمة لا الحجاب.

وعاشت أم سلمة برهة من الزمن مع النبي ﷺ في بيوت النبي عليه الصلاة والسلام. وكانت تزعم قسماً كبيراً منهن، وتتوسط إلى رسول الله ﷺ في أمورهن وأمور المسلمين وكانت تسأله عن الفرائض، وتعلم سائلها. وبقيت بعده نصف قرن تهدي بهديه وتحديث بحديثه. ولم تتدخل في سياسة الحكم. فكانت تقول إن جهاد النساء غض الأطراف وضم الذبول، وأنها لا تهتك حجاباً ضربه عليها رسول الله ﷺ.

وكان من مواليتها علماء من أئمة الأمة، فمنهم شيبة بن نصاح وأبو ميمونة، وهما من قراء المدينة الأعلام وكانا من أشياخ نافع بن أبي نعيم المدني المقرئ المشهور. وقد كان الحسن البصري ابن مولاة لها.

زيداً قد عوضه الله عن زينب أو عن انتسابه إلى الرسول بأن ذكره باسمه في كتابه الكريم وهي أيضاً ميزة خاصة يحق أن يفخر بها كما فخرت زينب بزواجها.

وإذا كنا نجد في القرآن أسماء مثل فرعون وهامان فإن هؤلاء قد ضربوا مثلاً لكفرهم ولبغيهم على الأنبياء، وذكرهم بأسمائهم إنما هو لزيادة بيان ما هم عليه من شر وطغيان. ونجد في القرآن أن في كفة ثانية أسماء الأنبياء المرسلين ونسمع منه التنويه بفضلهم والإشادة بإنابتهم إلى الله جل وعلا ولم يذكر غيرهم باسمه . .

وقد قيل في أبي بكر إذ يقول لصاحبه وقيل في عبد الله بن أم مكتوم^(١) ﴿غير أولي الضرر﴾ أما زيد فقد صار اسمه يتلى في الذكر للتبرك والتلاوة.

قبل الزواج تخرج النبي ﷺ وسلم من زينب فأمر زيداً أن يمسكها عليه ولكن الله سبحانه وتعالى زوجها له ﴿لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولاً﴾.

أنعم الله على زيد بهذا الذكر، وأنعم عليه رسوله بالحرية وبالهداية إلى الإسلام ورضي أن يختار لها ما اختاره الله سبحانه.

ثم أبدى الله ما كان أخفاه النبي عليه الصلاة والسلام خشية أن يقول الناس إنه تزوج زوج ابنه وكان في الآيات التي نزلت عليه في أمرها نوع من العتاب حتى إن عائشة كانت تقول: «لو كان رسول الله

(١) بل قيل فيه ﴿أن جاءه الأعمى﴾ فهي التي تخصه أما ﴿غير أولي الضرر﴾ فهي فيه وفي غيره ممن حذرهم القرآن والله أعلم.

ﷺ كاتماً آية لكتن هذه الآية التي نزلت عليه في أمر زينب» لكن الله يعلم ما في قلب رسوله، ويعلم عصمته، وأنه لا يخشى غيره وكفى به حسيباً.

وقد أقر الله تعالى هذا الزواج ورضي به لرسوله، وأراد أن يطمئن إليه نبيه عليه الصلاة والسلام، ونهى الناس أن ينسبوا إليه من ليس بابنه وأن لا يؤذوه، وأن لا يغشوا بيوته من غير إذن، فإذا كان الرسول يدعوهم إلى بيته ومآدبه ويستحي من إخراجهم عنه، فإن الله لا يستحي من الحق، وينهاهم عن الدخول على الرسول بلا إذن ويأمرهم أن لا يستأنسوا بالحديث في بيته، وأن لا يسألوا نساء متاعاً إلا من وراء حجاب، كل هذه الأوامر والنواهي قد نزلت في شأن زينب بنت جحش التي أراد الله لها أن تطمئن في بيت نبيه وأن تعيش أياماً ملؤها السعادة والسرور.

كانت زينب بنت جحش أهلاً لهذا الامتنان، قال النبي عليه الصلاة والسلام إنها كانت أوامة، وقالت أم سلمة إنها كانت متعبدة تتصدق بعملها، وقالت عائشة إنها قد عصمها التقى والورع.

ونعرف من عائلتها أخويها عبيد الله الذي هاجر إلى الحبشة ولكن لم يهده الله إلى السير في طريق الإسلام فتنصر وبقي في الحبشة، وعبد الله الذي سنتحدث عنه عما قليل.

وقد توفيت أم المؤمنين زينب بنت جحش لعشرين سنة خلت من الهجرة وكانت أول نساء النبي ﷺ لحوقاً به، وأطولهن يداً بالصدقة والإحسان، ولما رأى عمر بن الخطاب نعشها محمولاً قال: نعم خباء الظعينة، وقد أئنت عائشة بنت أبي بكر على دينها الذي عصمها من كل

﴿ كَاتِمًا آيَةَ لَكُمْ هَذِهِ الْآيَةِ الَّتِي نَزَلَتْ عَلَيْهِ فِي أَمْرِ زَيْنَبٍ ﴾ لَكِنِ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قَلْبِ رَسُولِهِ، وَيَعْلَمُ عَصْمَتَهُ، وَأَنَّهُ لَا يَخْشَى غَيْرَهُ وَكَفَى بِهِ حَسِيًّا.

وقد أقر الله تعالى هذا الزواج ورضي به لرسوله، وأراد أن يطمئن إليه نبيه عليه الصلاة والسلام، ونهى الناس أن ينسبوا إليه من ليس بابنه وأن لا يؤذوه، وأن لا يغشوا بيوته من غير إذن، فإذا كان الرسول يدعوهم إلى بيته ومآدبه ويستحي من إخراجهم عنه، فإن الله لا يستحي من الحق، وينهاهم عن الدخول على الرسول بلا إذن ويأمرهم أن لا يستأنسوا بالحديث في بيته، وأن لا يسألوا نساءه متاعاً إلا من وراء حجاب، كل هذه الأوامر والنواهي قد نزلت في شأن زينب بنت جحش التي أراد الله لها أن تطمئن في بيت نبيه وأن تعيش أياماً ملؤها السعادة والسرور.

كانت زينب بنت جحش أهلاً لهذا الامتنان، قال النبي عليه الصلاة والسلام إنها كانت أواهرة، وقالت أم سلمة إنها كانت متعبدة تتصدق بعملها، وقالت عائشة إنها قد عصمتها التقى والورع.

ونعرف من عائلتها أخويها عبيد الله الذي هاجر إلى الحبشة ولكن لم يده الله إلى السير في طريق الإسلام فتنصر وبقي في الحبشة، وعبد الله الذي ستتحدث عنه عما قليل.

وقد توفيت أم المؤمنين زينب بنت جحش لعشرين سنة خلت من الهجرة وكانت أول نساء النبي ﷺ لحوقاً به، وأطولهن يداً بالصدقة والإحسان، ولما رأى عمر بن الخطاب نعشها محمولاً قال: نعم خباء الظعينة، وقد أثنت عائشة بنت أبي بكر على دينها الذي عصمتها من كل

مكروه، وكيف لا وهي التي اختارها الله زوجاً لنبيه الكريم وأنزل في شأنها آية الحجاب^(١).

(٧) في بيت أم حبيبة بنت أبي سفيان

وهي رملة بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف كانت ممن سبق إسلامهم، وهاجرت إلى الحبشة، ومعها إذ ذاك عبيد الله بن جحش بن رثاب الأسدي، أخوزينب بنت جحش، ولقد فارقت حين تنصر بالحبشة ورغب عن ملة الإسلام، ﴿ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾.

وعوض الله رملة خيراً من عبيد الله فتزوجها رسول الله ﷺ. خطبها له النجاشي وأصدقها عنه، وكان وليها خالد بن سعيد بن العاص بن أمية وهو من مهاجري الحبشة، وقدمت أم حبيبة المدينة ودخلت في بيوت النبي ﷺ وانخرطت في سلك أمهات المؤمنين.

وأهل رملة من قريش معروفون، فهم الذين اشتهروا ببني أمية، وقد تعاقبوا على سدة الخلافة نحواً من قرن، وكان من صلحائهم ذو النورين عثمان بن عفان وعمر بن عبد العزيز بن مروان.

فقد حكموا وملكوا في الاسلام، ويريد بعض المؤرخين أن يبني لهم شرفاً في الجاهلية كذلك، ويحاول أن يثبت أن هناك نوعاً من التنافس كان بينهم وبين بني هاشم بن عبد مناف، والحق أن مجد بني أمية لم يكن إلا بعد عثمان بن عفان من بركته ومن سعيه، فهو الذي جمع شملهم المفلول، ووصلهم بالإسلام ففي عهده ذكر الأعياص وفي

(١) بل سبب نزول الآية كان في عائشة حين واكل عمر رسول الله ﷺ وعائشة تاكل معها فالتقت يد عمر بيد عائشة في الإناء، فقال: يا رسول الله لولا حجب نساءك فإنك يدخل عليك البر والفاجر. قيل فكان ذلك سبب نزول الآية.

عهد معاوية ذكر آل حرب ثم كمل بناء مجدهم في زمن بني مروان .
فتغنت الشعراء بمدحهم ويذكرهم فهذا يقول :

أرجى من سعيد بني لؤي أخي الأعياص أمطاراً غزارا
يلاقني نوؤهن سرار شهر وخير النوء ما لاقى السرارا
وقال عبد الله بن الزبير الأسدي حين غضب علي بن عبد الله بن
الزبير الأسدي القرشي .

أرى الحاجات عند أبي خبيب نكدن ولا أمية في البلاد
من الأعياص أو من آل حرب أغر كغرة الفرس الجواد
وقد كان جرير فطناً يعرف طارف المجد وتالده فحين مدح
عمر بن عبد العزيز مدحه بالكرم والتقى، ولما مدح هشام بن عبد
الملك بأجداده من قريش قدم أخواله من بني مخزوم قبل بني أمية،
وهشام أمه بنت إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي،
وقد قال فيه جرير:

وأورثك المكارم من قريش هشام والمغيرة والوليد
وفي آل المغيرة كان قدماً وفي الأعياص مكرمة وجود
فجرير لم يذكر الأعياص إلا عرضاً

وإذا عدنا إلى القوم زمن الجاهلية لا نجد أثراً لهذا التنافس
المزعوم فقريش تعترف بفضل هاشم واسمه عمرو وفيه يقال :
عمرو الذي هشم الثريد لقومه وهم بمكة مستنون عجاف
كما تعترف بفضل عبد المطلب حافر زمزم وساقى الحجيج .
وذكر بني أمية بمكة يبتدىء بأبي سفيان بن حرب، فهو الذي تكون له
راية قريش إذا لم يتفقوا على أحد غيره .

وأما المؤمنين رملة من أزواج رسول الله ﷺ قبل كل شيء وهي نفسها تقدر هذا الاعتبار فهي التي طوت بساط رسول الله ﷺ عن والدها حين زارها في المدينة وهو آن ذاك لم يزل مشركاً، وقالت إنها تضمن ببساط رسول الله ﷺ على المشركين.

لقد أخلصت رملة لرسول الله عليه الصلاة والسلام فكانت حريصة على إرضائه وعلى نيل الخير منه. وهي التي عرضت على رسول الله ﷺ أن يتزوج أختها لتشاركها في فضله وخيره، وأبلغته أنها سمعت أنه سوف يتزوج بابنة أبي سلمة من أم سلمة وبين لها رسول الله ﷺ أن ما سمعته غير صحيح وغير ممكن شرعاً، فبنت أبي سلمة ربيبته وبنات أخيه في الرضاعة ثم أمرها وأمر نساءه أن لا يعرضن عليه أخواتهن أو بناتهن، وانتهت رملة وانتهى نساء النبي عليه الصلاة والسلام وعرف المسلمون ما حرم عليهم بالنسب والصهر والرضاع. وتوفيت رملة عام أربع وأربعين وذلك في خلافة أخيها معاوية.

(٨) في بيت زينب بنت خزيمة

وهي زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة. وهي أم المؤمنين عامة وأم المساكين بالخصوص، عرفت برحمتها ورقتها بالضعفاء. كانت قبل عبيدة بن الحارث بن المطلب عند ابن عمها جهم بن عمرو بن الحارث، ثم استشهد عندها عبيدة بن الحارث يوم بدر. وذلك في مبارزة مشهورة لا تزال تتغنى بأمرها الولائد إلى اليوم.

وبعد عبيدة دخلت زينب في بيوت النبي ﷺ فأجرها الله في مصيبتها. ورزقها خيراً من عبيدة، وقد قيل إنها هي التي وهبت نفسها للنبي ﷺ

وأنزل فيها القرآن كما قيل إنها ابنة عمها ميمونة وبعض المفسرين يقول إن الواهبة هي أم شريك الأنصارية والبعض يذكر أنها خولة بنت حكيم.

ومن الجائز أن يكن كلهن وهبن أنفسهن كما أن التنكير في لفظ الآية قد يدل على التعدد. مع أن الذي شهره العلماء أنها خولة بنت حكيم التي كانت عند عثمان بن مظعون.

وما لبثت زينب بنت خزيمة أن أجابت داعي ربه. فكانت هي وخديجة بنت خويلد اللتين توفيتا في حياة رسول الله ﷺ من بين أزواجه أمهات المؤمنين. فكان لهما حسن الحظ أن كان الرسول عليه الصلاة والسلام شهيداً على حياتهما الإسلامية ولقيتا الله وهو عنهما راض ورضي الله عنهما وصلى عليها رسول الله عليه الصلاة والسلام.

(٩) في بيت جويرية

لقد كانت خزاعة دوماً عيبة نصح رسول الله، لقد أسلم منهم البعض والبعض ظل وفيماً لحلف عبد المطلب معهم. وكانوا يشبطون عنه. ويرصدون له أخبار قريش ويستنجدونه في بعض الأوقات، ويفرحون ويتغنون بنصره على الأعداء. نورد من ذلك قوله عمرو بن سالم الخزاعي قبل يوم الفتح:

يا رب إني ناشد محمداً حلف أبينا وأبيه الأتلدا

وقولة جعدة بن عبد الله الخزاعي بعد فتح مكة.

خطرنا وراء المسلمين بجحفل ذوي عضد من خيلنا ورماح

وقول نجيد بن عمران الخزاعي:

ومن أجلنا حلت بمكة حرمة لندرك ثأراً بالسيوف القواضب

ولكن بني المصطلق من خزاعة لم يكونوا لرسول الله ﷺ مثل أبناء عمومتهم من بني مليح بن خزاعة وبني كعب بن ربيعة. وقد بلغ رسول الله عليه الصلاة والسلام أن الحارث بن أبي ضرار سيد بني المصطلق يستعد لغزوه، ويريد أن يظهر عليه قريشاً ويفسد عليه في خزاعة.

فسبقهم النبي ﷺ بالغزو، وكانت غزوة المريسيع. وفي هذه الغزوة وقع حديث الإفك المشهور. وفيها أيضاً أظهر الله عصمته لرسوله، وذلك أنه كان نائماً في ظل شجرة، فأتاه بعض أعدائه من الأعراب وجرده سيفه وقال له: من يمنعك مني؟ فقال له النبي «الله» فبهت الذي كفر، وشام السيف وأتاه المسلمون لكن رسول الله ﷺ عفا عنه.

وفي هذه الغزوة أيضاً سببت برة بنت الحارث بن أبي ضرار الخزاعية وصارت جويرية أم المؤمنين.

وقد وردت في أمر جويرية روايتان، كلتاهما طريفة قيل إنه لما قدم النبي ﷺ من غزوة بني المصطلق أقبل الحارث بن ضرار بفدائها ولما وصل العقيق رغب في بيعيرين من الإبل التي ساقها للفداء، فغيبهما في شعب من شعاب العقيق. ثم أتى النبي ﷺ وقال يا محمد لقد أصبتم ابنتي وهذا فداؤها. فقال له النبي عليه الصلاة والسلام أين البعيران اللذان غيبت بالعقيق؟ فقال الحارث أشهد أن لا إله إلا الله وأنتك رسول الله. فوالله ما اطلع على ذلك إلا الله فأسلم الحارث وقومه وخطب عنده النبي ﷺ جويرية فزوجها منه.

والرواية الثانية تذكر أن جويرية وقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس وكاتبته لتفدي منه نفسها، ثم جاءت النبي ﷺ تستعينه في كتابتها وقالت عائشة والله ما هو إلا أن رأيتها على باب

حجرتي فكرهتها وعرفت أنه سيرى منها ﷺ مثل ما رأيت، وكانت حلوة الخلق مليحة الوجه ثم دخلت على النبي ﷺ وقالت «أنا برة بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومه، وقد أصابني ما لم يخف عليك وجئتك أستعينك على كتابتي». فقال «فهل لك في خير من ذلك»؟ قالت وما هو يا رسول الله؟ قال أقضِ عنك كتابتك وأتزوجك. قالت نعم! قال قد فعلت وانتهى الأمر.

وشاع الخبر في المدينة، وتواصى الصحابة أن يعتقوا جميع سبي بني المصطلق إكراماً لأصهار رسول الله ﷺ فأعتق منهم ما يزيد على المائة.

ودخلت جويرية بيوت النبي ﷺ وانتظمت في سلك أمهات المؤمنين ورزقها الله خيراً من ابن صفوان الخزاعي. وأصبحت من اللواتي يعدهن الله الجنة في القرآن ويصلي عليهن جميع المسلمين.

وكان من بركة جويرية أن رفع الله اسم قومها فقد بعث رسول الله ﷺ عليه وسلم الوليد بن عقبة بن أبي معيط ليأخذ صدقاتهم ولكنه لما رآهم اجتمعوا أمامه غلب الخوف على نفسه وظن أنهم اجتمعوا ليقتلوه فعاد هارباً وادعى أنهم منعه الزكاة وهموا بقتله. وأراد النبي عليه الصلاة والسلام أن يغزوهم من جديد حتى جاءوا وأخبروا رسول الله ﷺ بالذي كان من أمرهم وأمر الوليد، ونزلت في هذه القصة الآية الكريمة ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾ وعرف رسول الله ﷺ، استعجال الوليد وتسرعه بالحكم عليهم.

عاشت جويرية بعد رسول الله ﷺ زهاء خمس وأربعين سنة ثم التحقت به رضوان الله عليها وعلى صواحبها.

(١٠) في بيت صفية بنت حيي

لما قدم رسول الله ﷺ دار هجرته ومدينة أنصاره كان فيها قبائل من اليهود مخالفين لسكانها بني النجار، وبني الحارث بن الخزرج، وبني عوف، وكتب رسول الله ﷺ لهم وثيقة انتظم بها شمل ساكني المدينة من مهاجرين وأنصار وحلفائهم من اليهود. وفي هذه الوثيقة أن كلاً من هذه الجماعات على وثيقته، ويعامل بالمعروف ومما فيها أن اليهود لهم دينهم وللمسلمين دينهم. وأنهم ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين. ولا يخرجون عن المدينة إلا بإذن رسول الله ﷺ وأن لا يظاهروا عليه المشركين. وأن لهم النصر والأسوة إن ظلموا وأن الظالم منهم لا يوبق إلا نفسه وأهل بيته.

واستمر على عهده حتى بعد بدر بقليل، وتوجه أبو سفيان بن حرب في جيش إلى المدينة، وآواه حيي بن أخطب زعيم بني النضير، وأعطاه ما عنده من أسرار المسلمين وسمع النبي ﷺ الخبر وتغاضى عنه مراعاة لعهده الذي قطع على نفسه. ثم أتى رسول الله ﷺ بني النضير في شأن ديتين تحملهما المسلمون لبني عامر. وكان العهد السابق الذكر يقتضي أن اليهود يعينون المسلمين في نوائبهم. ولما أتاهم وعدوه بالإعانة وأضمروا الشر والغدر، فانتدبوا أحدهم أن يصعد على ظهر دار لهم ويلقي صخرة على رسول الله ﷺ. وقد جهلوا أن روح القدس لهم بالمرصاد وأن النبي عليه الصلاة والسلام قد عصم من أعدائه. فعرف النبي ﷺ الخبر فرجع إلى المدينة وقرر إجلاءهم فغزاهم وحاصرهم. وأحرق نخلهم بإذن باعته ومؤيده. فأخربوا بيوتهم بأيديهم وفروا، وأورث الله المسلمين أرضهم وديارهم. وذل من ناصرهم من المنافقين وكفار قريش.

وهان على سراة بني لؤي حريق بالبويرة مستطير
قد فر بنو النضير إلى خيبر وكان على رأسهم حيي بن أخطب،
وهو رأس الغدر ومعه كنانة بن أبي الحقيق ودان له أهل خيبر.

وفي هؤلاء الفارين امرأتان إحداهما عرفها تاريخ الإسلام.
وهي صفية بنت حيي وستحدث عنها عما قريب، والثانية عرفها
تاريخ الأدب وسمر عليها مر الكرام، وهي أم وهب صاحبة عروة بن
الورد التي يقول فيها:

أرقت وصحبتى بمضيق عمق لبرق في تهامة مستطير
إذا قلت استهل على قديد يحور ربابه حور الكسير
سقى سلمى وأين ديار سلمى إذا حلت مجاورة السدير
إذا حلت بأرض بني علي وأهلي بين أمرة وكير
وذكرت منازل من أم وهب محل الحي أسفل ذي النكير
وأحدث معهد من أم وهب معرسنا فويق بني النضير .. الخ

وأما صفية بنت حيي فقد ذهبت مع قومها إلى خيبر. ومكثت
هناك زهاء خمسة أعوام. وهي لا تعلم ماذا تهىء لها الأقدار. ثم
صارت عند كنانة بن أبي الحقيق. وتقول بعض الروايات إنها قصت
عليه رؤيا رأتها وهي أنها احتضنت قمر السماء. فضربها كنانة قائلاً
أتطمعين بملك قريش؟

وبقي من بقي من اليهود حول المدينة يوالون عبدة الأوثان
ويقولون إنهم أهدى سبيلاً من المسلمين الذين يؤمنون بالله وحده
وبرسلة جميعاً ويؤمنون بما أنزل الله من كتاب، فغدر بنو قينقاع، فحل
بهم العذاب، ولم يبق إلا بنو قريظة، وقبل وقعة الأحزاب، أتاهم

حيي بن أخطب، من خير لا يجمله إلا الغدر، واحتال حتى دخل على كعب زعيمهم وحرّضه على مناصرة كفار قريش، ولم يزل يفتل في الذروة والغارب حتى قاده إلى عذاب الدنيا والآخرة.

وهزم الله الأحزاب وحده وكفى المؤمنين القتال، وذاق بنو قريظة مر ما صنعوا وذاق حيي عاقبة ما اقترف، ولكن رسول الله ﷺ عرف أن أهل خيبر لن يفتأوا يظاهرون على المسلمين ويعينون أعداءهم من المشركين. فكان غزو خيبر وفتح الله فيه على المسلمين. وخربت خيبر. فلما صبحهم جيش رسول الله ﷺ ساء صباح المنذرين. وقتل كنانة وسبيت صفية بنت حيي، وهي كانت عنده.

وقيل إنها كانت في سهم دحية الكلبي وعوضه رسول الله ﷺ عنها، ولما صارت في ملكه أعتقها وتزوجها.

وهنا تظهر معجزة يجب أن نقف عندها قليلاً. فصفية هذه قد قتل المسلمون أباهما وزوجها، وأجلوا قومها من ديارهم، وغزوه في خيبر وأستأصلوهم وأخذت وهي أمة مملوكة بعدما كانت بنت سيد قومها، وهما هي تسلم وتؤمن برسالة محمد عليه الصلاة والسلام، وهي راضية كل الرضا. فهي بنفسها تروي لنا خبرها.

تقول إن رسول الله ﷺ أَرَدَها خلفه وقد أضر بها التعب والنعاس وصارت جبهتها تضرب مؤخر الرجل فيمسها بيده ويقول: «مهلاً يا هذه مهلاً يا ابنة حيي، حتى وصلوا الصهباء قال لها: «أما إنني أعتذر إليك يا صفية مما صنعت بقومك إنهم قالوا لي كذا وقالوا كذا» ورضيت صفية بهذا العذر وقبلته، ورضيت أن تدخل في بيته وأن تدين بدينه الحنيف، وكان بها برأ رؤوفاً. فإذا أرادت أن تترك

خلفه جلس عند بعيره فيضع ركبته، وتضع صفيه رجلها على ركبته حتى تركب وكان يوطئها خلفه بعباءته كي لا يتعبها السفر، وحين سقط بها بعير ذات يوم وأتى أبو طلحة ليتأكد أن رسول الله عليه الصلاة والسلام لم يصبه أذى قال له النبي ﷺ عليك بالمرأة. كل هذا الرفق والحنان لم تنسه صفيه وظلت تتحدث عنه فيما بعد وتقول: «ما رأيت قط أحسن خلقاً من رسول الله ﷺ».

وبالطبع فإن هذه المعجزة لم تكن فريدة من نوعها. فقد كان الإسلام في صدر الإسلام هو الرحيم الوحيد، وكان المسلمون يحبون الله ورسوله محبة لا تترك مكاناً لمحبة أولي الأرحام من غير المسلمين، والأمثلة لهذا الأمر كثيرة جداً، ففي يوم بدر قتل عمر بن الخطاب خاله العاص بن هشام بن المغيرة وقال أبو بكر إنه لو تمكن من قتل ابنه عبد الرحمن، لقتله. ولما مر مصعب بن عمير على أحد الأنصار وهو يقيد أخاه أبا عزيز وهو في الأسرى قال: «اشدد على يده فإن أمه ذات مال وستفديه منك». وفي غزوة المريسيع قال ابن عبد الله بن أبي لرسول الله ﷺ دعني آتتك برأس أبي وذلك حين بلغه قول هذا المنافق ﴿لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل﴾ وكان الإسلام حداً فاصلاً بين الأقارب، وجامعاً بين الأبعد. ونرى من براهين ذلك أن الابن حينما يسلم لم يعد يطبق الإقامة مع والديه المشركين ولو عذبوه، ومن ذلك قصة أبي جندل بن سهيل في الحديبية.

ولما أسلمت صفيه نسيت كل شيء من أمر قومها والتحقت في بيوت النبي ﷺ، ومن الطريف أن نلاحظ أن قد كانت بينها وبين رسول الله ﷺ علاقات خاصة لم تكن بينه مع سائر نسائه. ونراه وهو معتكف في المسجد لا يرغب أن يخالط نساءه فكان لا يأتي لبيته إلا الحاجة - وقد أراد

مرة الاعتكاف في رمضان ورأى أخبية حول المسجد وفيها عائشة وحفصة وزينب بنت جحش، فأنكر ذلك عليهن وقال: «ألسر تردن؟» وترك الاعتكاف ولكننا نراه في المسجد معتكفاً وتزوره نساؤه ولما يردن الذهب يأمر صفية بنت حيي أن تبقى معه ساعة. وحين تريد الذهب من عنده يخرج معها يشيعها إلى باب المسجد. ويمر به رجلان من الأنصار ويسلمان عليه ويريدان الانصراف ولكن رسول الله ﷺ يقول لهما: «على رسلكما إنها صفية بنت حيي. ويكبر هذا الاعتذار عليهما ويقولان سبحان الله يا رسول الله» غير أنه يذكرهما أن الشيطان يجري في الإنسان مجرى الدم. ففي هذا الحادث نرى أمرين أحدهما تلك العلاقة الخاصة التي بينه وبين زوجة صفية، والثانية حرصه على أن يتجنب المسلمون مظان التهم، وموارد الشياطين.

ونجد هذه العلاقة فيما كان يخاطبها به الرسول عليه الصلاة والسلام. لقد كان يوجه إليها عبارات ظاهرها الدعاء عليها وهي في الحقيقة خطاب المقربين. ففي حجها معه بلغه أنها لا تستطيع أن تطوف فقال النبي عليه الصلاة والسلام: «حلقى عقرى أو حابستنا هي؟» وقد ورد نوع هذه العبارة لعائشة في قوله لها «تربت يمينك». كما قال لأبي بصير «ويل أمه محش حرب». فهذه العبارات تدل إما على نوع من الإعجاب مثل ما يخص أبا بصير أو نوع من إظهار القرب وإسقاط التحفظ مثل ما وقع لصفية وعائشة.

وهذه هي صفية بنت حيي التي اصطفها الله لرسوله واصطفهاها الرسول لتقيم معه ثلاث سنين وتحيا بعده في بيوته ستاً وعشرين سنة

والتحقت به وبقي اسمها خالداً حياً بين أسماء أمهات المؤمنين.
رضي الله عنها وعنهن جميعاً.

(١١) في بيت ميمونة

وهي أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث بن حز بن يجبر من بني
هلال بن عامر بن صعصعة. وأمها هند بنت عمرو التي اشتهرت
بأصهارها الكرام الذين يضرب بهم المثل.

مضى عام بعد الحديبية وذهب رسول الله ﷺ وفقاً للهدنة مع
قريش، ووصل مكة وطاف معه قومه، وفي هذا السفر تزوج ميمونة
الهلالية. وقد روى ابن عباس أنه تزوجها وهو محرم. وقد نشأ عن
حديث ابن عباس خلاف شديد بين الفقهاء. فأخذ منه أهل العراق
جواز تزويج المحرم واستراحوا. لكن علماء أهل المدينة أقسموا بالله
جهد أيمانهم أن زواج المحرم لا يحل. وأن ليس له أن يكون ولياً ولا
أحد الزوجين ولا أن يحضر مجلسهم أو يحوم حومتهم. واستدلوا بما
روى أبان بن عثمان بن عفان عن أبيه أن رسول الله ﷺ: «قال لا ينكح
المحرم ولا ينكح ولا ينكح». وقال سعيد بن المسيب زعيم فقهاء
المدينة إن ابن عباس وهم في حديثه. وأن الصحيح أنه تزوجها وهو
غير محرم. ومن أهل المدينة من فسر لفظة محرم في حديث ابن عباس
بأنه في الأشهر الحرم واستدل بقول الشاعر:

«قتلوا ابن عفان الخليفة محرماً»

ولا نطيل الكلام عن هذا الخلاف فنحن من حزب أهل المدينة
ونرى رأيهم.

وسبق أن ذكرنا القول القائل بأن ميمونة هي التي وهبت نفسها

للنبي ﷺ وتقول رواية أخرى إنها وصلتها خطبته وهي على بعير. فقالت البعير وما عليه لله ولرسوله ﷺ. وهذا يدل على الرضا، وبه يبرم العقد، وذهبت ميمونة من مكة مع الركب وحين وصلوا سرفاً وهو مكان بين مكة والمدينة دخلت بيت رسول الله عليه الصلاة والسلام. ومن غريب الصدف أنها لقيت ربها في هذا المكان نفسه. وذلك في خلافة معاوية.

خاتمة

هؤلاء هن أمهات المؤمنين وأزواج النبي ﷺ اللواتي قال الله في أمرهن هذا القول:

﴿يا أيها النبي قل لأزواجك إن كتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعن وأسرحن سراحاً جميلاً. وإن كتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً، يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيراً. ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحاً نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقاً كريماً، يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً. وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة، إن الله كان لطيفاً خبيراً﴾.

ومن هذه الآيات عرف نساء النبي أنهن نساء رسول الله ﷺ وأن الله لا يريد أن يكن كأحد من النساء، فليس هن أن يتغايرن حتى يغضبه ولا

يتظاهرن عليه، وليس هن أن يراجعنه ويهجرنه، ولا أن يطلبن منه ما
تطلب نساء الملوك منهم من حلي وحلل. وأمره الله أن يخيرهن بين الله
ورسوله وبين الحياة الدنيا وبهجتها. وخيرهن النبي ﷺ واخترن كلهن الله
ورسوله عليه الصلاة والسلام، وامتلن كلهن أمر الله وأمر رسوله.
وجازهن الله في الدنيا والآخرة أحسن الجزاء، فقد قال لرسوله إنه لا يجل
له أن يفارقهن أو يتزوج غيرهن وهذا من أعظم جزاء الدنيا. وفي الآخرة
أعد هن رزقاً كريماً.

وبعد وفاة أزواج الرسول عليه الصلاة والسلام، بقيت بيوتهن
كما هي عليه برهة من الزمن. فكان المسلمون يزورونها ويقبلون
جدرانها وأبوابها.

وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا
وفي عهد الوليد بن عبد الملك بن مروان أمر أن تدخل هذه
البيوت في المسجد النبوي. وأدخلت فيه. ولما جاء كتابه بذلك ضج
أهل المدينة بالبكاء وكان عليهم يوماً عظيماً. وهم معذورون وحق لهم
البكاء فلم يعودوا بعد ذلك اليوم يرون بيوت النبي ﷺ كما كانت عليه على
عهد رسول الله ﷺ. ولن يروا تلك الجدران التي كان يستند عليها وكانت
تسمع حديثه وتستتر أزواجه، ولن يروا أبداً بعد ذلك اليوم أسقف الجريد
التي كانت تظله وتكن نساءه ولا حجرته التي كان ينفرد فيه ويتناول
أطراف الحديث مع جبريل عليه السلام ويتلقى الوحي من رب البشر ولن
يروا تلك الأكسية التي كانت تحوط بهذه الحجرة ولا خشبات سريره
المشدودة بالليف ولا بساطه ووساده في نفس المكان الذي كان يستريح فيه
ويستعد منه لنشر الإسلام على الأرض ليبقى شعاعه خالداً يضيء لأبناء
البشر جيلاً بعد جيل.

المهاجرون الأولون

بنو هاشم وبنو المطلب

نبدأ الحديث عن المهاجرين الأولين بعشيرة النبي الأقربين، أي بالمهاجرين من بني هاشم وبني المطلب، ونحن في هذا الترتيب لا نتعرض لنظريات المفاضلة بين الصحابة عامة، أو بين الخلفاء الراشدين بالخصوص فرأينا في أفضلية أبي بكر هو رأي أهل السنة، ونظر أهل السنة في الخلفاء وفي غيرهم يتوقف على ما ثبت عن الرسول عليه الصلاة والسلام. وحينها دون عمر بن الخطاب بدأ ببني هاشم ثم بأبي بكر، وقال إن شرف العرب إنما هو من قبل محمد بن عبد الله نبي الله ورسوله.

سوف نرى في الفصل التالي بعض المواقف التي كانت لأبي بكر في صدر الإسلام. وفي أثناء الظروف الحرجة التي كانت بعد التحاق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى. وفي هذا الفصل سنستعرض قليلاً - وقليلًا جدًا - من عمل سيد المجاهدين علي بن أبي طالب، ثم نستعيد من ذاكرة التاريخ بعض الأدوار المجيدة التي قام بها سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب وجعفر بن أبي طالب وعمه العباس، وأبناء الحارث بن عبد المطلب وزيد بن حارثة.

(١) علي بن أبي طالب

نستفتح بعلي بن أبي طالب ونذكر أن أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم يقال إنها أول هاشمية ولدت هاشمياً. كنيته أبو الحسن وكناه رسول الله ﷺ بأبي تراب. وذلك أن النبي ﷺ جاء فاطمة وقال: أين ابن عمك؟ قالت جرى بيننا كلام وخرج مغضباً إلى المسجد. فذهب الرسول عليه الصلاة والسلام إلى المسجد فوجد علياً مضطجعاً على الأرض فجعل ينفذ عنه الغبار بيده ويقول: «قم أبا تراب! قم أبا تراب!».

أمه من المسلمات المهاجرات. توفيت في المدينة واعتنى الرسول ﷺ بتجهيزها ودفنها.

أما أبوه ، أبو طالب، فإن تاريخه يرتبط ارتباطاً وثيقاً بنحو من خمسين سنة من حياة الرسول ﷺ لقد رأينا أنه احتضنه بعد وفاة عبد المطلب، واعتنى برعاية طفولته وشبابه وبدت له منه إرهاصات عرفته أن سيكون له شأن فحرص أن لا يفارقه في حضر أو سفر، وحين بلغ مبلغ الرجال، تولى تزويجه من خديجة، وظل يرقب تطور الأحداث في أمره، وحينما بعث رسولاً وثارت عليه نائرة قريش هب لنصرته والدفاع عنه، ولما توفي أبو طالب، حزن رسول الله ﷺ لفراق عمه الحبيب أبي طالب الذي كفله صغيراً، ونصره يافعاً وحماه رسولاً. أبو طالب الذي كبر عليه ما يلاقي ابن أخيه من قريش فسل دونه سيفه ولسانه فهو يقول:

إذا اجتمعت يوماً قريش لمفخر
وإن حصلت أشراف عبد منافها
وإن فخرت يوماً فإن محمداً
فعبد مناف سرها وصميمها
ففي هاشم أشرافها وقديمها
هو المصطفى من سرها وكرمها

وله في رسول الله ﷺ لاميته المشهورة نذكر منها خطابه لقريش:
كذبتهم وبيت الله نسلم محمداً
ونسلمه حتى نصرع دونه
وينهض قوم بالحديد إليكم
ولما نطاعن دونه وناضل
ونذهل عن أبنائنا والحلائل
نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل
ومنها:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه
يلوذ به الهلاك من آل هاشم
ثمال اليتامى عصمة للأرامل
فهم عنده في رحمة وفواضل

هكذا كان يقول أبو طالب وكان يفعل أحسن مما يقول، وإذا
كان الكلام قد كثر في إسلامه وعدمه، فإن أمامه رباً رؤوفاً رحماً
يخرج من النار كل من في قلبه مثقال حبة من الخردل من خير، وفي
قلب أبي طالب كثير من الخير^(١)

ولما أحس الرسول ﷺ بما يلقي عمه أبو طالب من ضائقة اليد
أراد أن يخفف عنه مؤونة عياله، فأوى علياً في بيت خديجة وتربى
علي بن أبي طالب في هذا البيت أحسن تربية، فلقد كان من أول
الناس إسلاماً ويروى أنه أول من صلى مع رسول الله ﷺ ولازم الرسول ﷺ

(١) قول يرد عليه: جاء في زاد المسلم أن العباس بن عبد المطلب قال لرسول الله ﷺ ماذا نفعت به
عمك الشيخ الضال قال وهو في ضحضاح من النار يغلي منه دماغه ولولا أنا لكان في الدرك
الأسفل من النار متفق عليه.

ملازمة الظل للجسم ودرس في مدرسة الأرقم بن أبي الأرقم حتى صار باب مدينة علم الرسول ﷺ .

عرف ابن أبي طالب بالبطولة والشجاعة، ذلك أن تفانيه في حياة الرسول يجعله لا يعطي لحياته الدنيا قيمة إلا بقدر ما تسهم في إعلاء كلمة الرسالة. فلقد نام في فراش النبي ﷺ ليلة هجرته، لا يبالي أضربته قريش ضربة رجل واحد، أم لم يضربوه. ورد أمانات الرسول إلى أهلها، وتجشم مخاطر الهجرة حتى التحق بالرسول في قباء. وأثناء غزوات الرسول وسراياه، كان يحمل لواءه في كل مشهد، يتحدى كل من يدعو إلى المبارزة ويحمد بسيفه كل من يريد إطفاء نور الإسلام. وثبت مع رسول الله يوم أحد وبايعه على الموت.

ولقد رضي الله ورسوله عن علي، شهد له القرآن بالإيمان والرسول بالجنة، ولما جرت مشاجرة بينه وبين عقبه بن أبي معيط أنزل الله فيها قوله:

﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً؟ لا يستونون!!﴾.

ولما آخا النبي ﷺ بين المهاجرين أثر علياً بإخوته ووضع يده على منكبه وقال أنت أخي ترثني^(١) وأرثك، ولما خلفه على المدينة في غزوة تبوك، وقع في نفس علي من ذلك شيء وقال لرسول الله أتخلفني في النساء والصبيان؟ متسائلاً هل كان استخلافه يعني أن قد أخذ عليه ما يكره فتضحك الرسول من قول علي: وخاطبه قائلاً «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ غير أنه لا نبي بعدي»، وأعطاه الراية يوم خيبر وبصق

(١) لم أطلع على هذه اللفظة إلا في هذا الكتاب، وقوله ﷺ: لا نورث بردها ويضعف نصيبها من الصحة.

في عينه فبريء ما بها من رمد، وقال إن الله يحبهُ ورسوله، وفتح على يديه حصن خير.

وقال عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة: كان لعلي ما شئت من ضرس قاطع في العلم وكان له البسطة في العشيرة والقدم في الإسلام والعهد برسول الله ﷺ . والفقهُ في السنة، والنجدة في الحرب، والوجود في المال.

وهو مع هذا كله زوج فاطمة بنت محمد، بضعة الرسول عليه الصلاة والسلام فقد كان يدعوه هو وفاطمة وحسناً وحسيناً ويقول «اللهم هؤلاء أهلي» أخرجه مسلم وأخرج الترمذي والنسائي وابن ماجه عن حبشي بن جنادة، وقال رسول الله ﷺ «أنا من علي وعلي مني» وقال عنه يوم غدير خم .

«من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»

وبعثه قاضياً إلى اليمن ودعا له بتثبيت اللسان وهداية القلب، فهو باب مدينة العلم ورابع الخلفاء الراشدين وأبو حفدة رسول الله ﷺ .

بويع له بالخلافة بعد عثمان، وتولى أمر المسلمين منه خليفة عدل القضاء وكريم النفس كان يقسم ما في بيت المال ويجلس في محله ويصلي ويتمثل بقول عمرو ذي الطوق اللخمي .

هذا جنائي وخياره فيه إذ كل جان يده إلى فيه وبعد وفاة الرسول ﷺ لم يخب شهاب الهجرة في نفس علي ولم يضعف نور الجهاد في قلبه، فكان الساعد الأيمن لأبي بكر، والسند القوي لعمر بن الخطاب والمستشار الأمين لعثمان بن عفان ولما ثارت الفتنة على

عثمان جهد علي في إطفائها، ولما قتل قال للغادرين: «تباً لكم آخر الدهر»
 وحين بويع بالخلافة أخذ مهامه بقوة وثبات وأراد أن يجعل من الحق
 المقياس الوحيد لعمله وسلوكه. ولما لاقى من الأمة ما لقي، رأى النبي ﷺ
 في المنام. وشكى إليه ما يرى من الناس فكانت عاقبة أمره أن استشهد في
 سبيل إعلاء كلمة الرسالة وسيرها على الجادة النبوية، فبدله الله خيراً من
 الناس، وأبدلهم الله شراً منه، وهو إلى كل هذه الخصال الشاعر الحكيم
 وقد قال المبرد إنه كتب على سيفه:

لناس حرص على الدنيا بتدبير وصفوها لك ممزوج بتقدير
 لم يرزقوها بعدما قسمت لكنهم رزقوها بالمقادير
 كم من أديب لبيب لا تساعده وأحمق نال دنياه بتقصير
 لو كان عن قوة أو عن مطالبة طار البزاة بأرزاق العصافير

ويروى الفيروز آبادي في القاموس المحيط، عازياً للمازني، أن
 علياً لم يتكلم بشيء من الشعر ما عدا بيتين وهما:

تلکم قريش تمناني لتقتلني فلا وربك ما بروا وما ظفروا
 فإن هلكت فرهن ذمتي لهم بذات ودقين لا يعفو لها أثر

ولعل قريشاً لم تنس ما كانت تلاقيه من ابن أبي طالب حينما
 كانت تحارب الله ورسوله فتمنت قتله ولم تظفر به، وإنما فاز بالشهادة
 على يد أشقى الناس عبد الرحمن بن ملجم. فترك داهية ذات ودقين
 لا يعفو لها أثر إلى اليوم.

والحديث عن علي قد يطول، وكفاه فخراً أن جميع المنتمين إلى
 النسب الشريف هم من سلالته، فابنة أبي العاص بن الربيع انقطع
 عقبها بعد ابنها يحيى بن المغيرة بن نوفل، وابن عثمان من رقية توفى

صغيراً. فيبقى والله الحمد الشرفاء والسادة من أبناء الحسن والحسين،
وعقب زينب بنت علي بن أبي طالب التي كانت عند عبد الله بن
جعفر بن أبي طالب وأبنائهما هم: الزينبيون. وكانت أم كلثوم ابنة علي
من فاطمة عند عمر بن الخطاب ورزقت ولدين ماتا صغيرين ولم يعقبا.

(٢) حمزة بن عبد المطلب

لقد سبقت مشيئة الله لأبي جهل أن يسلك طريق الضلال، وأن
يجعل في قلبه حمية الجاهلية.

ولقد أراد الله أن يهدي حمزة سبيل الرشاد وأن يجعل في قلبه
غيرة الإسلام.

وهكذا كانت قصة إسلام حمزة بن عبد المطلب، بلغه أن أبا
جهل نال من ابن أخيه محمد وآذاه ونال منه ما يكره فساقتة الحمية،
إلى عمرو بن هشام، فشججه، بقوسه شجة منكورة، وبادر إلى
محمد بن عبد الله ليشهد أنه رسول الله وأنه جاء بالحق من عند ربه،
كان ذلك في السنة السادسة من البعثة.

ولقد تضاعف سرور الرسول بإسلام عمه. ففرح بأن هداه الله
إلى الدين القويم، وفرح بإسلام أحد عشيرته الأقربين، يجمعها شية
الحمد من جهة الآباء، ويجمعها عبد مناف ابن زهرة من جهة
الأمهات، اشتركا الصبا والرضاعة، فعرف حمزة ابن أخيه صادقاً
وأميناً وعرف محمد بن عبد الله عمه وصولاً للرحم وفعولاً للخيرات،
وفرح بمؤازرة أعز فتى في قريش وأشدّها شكيمة، كان بالأمس بطلاً
شجاعاً يحب القنص، ويلهو في نوادي قريش وأصبح بعد إسلامه أسد

الله وأسد رسوله، فتعزز به الرسول وثبت به ركن الإيمان، فكان إسلامه، وإسلام عمر بن الخطاب انتصاراً للمؤمنين. لقد كانوا من قبلهم قليلاً مستضعفين وبعدهما انضموا إلى المسلمين، عرفت قريش أنها لم تعد قادرة على إطفاء شعلة الإسلام بالقوة، فحاول زعمائها استعمال طرق جديدة، لصد الرسول عن مواصلة التبليغ، وظل حمزة ناصراً ومجاهداً منتصراً من يوم أسلم حتى تقطعت أوصاله في سبيل الله.

وعقد له رسول الله عليه السلام أول لواء في الإسلام حين بعثه في سرية سيف البحر من أرض جهينة.

وفي بدر فعل الأفاعيل التي ارتعدت منها فرائص دولة الكفر. هزم شيبة بن ربيعة في المبارزة، ومات تحت حد سيفه طعيمة بن عدي وكفى الله على يده شر الأسود بن عبد الأسد المخزومي أحد المستهزئين، أعداء الرسول والإسلام.

وفي أحد استطاع أن يريح المسلمين من ثلاثين من الكفار المعتدين.

ثم شاءت الأقدار، أن تصيبه حربة وحشي غلام جبير بن مطعم. وبنال حمزة أحد إحدى الحسينيين غير أن فوزه بالشهادة لم يك أمراً سهلاً على المسلمين إنما كان ثلماً في سيوف المجاهدين، لقد استطاع قاتلوه أن يمثلوا به وأن ينتزعوا كبده من صدره وأن يضربوا حر وجهه وهو ميت.

فرأى الرسول ذلك الأسد المصور، والقائد الشجاع، والمؤمن الوفي والعم الرفيق طريحاً على أديم الأرض ممزق الأشلاء، فلا غرابة أن يتعالى الحزن في وجهه وتحيش عواطف الأسى في قلبه. فيفكر أن يتركه كما هو، حتى يبعث من بطون السباع وحواصل، الطير، ويذكر

أخته صفية، وما قد يصيبها من الحزن، ويهاب أن يكون هذا التصرف، سنة من بعده ويفكر في الثأر من قريش، وأنه سيمثل بسبعين رجلاً منهم. لكن ربه يسمع ويرى. ويأمر وينهى. فنهاه عن تجاوز المثل في العقاب. وأمره بالصبر وأعاناه عليه فأخبره جبريل أن حمزة قد كتب في أهل السموات السبع، فاطمأن الرسول وهان ذلك الحدث الذي قال عنه: لن يصاب بمثله أبداً.

فأقر تجهيزه ونظر إلى الملائكة وهم يغسلونه^(١). ودفنه بعد أن وقف خلفه طويلاً يدعو ويكبر: الله أكبر! الله أكبر، كرر الرسول هذا التكبير سبع مرات وهو واقف خلف حمزة، ثم أمر بالشهداء فاجتمعوا مع حمزة، وتكرر التكبير: الله أكبر! تكرر سبعين مرة - ليس حمزة مثل غيره، والصلاة عليه لا تشبه الصلاة على غيره.

ثم دفن حمزة سيد الشهداء، وخاطبه الرسول ﷺ: رحمك الله أي عم، لقد كنت وصولاً للرحم، فعولاً للخيرات. ثم عاد الرسول إلى المدينة، وسمع نساء بني عبد الأشهل يندبن موتاهن، فتذكر حمزة من جديد، وقال ولكن حمزة لا بواكي له، فتحزمت نساء بني عبد الأشهل فأسين بأنفسهن، وبكين على حمزة وتقول بعض الروايات إن نساء المدينة بقين أمداً طويلاً لا يبكين على ميت إلا بعد البكاء على حمزة، ولم يقتصر البكاء على النساء، فإن ابن رواحة يقول فيه:

بكت عيني وحق لها بكاهها وما يغني البكاء ولا العويل
على أسد الإله غداة قالوا أحزة ذاكم الرجل القتييل؟
أصيب المسلمون به جميعاً هناك وقد أصيب به الرسول

(١) لم أظف على أن الملائكة غسلت يوم أحد إلا حظلة بن أبي عامر ولا غرابة في غسلهم حمزة، غير أنه يحتاج إلى نقل صحيح والله أعلم.

غير أنه إذا كان المصاب بحمزة يوم أحد كبيراً. فإن من أصدق ما قيل فيه قول امرأة من بني ديار حين نعي لها زوجها وأخوها وأبوها، فقالت ما فعل رسول الله ﷺ قالوا خيراً. ثم قالت أرونيه حتى أنظر إليه ولما رآته قالت: «كل مصيبة بعدك جلل» وهي تعني أن كل المصائب تهون ما دام الرسول حياً.

(٣) جعفر بن أبي طالب

لقد قلنا إن علي بن أبي طالب سيد المجاهدين، وحمزة سيد الشهداء، ولا نبالغ إذا قلنا إن جعفر بن أبي طالب سيد أهل الهجرة. لم يكتف جعفر بن أبي طالب بالهجرة وأهله إلى الحبشة، فقد قام بدور حاسم في تثبيت المهاجرين الأولين. وفي صد كيد المعتدين، ولم تكتف قريش بإذابتهم في مكة، وإرغامهم على الفرار بدينهم، فلقد بعثت إثرهم وفداً من زعمائها محملاً بالهدايا، كي تستعيدهم، وتواصل التناكيل بهم، وتعذبهم وتردهم عن دين الله، كان علي رأس وفد قريش عمرو بن العاص السهمي قبل أن يهديه الله للإسلام، وهو الذي عرف بالدهاء والمهارة في الكيد، وفي أثناء سفارته جرت بينه وبين جعفر أمام النجاشي محاورة كان لها ما بعدها في مصير المهاجرين.

قدم عمرو بن العاص^(١) وعبد الله بن أبي ربيعة، وقدما للنجاشي

(١) الذي كان مع عمرو بن العاص في أول سفارة إلى الحبشة هو عمارة بن الوليد المخزومي على ما اعتقد وقصته معه مشهورة والله أعلم.

ما يعجبه من الهدايا الثمينة واستطاعا المثول بين يديه ليقولا له : « إن غلماناً سفهاء فارقوا دينهم في مكة وابتدعوا ديناً جديداً لا نعرفه نحن ولا أنت، وطلبنا منه باسم أشراف قريش أن يردهم إليهم مرغمين. واستمال عمرو وعبد الله بطارقة النجاشي فأيدوا قولهما. لكن النجاشي لم يرض إلا أن يسمع من هؤلاء المهاجرين ، قبل أن يبيت في طلب قريش. وفي هذا المشهد العظيم. انتدب المهاجرون جعفرأ لينطق بالحكمة، وليحق الحق ويبطل الباطل، قال جعفر «أيها الملك كنا قومأ أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فبعث الله إلينا رسولأ نعرف نسبه وصدقه وأمانته، وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده، ونعبده، ونخلع ما كان يعبد آبؤنا من دونه من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء. ونهانا عن الفواحش وقول الزور، وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئأ، وأمرنا بالصلاة والصيام. فصدقناه وآمنا به واتبعناه. . فعدا علينا قومنا، فعذبونا وفتنونا عن ديننا. . وقرأ جعفر آيات من سورة مريم على النجاشي، فبكى حتى أخضلت دموعه لحيته، وبكى أساقفته حتى أخضلوا صحفهم، وخسرت سفارة قريش وربحت أعمال المسلمين المهاجرين .

عاد عمرو بن العاص بعد فشل سفارته، وبقي جعفر في جوار النجاشي يعبد ربه بطمأنينة وأمان وتمر أعوام ويعود جعفر إلى المدينة ويصادف رجوعه فتح خيبر وقال الرسول عليه الصلاة والسلام، إنه لا يعرف بأبي الحادثتين أكثر فرحأ بفتح خيبر أم بعودة جعفر.

عاد جعفر إلى المدينة مع أصحاب السفينة من أهله وأصدقائه وكان من بينهم جماعة الأشعريين. وعاش جعفر في المدينة سنوات قليلة في رحاب الرسول ﷺ وهو ينظر منه إلى وجه مشرق ويرى منه أخلاقاً حميدة، فلا يخفي عنه إعجابه به ويقول له: أشبهت خلقي وخلقي، وهو تنويه ما قيل لأحد غير جعفر، ولقد كان أبو هريرة، يقسم أنه ليس في الصحابة مثل جعفر كرمًا وأخلاقاً. ويذكر أنه يقدم كل ما في بيته لزواره وأصدقائه ويقص أنه حين لم يبق في بيته تمر يفتح عكة التمر بالمواصي، ويطلب من الحاضرين أن يتبعوا بقايا آثار التمر في الوعاء، وإذا كان جعفر لم يبخل بماله في سبيل المسلمين فإنه لم يبخل بنفسه في سبيل الله، لقد سار في غزوة مؤتة، وعينه الرسول ﷺ أميراً بعد موت زيد بن حارثة، وأثناء المعركة استشهد زيد، وأخذ جعفر الراية براحتيه حتى قطعنا في سبيل الله، ثم احتضنها بين منكبيه وعاتقه حتى لقي ربه في طريق الجهاد.

وبلغ الرسول ﷺ موت جعفر، وبدا الحزن على وجهه، وظهرت منه الرقة على آل جعفر وثبته ربه تثبيتاً، فأوحى إليه أن الله استعاد لجعفر من يديه، جناحين في الجنة يطير بهما حيث يشاء.

وكان جعفر من أرفع الشهداء، الذين قيل عنهم في القرآن الكريم: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون، فرحين بما آتاهم الله من فضله، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾.

(٤) العباس بن عبد المطلب خاتم المهاجرين

مقامك بمكة خير لنا، وأرجو أن تختم بك الهجرة كما ختمت بي النبوة هكذا خاطب الرسول عليه الصلاة والسلام، عمه وصنو أبيه، ووزيره العباس.

وهكذا كان العباس، فلقد ظل مناصراً لابن أخيه، ولمن اتبعه من المسلمين. شاطر بني هاشم حصارهم في الشعب وتحمل أذى قريش في نصرة قومه، وحضر بيعة العقبة ليتأكد من عهود الأنصار لابن أخيه.

وفي يوم بدر جاء العباس مع قريش مكرهاً على خروجه، فكان من بين الأسرى. بات العباس يئن في وثاقه، وبات الرسول ساهراً يستمع إلى أناته وحينما ذكر المسلمون مكانته من نبينهم، وشفقة النبي ﷺ عليه، أرخوا من وثاقه، فسكت أمة وأنيته فأمرهم الرسول بإرخاء قيود جميع الأسارى، وهكذا امتثل الرسول أمر ربه بالعدل، ولو كان مع ذوي القربى.

ثم مثل العباس بين يدي الرسول ﷺ وكلمه في فدائه وقال إنه خرج مع قريش مكرهاً، وكان أسر مع ابن أخيه عقيل بن أبي طالب، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب فشكوا فقره وبين عذره وعرف النبي ﷺ من حاله ما عرف، فلم يرض إلا أن يعامله بمقتضى ما يرى الناس من ظاهر أمره.

وعاد إلى مكة مطمئناً فرحاً بسلامته، مبتهجاً في نفسه بنصر ابن أخيه، وظل مقيماً بمكة دون أن يعلن إيمانه فاحتفظ بعمارة المسجد الحرام، وسقاية الحاج. يتقوى به المسلمون في مكة ويتتبع انتصارات

الرسول وغزواته ، يفرح بما نال من نصر، ويحزن لما أصاب المسلمين من ضر.

كل هذا يدل على أنه امتثل ما رواه عن النبي ﷺ في حلاوة الإيمان: وهو أن ترضى بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً.

وفي غزوة الفتح استقبل الرسول قبل وصوله إلى مكة، وسفر بينه وبين أبي سفيان بن حرب، وساعد في إقناع رجال قريش أن لا يعتبروا فتح مكة هزيمة لقريش، وإنما نصر للإسلام، وأن الإسلام خير لهم لو كانوا يعلمون، ثم شهد حينئذ مع الرسول ﷺ وثبت في الجماعة التي ثبتت معه، ونادى بأعلى صوته، «يا أهل السمرة» وهو يعني أهل بيعة الرضوان ليعودوا إلى الله ورسوله.

وبعد غزوة حنين بقليل، غادر العباس وأهله بطحاء مكة، واستقر في دار الهجرة. في ظل ابن أخيه، الرسول الكريم، يواسيه بماله إذا احتاج إليه، ويغضب لغضبه ويرضى لرضاه. ويقسم أن لا يدخل الإيمان قلباً لا يحبه، ويقول: «من آذى عمي فقد آذاني»، ولقد بسطت الرعاية النبوية على أسرته. فدعا لابنه عبد الله دعوة جعلته إمام التأويل وحبر الأمة، وأباً للخلفاء العباسيين.

وعاش العباس بعد الرسول ﷺ سنوات تحفه الرعاية النبوية، ويحترمه الناس ويجلونه مستحضرين حسن سيرته، وما قال عنه الرسول: هذا عم نبيكم أجود قريش كفاً وأوصلها.

(1) الذي كان معي أن العباس هاجر بأهله إلى المدينة وأنه التقى بالنبي في غزوة الفتح بندي الخليفة فأرسل العباس العائلة إلى المدينة ورجع هو غازياً مع رسول الله ﷺ، والله تعالى أعلم.

ولما أصاب المسلمين من الشدة ما أصابهم استسقى به عمر
واستجاب الله لدعائه وفيها يقول حسان بن ثابت:

سأل الإمام وقد تتابع جدبنا فسقى الغمام بغرة العباس
عم النبي وصنو والده الذي ورث النبي بذاك دون الناس
فسقى الإله به البلاد فأصبحت مخضرة الأجانب بعد الياس

ومن مهاجري بني هاشم وبني المطلب، لن ننسى عبيدة بن
الحارث بن المطلب، الذي عقد له الرسول أول راية في الإسلام، ولقد
رأيناه يوم بدر من الذين بدأوا المعركة في المبارزة ضد أعداء الإسلام،
فكان في صف حمزة بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب فهلك تحت
حد أسيافهم أبناء ربيعة بن عبد شمس.

وبعد هذه المبارزة أنزل الله تعالى قوله: ﴿هذان خصمان
اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من
فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود﴾ الآية ثم يبين
الله ما للذين آمنوا وعملوا الصالحات من نعيم. وكان من الذين آمنوا
وعملوا الصالحات عبيدة بن الحارث. ويستدل بعض النحاة بهذه الآية
على أن ضمير الجمع قد يعود على المثنى. ولا أرى أنه على إطلاقه.
فالخصم قد يطلق على المفرد والجمع. ففي هذه الآية كانت التثنية
بحسب اعتبار الخصمين، وكان الجمع بحسب اعتبار جميع المتخاصمين
وهم ستة: حمزة وعلي وعبيدة وفي الجانب الثاني عتبة وابنه الوليد وأخوه
شيبه. ومثال هذا التركيب قوله تعالى: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين
اقتتلوا فأصلحو بينهما﴾. فالجمع بالنسبة للمؤمنين والتثنية بالنسبة
للطائفتين.

وشهد بدرًا مع عبيدة أخواه الحصين والطفيل وكلاهما ذو سابقة

في الهجرة والجهاد كما شهدها أيضاً ابن عمه مسطح بن أثاثة الذي أمر الله أبا بكر أن يعفو عنه ويصفح وأن يؤتية من فضل ماله .

وكان عبيدة أيضاً من آل بيت رسول الله ﷺ وهم أقاربه من آل هاشم وزاد الشافعي بني المطلب بن عبد مناف وهو مطلبي، ورأي محمد بن إدريس الشافعي يستند على أصول صحيحة. فقد كان بنو المطلب مع بني هاشم في السراء والضراء. كانوا معهم في حلف الفضول الذي قال عنه الزبير بن عبد المطلب .

إن الفضول تحالفوا وتعاهدوا أن لا يقر بطن مكة ظالم أمر عليه تعاهدوا وتوثقوا فالجار والمعتر فيهم سالم وكان بنو المطلب مع بني هاشم في الشعب ولم يكن معهم غيرهم من أبناء عمومتهم . فتحملوا معهم مقاطعة قريش وأذاهم .

وبعد فتح خيبر جاء عثمان بن عفان وجبير بن مطعم إلى رسول الله ﷺ فقالا له أعطيت بني المطلب من خمس خيبر وتركنا ونحن بمنزلة واحدة منك . فقال لهم رسول الله ﷺ إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد . وانتهى الأمر وصدق الشافعي .

ومن موالي بني هاشم، كان حقاً علينا، أن نلبث ساعة مع زيد بن حارثة . لقد أصابه سباه في الجاهلية حينما أغارت بنو القيس على قومه، وتداوله الملاك حتى بواه الله مباحاً صدق بعدما أهدها حكيم بن حزام لخديجة بنت خويلد . وكان من حسناتها أن أهدته إلى رسول الله ﷺ واشتد الحزن على والد زيد حارثة بن شراحيل الكلبي، فظل ردهاً من الزمن يسأل عنه في كل موسم ويستنطق السهل والجبال، بقي أعواماً لا يجد عنه خبراً، وهو لا يفتأ يذكر زيدا ويقول :

أحن إلى زيد ولم أدر ما فعل
أحي^١ فيرجى أم أتى دونه الأجل
وأخيراً اكتشف حارثة أن ابنه لم يزل حياً يرزق، وسارع إلى
الالتحاق به يقوده حبه وشوقه. ولقي حارثة ابنه عند محمد بن عبد الله
ورغب إليه في فدائه. غير أن محمداً عرض عليه ما هو خير. فنادى
محمد زيداً، وخيره بين المسير حراً مع أبيه وعمه وبين المقام معه في
مكة. ولكم كانت دهشة حارثة وأخيه، لما سمعا من زيد أنه يريد أن
يبقى في ملك محمد، بدلاً من أن يعود إلى أهله. ذلك أن زيداً عرف
من محمد ما لم يعرفه حارثة وأخوه. وحرص محمد بن عبد الله، أن
يبث تلك الطمأنينة في نفس والد زيد. فلما انتهى زيد من كلامه،
طاف محمد بالملأ من قريش. وأشهد جمعهم قائلًا إن زيداً هذا ابني،
يرثني وأرثه.

وغادر حارثة إلى أهله سعيداً بحياة ابنه ومطمئناً على مستقبله،
وظل زيد مع محمد حتى بعث فكان من أول الناس إسلاماً، حمد زيد
عاقبة أمره. فكان من أحب الناس إلى رسول الله عليه السلام. فما
بعثه في سرية إلا وهو أميرها، وما بقي عنه إلا وهو خليفة عنه ظل
في رعايته مكرماً وسعيداً. يقرع الباب على رسول الله ﷺ فيقوم إليه
ويعتنقه ويقبله. ولقد رأينا في معرض الحديث عن زينب بنت جحش
أن القرآن خصه بالتسمية على وجه التكريم، ولم يزل زيد مجاهداً في
سبيل الله ورسوله حتى رزق الشهادة في غزوة مؤتة.

ومن حلفاء بني هاشم نذكر مرشد بن أبي مرثد الغنوي، الذي
كان حليفاً لحمزة بن عبد المطلب. وشهد بدرًا واستشهد في غزوة
الرجيع.

مهاجرو بني تيم بن مرة

(١) أبو بكر بن أبي قحافة :

بعدهما وقر الإيمان في صدر أبي بكر بن أبي قحافة، وبعدهما أسلم على يده جماعة من أقاربه وأصدقائه ومن بينهم ابن عمه طلحة بن عبيد الله - أصبحت تيم كلها في عداد المسلمين - ولم يلق الإسلام منهم لا خصومة ولا عناداً. فلم يذكر منهم أحد من المستهزئين، ولم يتزعم أحد منهم حركة قريش في بدر، ولم يغز أحد منهم مع الكفار في يوم أحد.

كل ذلك من بركات آل أبي بكر، ومن فضل الله على أبي بكر. لقد كان أبو بكر أول من آمن من الرجال وأول خليفة من المسلمين. عرف المسلمون فضله وأجمعوا عليه، عرفوا أن الله سبحانه وتعالى ذكر صحبته في القرآن حين كان ثاني اثنين إذ هما في الغار. كما نزل فيه: ﴿وسيجنبها الأتقى الذي يؤق ماله يتزكى. وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى﴾، كما عني في أول هذه السورة بقوله تعالى: ﴿فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى﴾.

رضي الله إذاً عن أبي بكر وقال إنه صدق بالحسنى، وإنه غاية في التقوى وإنه كان ينفق ماله ابتغاء وجه الله ووعده ربه بأنه سوف يرضيه ولن يخلف الله وعده. وليس كل هذا ما نزل فيه من القرآن، فهو من «صالح المؤمنين» وهو الذي صدق بالصدق إذ جاءه. فهو أبو بكر الصديق.

عرف المسلمون مكانته عند الله وعند رسوله. «لو كنت متخذاً

خليلاً غير ربي لا اتخذت أبا بكر خليلاً» هذا ما قاله رسول الله ﷺ في أبي بكر. ثم عوضه عن مقام الخليل بأخوة الإسلام. وقال: «إن من أمن الناس عليّ في صحبته وماله أبا بكر» أو كما قال.

وأخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أنفق زوجين من الأشياء في سبيل الله دعي من أبواب الجنة يا عبد الله هذا خير. فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة. ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الصيام» فقال أبو بكر «ما على من يدعى من تلك الأبواب من ضرورة. فهل يدعى منها كلها أحد يا رسول الله؟ قال نعم، فأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر». وسيحقق الله رجاء رسول الله ﷺ في صاحبه وخليفته أبي بكر.

والأحاديث في فضل أبي بكر كثيرة، والصحابة كلهم يعرفون منزلته عند رسول الله ﷺ. وذات يوم جرى بينه كلام مع عمر بن الخطاب ولم يعذر عمر أبا بكر فبلغ رسول الله ﷺ ما وقع فجعل وجهه يتمعر حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبته وقال «يا رسول الله أنا كنت أظلم منه». فقال النبي ﷺ «إن الله بعثني إليكم، فقلتم كذبت، وقال أبو بكر صدقت، وواساني بنفسه وماله فهل أنتم تاركون لي صاحبي؟» فما أودى أبو بكر بعدها.

وبم نال أبو بكر ما نال؟ الجواب سهل. فإذا كان أمية بن خلف رأس الكفر في مكة، فقد كان أبو بكر رأس الإسلام، لقد عرف رسول الله قبل رسالته صادقاً أميناً، ولما أرسل إليه ودعاه إلى الله، صدقه وآمن به إيماناً ثابتاً لم تتطرقه الشكوك أبداً، فهو لم يفت أصحابه

بكثرة الصوم والصلاة ولكن بما وقر الله في صدره من رسوخ الإيمان وثبوته. فهو الذي ثبت يوم الحديبية وهو يوم شديد، وثبت يوم وفاة رسول الله ﷺ وهو يوم أشد، وثبت حين ارتدت العرب في كل مكان ولم يبق على الإسلام إلا أهل المدينة ومكة، ثبت أبو بكر في كل هذه المواقف ثبوت الجبل الشامخ، وتيقن حق اليقين أن رسول الله ﷺ سوف يحج بعد الحديبية، وعلم أن رسول الله قد مات، وأن الله حي لا يموت وتذكر قوله تعالى: ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ - الْآيَةَ﴾. وبذلك أنقذ المسلمين. ولم يرض إلا قتال أهل الردة، وأقسم أن لا يفرق بين الزكاة والصلاة وأن يقاتلهم على عناق كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ. وقال عمر بن الخطاب، وما هو إلا أن شرح الله صدر أبي بكر للمقتال فعرفت أنه الحق. فعلى يد أبي بكر انتصر الإسلام في نشأته بمكة وقوي بتأييد رسول الله ﷺ واستمر على يده بعد وفاة رسول الله عليه الصلاة والسلام.

وفضائل أبي بكر في خدمة رسول الله معروفة أيضاً. ورسول الله ﷺ مكث عشر سنين يلاقي المتاعب والمشاق من قريش وغيرهم، ومن أول يوم من الرسالة كان أبو بكر الصاحب البر والمواسي الجواد. فكان يسير معه حين يذهب إلى أهل المواسم ليعرض عليهم الإسلام. ولما أراد الهجرة استنظره رسول الله حتى خص برفقة النبي عليه الصلاة والسلام في هذه الرحلة الخالدة. وحينما كان أبو بكر يقص حكاية الهجرة وما لقيها فيها من خير وبركة، نراه يورد في قوله جملة تنبئنا عما يضمره لرسول الله ﷺ من حب صادق، لقد قال أبو بكر إنهم وجدوا راعي غنم يعرفه وطلبوا منه شراباً ولما حلب منها قال أبو بكر فزدت اللبن من الماء وأعطيت رسول الله ﷺ فشرب حتى رضيت. إن

هذا القول يدل على أن أبا بكر كان يحس بنفسه بجميع أحوال رسول الله ﷺ فهو في مثل هذه الصفة مثل الأم التي اشتهرت بحب ابنتها والتي كانت تقول حين تسأل عن حال ابنتها، «إني يؤلني رأسها». ولا ريب أن حب أبي بكر لرسول الله لا يقاس بحب.

وقد يطول القول إذا أردنا ذكر فضائل أبي بكر لكن لا يسعنا أن لا نذكر منها شراؤه وعتقه لبلال مؤذن رسول الله ﷺ . لقي بلال من أمية بن خلف ما لقي من العذاب في دينه، وصبر على دين الأحد، وأنقذه الله بفضل أبي بكر، واستطاع بلال أن يأخذ ثأره من أمية يوم بدر وأن يظل يؤذن في مسجد رسول الله ﷺ ، وبعد وفاة النبي ﷺ ترك الأذان وذهب إلى الشام، ولما أتى عمر بن الخطاب إلى الشام، وهو في خلافته. أمر بلالاً أن يؤذن فأذن فبكى عمر وبكى المسلمون معه، بكوا حينئذ سمعوا ذلك الأذان الذي ألفوه في أيام رسول الله ﷺ وذكروا من كان يقول لهم إن سين^(١) بلال عند الله شين. وذكروا صلاة رسول الله ﷺ. وتذكروا رسول الله ويقول الشاعر:

«والذكريات صدى السنين الحاكي»

وأعتق أبا اليقظان عمار بن ياسر بعدما لاقى هو وأبوه وأمه من هول الفتنة والتعذيب ما لاقوه. ولقد استشهدت أمه سمية، وأذيق أبوه من الآلام ما أذيق. ولقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام يمر عليهم، ويرثي لحالهم، ويتذكر أنهم يعذبون في الله، وأن الله ينظر

(١) هذا الكلام غير صحيح: إن بلالاً ولد بمكة فهو عربي النشأة ولم تكن به لغة، والذين اختلقوا هذه الحكاية لعلهم أنه حبشي وأغفلوا تربيته في مكة بين ولدائها.

إليهم، نظر العزيز المقتدر، الذي كتب عليهم أن يفتنوا في دينهم،
وأنه أعد لهم الجنة.

وأعتق عامر بن فهيرة من المستضعفين، ومن الله عليه بأن
جعله من الذين رافقوا رسوله في هجرته. كان يرعى غنم أبي بكر،
ويظل في مكة يتحرى أخبار قريش. ويسوق غنمه على أثر عبد الله بن
أبي بكر الذي يتردد على الرسول وصاحبه في الغار، وشهد عامر بدرأ،
وفاز بالشهادة في بئر معونة.

لقد سبق أن ذكرنا أن أبا بكر كان أول خليفة بعد رسول
الله ﷺ، وقال علي بن أبي طالب، نظرنا في أمرنا بعد رسول الله ﷺ
فوجدنا رسول الله قد رضي أبا بكر لديننا فرضيناه لدنيانا، أجل، لقد
ارتضى النبي أبا بكر للدين، وقال لما اشتد به الوجع مروا أبا بكر فليصل
بالناس، وراجعت عائشة وحفصة وقالتا إن ابن أبي قحافة رجل رقيق قد
لا يسمع الناس في صلواته، وأنكر النبي هذه المراجعة، وقال إنكن
صواحب يوسف، وأكد أمره بتقديم أبي بكر للصلاة، وهو يعلم أنه أرحم
أمته بأمته ورأى المسلمون في هذا عهداً لخلافته، كما يروى أن امرأة قالت
للنبي ﷺ إذا رجعت فلم أجذك—معرضة بالموت—فقال: فالقي أبا بكر،
ويزيد بعض الرواة أنه هم أن يكتب له عهد الاستخلاف، ثم اكتفى
بقوله: معاذ الله أن يختلف المؤمنون في أبي بكر، وسواء كانت الرواية
صحيحة أو غير صحيحة، فإن المؤمنين لم يختلفوا على أبي بكر. لقد
بايعوه، وسمعوا منه وأطاعوه.

لقد علموا أنه الصاحب الوفي لرسول الله ﷺ الرحيم بالامة، القوي
في أمر الله، فالضعيف عنده قوي حتى يأخذ له بحقه، والقبوي عند
ضعيف حتى يأخذ منه الحق، بويع له وداره في السنع قرب المدينة، غير أن

أمور المسلمين منعه، ففرضت له الأمة ألفين وخمسمائة درهم لمعاش أهله. وظل في داره تروح عليه قطعة من غنم يجلبها بيده، ويحكى أن جارية من جاريته، لما سمعت بيعته تساءلت عن سيحلب لها شياها. فقال أبو بكر بل لأحلبنها، وإني لأرجو أن لا يغيرني ما دخلت فيه من خلق.

فسار في المسلمين سيرة النبي، رحيماً بالمؤمنين، شديداً على أهل الكفر وعلى أهل الردة. حارب المرتدين وانتصر عليهم ووضع الأسس الأولية للخلافة. وعين عمر للقضاء وأبا عبيدة للفيء، وحج بالناس وسأل عن مظالمهم، وأنصف المظلومين ولم تطل بأبي بكر الحياة بعد الرسول فبعد سنتين وأشهر؛ توفي أبو بكر وترك عهداً بخلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

هذه هي بعض فضائله وبعض سيرته.

وصدق عنه قول حسان بن ثابت:

إذا تذكرت شجواً من أخي ثقة فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية أتقاهما وأعدلهما بعد النبي وأوقاهما بما حملا
والثاني التالي المحمود مشهده وأول الناس قدماً صدق الرسلا
وثاني اثنين في الغار المنيف وقد طاف العدو به إذ صعد الجبلا
وكان حب رسول الله قد علموا من البرية لم يعدل به رجلا
سمع رسول الله ﷺ شعر حسان في أبي بكر وضحك حتى بدت
نواجذه وقال صدق حسان.

ولنقل الآن كلمة قصيرة عن آل أبي بكر. فله من البنات عائشة التي تحدثنا عنها في بيوت النبي ﷺ وأسماء ذات النطاقين وهي التي كانت عند الزبير بن العوام.

ومن أولاد أبي بكر محمد بن الخثعمية أمه أسماء بنت عميس وقد
 تربى في حجر علي بن أبي طالب، وابنه القاسم من أعلام الفقهاء
 الأفاضل. وعبد الرحمن بن أبي بكر أكبر من محمد، وكان يوم بدر مع
 قريش ثم أسلم وحسن إسلامه. «ومن يشابه أباه فما ظلم». ومن أبناء
 عبد الرحمن بن أبي بكر عبد الله ومحمد المسمى بابن أبي عتيق. وكان
 عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر يعرف أيضاً بابن أبي
 عتيق، وهو من فتيان قريش وظرفائهم. اشتهر بمعرفة الشعر ونقده،
 وبحسن المحاضرة والفكاهة.

وكان ابن أبي عتيق هذا صديقاً لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب،
 وهو الذي قال له عبد الله بن جعفر يوماً لو غنتك جاريتي فلانة صوتاً
 ما أدركتك ذكاتك. فقال ابن أبي عتيق قل لها تفعل، وليس عليك إن
 مت ضمان. فغنت الجارية:

بهواك صيرني العدول نكالا وجد السبيل إلى المقال فقلالا
 ونهيت نومي عن جفوني فانتهى وأمرت ليلي أن يطول فطالا
 فرمى ابن أبي عتيق بنفسه إلى الأرض وقال:
 ﴿فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر﴾.

وبعث ابن أبي عتيق بعد موته هذا، وتناول عند صديقه عبد الله
 شراباً من عسل ممزوج بالمسك والكافور، ولما طرب رفع عقيرته وغنى:
 سقوني وقالوا لا تغني ولو سقوا جبال حين ما سقوني لغنت

(٢) طلحة بن عبيد الله

بعد أبي بكر ننتقل إلى ابن عمه وقرينه طلحة بن عبيد الله وهو
 من سادة قريش وأجوادهم. جده من أمه وهب بن عبد بن قصي

صاحب الرقادة. قال عنه النبي عليه الصلاة والسلام:
«من أراد أن ينظر إلى شهيد على وجه الأرض، فليُنظر إلى
طلحة».

هذه شهادة رسول الله ﷺ، لطلحة بن عبيد الله. الذي ثبت
معه يوم أحد، حينما ثقل الأمر على المسلمين، وحينما كانت المصيبة
عليهم شديدة يوم التقى الجمعان. فلقد أصيبوا بسيد الشهداء
حمزة بن عبد المطلب، واستشهد منهم عشرات نذكر من بينهم
عبد الله بن جحش، وسعد بن الربيع، والنضر بن الحارث،
ومصعب بن عمير، وصرخ الكفار بأن الرسول قد مات، واستزل
الشیطان بعض المسلمين، فخرجوا عن الميدان.

في هذا المقام الحرج، كان طلحة قريباً من الرسول ﷺ يرمي بناله بين
يديه، وينصب كفه ترساً لتقي الرسول من نبال قريش. وإذا كان
مالك بن زهير قد أصاب يد طلحة بالأذى، وإذا كان أعداء الإسلام قد
تركوا فيه أربعاً وعشرين جراحة، فإنهم لم ينالوا من إيمانه وكرمه شيئاً.
بذل نفسه في الدفاع عن دينه ورسوله فاستحق الشهادة قبل أن يموت.

بشره راهب بصرى يبعثه الرسول من مكة وأخبره أنه سيهاجر
إلى أرض فيها سباخ وحررة، وعلم بإسلام أبي بكر فأسلم على يده.

كان طلحة من الخمسة الأولين الذين أسلموا على يد أبي بكر
الصديق رضي الله عنه. ومن العشرة المشهود لهم بالجنة ومن
أصحاب الشورى الستة، كان طلحة من المهاجرين الأولين، التقى
بالرسول وصاحبه أبي بكر في طريقهما إلى المدينة وهو قادم من الشام
فأهدى لهم ثياباً، وتابع طريقه إلى مكة ليعود بأهله وأهل أبي بكر إلى

دار الهجرة. شهد كل المشاهد مع النبي ﷺ، ويعد ممن حضر بدرًا لأنه تخلف عنها في بعثة أرسلها الرسول لتحسس أمر قريش، فكان له في بدر نصيبه من الغنيمة والأجر.

وعاش طلحة طيلة حياة الرسول مهاجرًا في المدينة، ومجاهدًا في سبيل دينه، يروي علمه ويتبع أمره ونهيه، فأنعم الله عليه بالصحة والسعة في الرزق، فكان من أهل الدثور المنفقين فقد قيل إنه باع أرضاً بسبعمائة ألف درهم، بيد أنه خاف أن تبيت معه في بيته ففرقها في ليلة واحدة بين فقراء المدينة، لم تنقص الصدقة من ماله حيث إنه ترك ما يزيد على ثلاثين ألف درهم.

وفي أواخر عهد عثمان بن عفان، وأول خلافة علي بن أبي طالب، حينما اضطرب أمر المسلمين، ودبت فيهم حركات الفتنة والشغب، كان طلحة والزبير بن العوام مع عائشة أم المؤمنين على خلاف مع علي بن أبي طالب.

ولقد اقتضت ظروف وعوامل تاريخية أن تنشب هذه الفتنة بين المسلمين في خضم معترك تحركه عصبية مختلفة، وكان طلحة طرفاً في هذا الخلاف، وكان من قضاء الله أن يقتل في هذه الفتنة الأليمة. وإذا ما عدنا إلى أحداث أحد، وشهادة الرسول له بالشهادة فإننا ندرك الحكمة في قوله عليه السلام، إنه شهيد على وجه الأرض.

وتقول بعض الروايات إن مروان رماه بسهم فقتله انتصاراً لعثمان، كما يروي أيضاً أن طلحة كان يقول «اللهم خذ مني لعثمان حتى ترضى». ويقول ابن سعد إن عبد الملك بن مروان قال لولا أن مروان أخبرني أنه هو الذي قتل طلحة، لم أترك أحداً من أبناء طلحة إلا قتلته بعثمان.

وفيهما يخص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فإننا نعرف أنه كان حريصاً على لم شمل الأمة، وجمع كلمتها في سبيل الحق، وأنه كان يقدر طلحة أكبر التقدير، ولما وفد عليه ابنه عمران بعد مقتل طلحة ادفع إليه أمواله. وقال إني أرجو أن أكون أنا وطلحة من الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين﴾، ولن يخيب الله رجاء علي من طلحة. ومن أبناء طلحة عمران هذا.

وبعدما هدأ روع حمنة بنت جحش بعد مصعب بن عمير، ومضت أشهر وأيام تزوجها طلحة بن عبيد الله وكان لها محمد بن طلحة السجاد. وقد اشتهر بالورع والعبادة. نهى علي كرم الله وجهه عن قتله يوم الجمل، ولكن نار الحرب تأتي على الأخضر واليابس. ويقول صاحبه الذي قتله:

وأشعث قوام بآيات ربه قليل الأذى فيما ترى العين مسلم
 أمكنه بالرمح حضني قميصه فخر قتيلاً لليدين وللهم
 على غير شيء غير أن ليس تابِعاً علياً ومن لا يتبع الحق يظلم
 يناشدني حاميم والرمح شاجي فهلا تلا حاميم قبل التقدم

(٣) الحرث بن خالد بن صخر بن عامر.

من مهاجري بني تيم، هاجر الهجرتين.

هاجر أولاً مع جعفر بن أبي طالب، وعاد إلى مدينة الرسول ﷺ

ومن بينهم عمر بن عثمان بن عمر بن كعب.

ونختم القول عن موالى تيم بصهيب بن سنان الرومي^(١)، وهو من عتقاء عبد الله بن جدعان. عرف محمداً قبل أن يبعث وصحبه رسولاً وأسلم مع السابقين الأولين، وكان من المستضعفين الصابرين ابتغاء مرضاة الله، كان الله به رؤوفاً رحيماً. فقاوم سفهاء قريش فكانوا لا يصلون إليه إلا بعد أن يرميهم بأسهمه.

وصبر وهاجر من بعد ما فتن، ثم حضر الغزوات كلها مع رسول الله ﷺ، وقاتل عن يمينه وشماله.

وعرف المسلمون لصهيب فضله وأسبقيته. وأمره عمر بن الخطاب أن يصلي بالناس بعده، حتى يتم الاتفاق على تعيين الخليفة من بين أصحاب الشورى.

(١) هو ابن النمر بن قاسط وإنما كان يدعى الرومي لأنه أصابه سبي في صبوته فبيع بأرض الروم. انظر عمود النسب وشرحه لحماد.

بنو عدي

(١) عمر بن الخطاب وسعيد بن زيد .

كانت شوكة بني عدي في بني^(١) الخطاب، وكان عمر بن الخطاب في أول أمره شديداً على أهل بيته من المسلمين عامة، ولقد كان قاسياً على آل سعيد بن زيد خاصة. كما أن والده الخطاب من قبله كان غليظاً على والد سعيد وهو زيد بن عمرو بن نفيل .

وحينما نصر الله الإسلام بعمر، انكسرت شوكة بني عدي وتحولت قوتها في صف المسلمين. كان من أول من أسلم من عدي سعيد بن زيد، وما كان بدعاً من أهله، فأبوه زيد بن عمرو بن نفيل من أولئك الذين لم يطمئنا لعبادة الأوثان فبحث عن دين إبراهيم، وعزم أن يضرب في الأرض طلباً للحنيفة الصحيحة فكان يطوف بالكعبة. ويقول:

أرباً واحداً أم ألف رب
فلا العزى أدين ولا ابتيها
ولكن أعبد الرحمن ربي
وما يؤثر عنه قوله:

البر أبغى لا الخال ليس مهجر كمن قال
وصدق عزم زيد، الذي آثر البر على الخيلاء، وعرف أن من

(١) بل كان عز بني عدي بن كعب قبل عمر بن الخطاب في بني عويج بن عدي لكنه انتقل عزمهم

بسبب عمر إلى بني رزاح بن عدي، قال في عمود النسب

عز رزاح بن عدي بعمر. والعز كان لعويج الأغر.

لازم التهجير في طلب البر ليس كمن يريد أن يقيل في ظل الشرك
والهوان. هاجر زيد في طلب الحق، واستشهد في سبيله. وراثه صديقه
ورقه بن نوفل بقوله:

رشدت وأنعمت ابن عمرو وإنما تجنبت تنوراً من النار حامياً
بدينك رباً ليس رب كمثلته وتركك أوثان الطواغي كما هيا
وقد تدرك الإنسان رحمة ربه ولو كان تحت الأرض سبعين وادياً
وصحت قوله ورقة في زيد فقال عنه النبي عليه الصلاة والسلام
إنه يبعث أمة وحده. ولقد أدرك سعيد، ما كان يبحث عنه أبوه زيد،
أدرك رسول الله وآمن به من بين السابقين الأولين، فحسن إسلامه
وبشره رسول الهدى بالجنة.

أمير المؤمنين عمر بن الخطاب

أما عمر بن الخطاب، والده الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن
رياح بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب. فإنه كان سفير قريش في
الجاهلية ودعامة المؤمنين في الإسلام. انتصر به الدين حين أسلم.
وانتظمت به الأمة حين صار أمير المؤمنين.

لقد ظل رسول الله ﷺ يدعو الناس إلى الإسلام، ومضت عليه
ست سنوات في مكة ولم يؤمن به إلا زهاء أربعين شخصاً، وكان
المسلمون قليلاً مستضعفين في مكة، مختفين في دار الأرقم بن أبي
الأرقم المخزومي في أصل الصفا. وكان رسول الله وثلة المسلمين
الذين معه يلقون في مكة كثيراً من الآلام على أيدي المشركين من
قريش. ثم دعا رسول الله ﷺ ربه أن يؤيد الإسلام بأحد العمرين
وسبقت عناية الله لابن الخطاب، فأسلم عمر بن الخطاب.

وإسلام عمر حدث جليل في الإسلام، ويذكر المحدثون أنه خرج متقلداً سيفه ليتعرض لرسول الله وللمسلمين معه، وأخبر وهو في طريقه أن ختنه سعيد بن زيد قد أسلم وأن أخته فاطمة بنت الخطاب قد أسلمت، فبدأ بهما فضرب سعيداً حتى أدماه ولما بكت أخته رق لها وسألها أن تعطيه صحيفة بيدها، وتجيئه الأخت، أن لا يمسه إلا المطهرون، فوقع الذعر في قلب عمر الشجاع، ثم لما قرأ القرآن، شرح الله صدره للإسلام فأمن وذهب يطلب رسول الله ﷺ وخافه حرس رسول الله وفتح عنه حمزة، وأتى به النبي عليه الصلاة والسلام فأخذ النبي بمجامع قميصه وجذبه إليه ثم قال أسلم يا ابن الخطاب! اللهم اهده! وشهد عمر أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. وكبر المسلمون تكبيرة سمعت في فجاج مكة، ولم يك المسلمون في الأرض وحدهم هم الذين فرحوا بإسلام عمر، فإن أهل السماء استبشروا بإسلامه ويقول عبد الله بن مسعود ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر.

وابتداء من هذا اليوم ظهر الإسلام في مكة وطاف المسلمون بالبيت وصلوا في المسجد الحرام بمراى ومسمع من الملا من قريش. ولم يكتف عمر بإعلان إسلامه بل أراد أن يتحدى المشركين، فصار يأتي عظماء قريش ويقرع أبوابهم ويقول أنا ابن الخطاب وقد أسلمت، وبدأ بخاله أبي جهل وانتظر حتى اجتمعت قريش حول الكعبة فأمر من ينادي أن ابن الخطاب قد صبأ فبادر إليه جماعة من قريش وصاروا يضربونه ويضربهم وهذا ما أراده عمر، ولما أراد أبو جهل أن يجيره أبي عمر عن جواره وقال:

«ما زلت أضرب وأضرب حتى أعز الله الإسلام».

وفي هذه الأيام، خرج المسلمون إلى المسجد في صفين، عمر بن الخطاب في أحدهما وحمزة في الآخر، ولما دخلوا نظر قريش إلى عمر وإلى حمزة فأصابتهما المشركين كآبة شديدة لم يصبهم مثلها، فسماه رسول الله ﷺ يومئذ الفاروق.

فهو الفاروق الذي تفرق منه الشياطين وتفر عن طريقته، وقد أخرج البخاري ومسلم عن سعد بن أبي وقاص، أن عمر بن الخطاب أتى النبي وعنده نساء يتكلمن بأصوات عالية، فلما سمعن صوت عمر اختفن، وقال لهن عمر: «يا عدوات أنفسهن أتهينني ولا تهين رسول الله؟». وقلن إنه ليس بفظ مثلك، ومما قال له رسول الله «يا أبا الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً قط إلا سلك فجاً غير فجك».

شهد له رسول الله ﷺ بالجنة وبالعلم وبالدين.

فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «بيننا أنا نائم رأيتني في الجنة، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر، قلت لمن هذا القصر؟ قالوا لعمر. فذكرت غيرتك فوليت مدبراً» فبكى عمر وقال أعليك أغار يا رسول الله؟

وأخرج البخاري ومسلم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «بيننا أنا نائم شربت - يعني اللبن - حتى أنظر الري يجري في أظفاري ثم ناولته عمر - قالوا فما أولته يا رسول الله؟ قال: «العلم».

وأخرج البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بيننا أنا نائم رأيت الناس عرضوا عليّ وعليهم قمص فمنها ما يبلغ الثدي، ومنها ما يبلغ دون ذلك، وعرض عليّ عمر وعليه قميص يجره. قالوا فما أولته يا رسول الله؟ قال الدين».

وأخرج البخاري ومسلم عن ابن عمر وأبي هريرة قالا: قال رسول الله ﷺ «بيننا أنا نائم على قلب علي عليها دلو فنزعت منها إلى ما شاء الله، ثم أخذها أبو بكر وفي نزعها ضعف والله يغفر له ضعفه، ثم جاء عمر بن الخطاب فاستقى فاستحالت في يده غرباً، فلم أر عبقرياً يفري فريه من الناس حتى روى الناس، وضربوا بعطن».

هذا هو عمر العبقرى أبو الفتوح الذي لا تأخذه في الله وفي الحق لومة لائم، جعل الله الحق على لسانه وقلبه، واشتهرت موافقاته في القرآن في اتخاذ مقام إبراهيم مصلى، وفي رأيه بالحجاب لنساء النبي، وفي تهديده لمن بطلاق رسول الله، وقد زاد النووي منهن قضية أسرى بدر وتحريم الخمر، وزاد ابن أبي حاتم موافقة سادسة، فأخرج في تفسيره عن أنس أنه لما نزلت هذه الآية: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾ قال عمر «فتبارك الله أحسن الخالقين». فنزلت هذه الآية وفق ما قاله عمر، وقد جعل بعضهم موافقات عمر إحدى وعشرين ذكر منها ما تقدم، وزاد قضايا النهي عن الصلاة على المنافقين والاستغفار لهم وغير ذلك.

استخلفه أبو بكر على المؤمنين وقال إنه استخلف خيرهم، وأنه أعرفهم به. فكانت إمامته رحمة لهم، فأقام فيها العدل وضبط الأمور، وجند الأجناد، ومصر الأمصار ودون الدواوين، واستقصى القضاء، وأسس قواعده في رسالته المشهورة، ومهد المحطات في الطرق. لقد كان اهتمامه بأمور المسلمين مضرب الأمثال، حتى إنه قال: لو مات جل ضياعاً على شط الفرات لخشيت أن يسألني الله عنه، وقد قيل عنه إنه لو استدام المحل عام الرمادة لخيف على عمر من الموت، همًا بأمور

المسلمين، كان شديداً في الله، متواضعاً له، فمن شدته أنه في بعض الساعات لا يستطيع أحد أن يكلمه، ويقول المؤرخون إن درته كانت أهيب من سيوف الذين جاءوا بعده.

يروى ابن سعد أنه جمع الناس ذات يوم وخطب على المنبر قائلاً: لقد رأيتني ليس لي ما آكل سوى قبضات من زبيب تعطينيها خالاتي من بني مخزوم لأستعذب لهن الماء، وانتهت خطبته، واستفسره الناس عن معنى ما قال، فأجابهم بأنه قد أحس في نفسه بشيء فأراد أن يتواضع لله وللمؤمنين.

كان يبدأ بنفسه في القسوة عليها، فلا يأخذ من بيت المال إلا معاشه ومعاش أهله، وحلتين للصيف والشتاء، وإذا تخرقت إحداهما رقعا حتى تمضي مدتها المعهودة، وكان لا يأكل طيب الطعام، ويذكر دائماً قوله تعالى ﴿أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا﴾ حتى إن حفص بن أبي العاص لم يرض أن يأكل معه لأن طعامه خشن غليظ، ولما كلمته ابنته حفصة وأرادت منه أن يلين على نفسه وللناس، أجابها بقوله: «نصحت قومك وغششت أباك».

وظل يزاول تجارته دون أن يقترض من بيت المال درهماً. وكان أيضاً شديداً على عماله، يكتب ما لهم عند تعيينهم ويتفقد ما حصلوا عليه من بعد، وإذا بدا له أنهم أخذوا أكثر من حقهم شاطرهم ما في أيديهم.

كان يرضن بكبار الصحابة عن العمل في الأمصار، مخافة أن تدنسهم أعمال الولاية.

وبعد وفاته بقليل ترددت على السنة الشعب، أبيات لم يعرف

قائلها حتى أنها نسبت إلى هواتف الجن، وهي:
عليك سلام من إمام وباركت يد الله في ذاك الأديم الممزق

فمن يسع أو يركب جناحي نعمة ليدرك ما قدمت بالأمس يسبق
قضيت أموراً ثم غادرت بعدها بوائق في أكمامها لم تفتق

وإن هذا يمثل ما كانت عليه الأمة من طمأنينة في عهد عمر،
وما أصابها من الجزع والخوف بعدما هدت أركان الإسلام بموت
عمر بن الخطاب، ولقد قال حذيفة بن اليمان كان الإسلام كالرجل
المقبل في عهد عمر لا يزداد إلا قرباً، وكان بعده كالرجل المدبر لا يزداد
إلا بعداً، وقال ابن مسعود إنه كان حصناً حصيناً للإسلام، وأن كل
شيء وجد عليه حتى شجر العضاة، ولما رآه علي وهو مسجى على
سريره قال ما من أحد أحب أن ألقى الله بصحيفته من هذا المسجى .
كل هذا يعطينا صورة عن ذلك العبقرى الفذ الذي وضع

الدولة الإسلامية على أسس لم تزل إلى اليوم منبعاً للتشريع، ومصدر
إلهام للعدل والإحسان ذلك هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الذي
كان إسلامه فتحاً، وهجرته نصراً، وإمارته رحمة .

ومن المهاجرين الأولين من بني عدي زيد بن الخطاب أحد
إخوة أمير المؤمنين المجاهد البر الذي شهد مع النبي جميع المشاهد،
واستشهد في الإمامة، وحزن عليه عمر وقال لو كنت أقول الشعر
لقلت رثاء في زيد، وطلب من متمم بن نويرة أن يرثيه، فأجابه إلى
ذلك غير أن عمر رأى أن شعر متمم في مالك أبلغ من شعره في
زيد بن الخطاب، فقال متمم «يحركني لمالك ما لا يحركني لزيد»، ولقد
سبق أن ذكرنا ما لسعيد بن زيد من فضل وأسبقية في الإسلام والهجرة
والجهاد .

ومن حلفاء بني عدي الذين نهجوا طريق آل الخطاب في الهجرة
والإسلام واهتدى بهداهم ورشدتهم، عامر بن ربيعة الغزي الذي

شهد بدرأً وما بعدها من المشاهد وطلب أن ينجيه الله من الفتنة فنجا منها.

ومنهم واقد بن عبد الله الخنظلي، وهو من البدرين، وكان في سرية عبد الله بن جحش بن رثاب. بنخلة، وقد قال فيه:
سقيننا من ابن الحضرمي رماحنا بنخلة لما أوقد الحرب واقد
ومنهم كذلك أبناء بكير وهم عاقل وعبد الله وهلال ونسبهم في
بني سعد بن ليث من كنانة. ومن هاجر مع عمر بن الخطاب مولاه
مهجع.

ومن هاجر من بني عدي إلى الحبشة، مع عبد الله بن نضلة
وعمه عروة بن عبد العزى، وعدي بن نضلة، وابنه النعمان، عاد إلى
المدينة، بعدما مات أبوه في الحبشة. استعمله عمر بن الخطاب على
بيسان من أرض فلسطين. وهو الذي يقول:

ألا هل أتى الحساء أن حليلها بيسان يسقى في زجاج وحنتم
إذا شئت غنتني دهاقين قينة ورقاصة تخدو على كل منسم
فإن تك ندماني فبالأكبر اسقني ولا تسقني بالأصغر المثلم
لعل أمير المؤمنين يسوءه تنادمنا في الجوسق المتهدم
وحين بلغ شعره أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أبدى منه استيائه
وأمر بعزله.

ومن مهاجرهم كذلك النحام، اسمه نعيم بن عبد الله بن
أسيد، سمع النبي ﷺ نحمه (صوته) في الجنة، فكان النحام له لقب
بشارة وتكريم. ولقد أقام بمكة ليقى قومه من أذى قريش وفتنتهم.

المهاجرون من بني عبد شمس وبني نوفل

بنو عبد شمس وبنو نوفل من عشيرة النبي الأقرين.

ويقول فيهم أبو طالب:

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا
عقوبة شر عاجلاً غير آجل

ولقد استجاب لرسول الله جماعة من بني عبد شمس. نذكر منهم ذا النورين وأبا حذيفة بن عتبة وجماعة من حلفائهم من سليم وأسد بن خزيمة اشتهر منهم على الخصوص عائلة بني جحش بن رثاب. أما بنو نوفل، فلم نر من بينهم من رفع بالهجرة رأساً. فكان حلفاؤهم ومواليهم أحسن حظاً من صميمهم.

فمن بين حلفائهم، نلقى عتبة بن غزوان الذي جاهد في صدر الإسلام. وواصل جهاده بعد وفاة الرسول، فكان له الفضل في انتصاراته في الخليج وفارس، كما أنه أول من اختط مدينة البصرة التي اشتهر دورها في بناء صرح الحضارة الإسلامية العربية.

(١) عثمان بن عفان .

أما بنو عبد شمس فقد أكرمهم الله بزدي النورين عثمان بن عفان، ثالث الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، والستة الذين عهد لهم عمر بالخلافة من بعده .

يتصل نسب عثمان بعمود النسب الشريف عند عبد مناف، كما أن أمه أروى بنت كرز بن ربيعة وأمها البيضاء بنت عبد المطلب شقيقة عبد الله . نشأ محبباً في قريش حتى ضرب المثل ف قيل :

أحبك والرحمن حب قريش عثمان إذا دعا بالميزان

أسلم عثمان بن عفان قبل أن يدخل الرسول ﷺ في دار الأرقم بن أبي الأرقم .

استجاب لدعوة النبي ﷺ وعرف مصداق ما دعي إليه، ويروى أنه كان بمعان قادماً من الشام حين سمع في المنام هاتفاً: «أيها النوام هبوا فإن أحمد قد بعث بمكة» وبعد إسلام عثمان تعرض لما يلاقيه المسلمون الأولون من الفتنة والتعذيب، فلقد أوثقه عمه الحكم بن أبي العاص وقال له لن تخرج من هذا الوثاق حتى تعود إلى دين آبائك وكان صمود عثمان على قدر إيمانه، فأقسم أن لا يعود أبداً إلى الضلال بعد أن هداه الله للإسلام فيس منه الحكم وخلا سبيله فلبث مع الرسول سنين متعبداً متعلماً صابراً في جنب الله، ثم كان أول من هاجر إلى الحبشة مع امرأته رقية بنت رسول الله ﷺ .

ثم هاجر عثمان مرة ثانية إلى المدينة ونزل عند أوس بن ثابت وأخى النبي بينهما وظل طيلة حياة الرسول في طليعة صحبه الأقربين، يشهد معه المشاهد وربما استخلفه على المدينة، وفي غزوة الحديبية بعثه

النبي ﷺ الى أهل مكة يخبرهم أنه جاء للعمرة ولم يأت للقتال. وكانت بيعة الرضوان بعده فضرب النبي ﷺ يمينه بشماله وقال: «هذه بيعة عثمان» ورضي الرسول عن دينه وأمانته، ورضي عن مصاهرته. وبعد وفاة أم كلثوم قال له لو كانت لنا ثلاثة لزوجناكها، وأشاد بخلقه وحياته حتى إن ملائكة الرحمن كانت تستحي منه فهو من علية الصحابة الذي توفي الرسول وهو عنهم راض كل الرضا.

وهكذا كانت حياته في عهد الشيخين، وبعد تشاور الستة الذين عهد إليهم عمر بن الخطاب اختياره الصحابة، وقال عبد الله بن مسعود: «لم نأل عن خير ذي فوق» ويعني بذلك أنهم اختاروا أمثل من بقي من الصحابة السابقين. وكان أول من بايعه عبد الرحمن بن عوف ثم علي بن أبي طالب وتتابعت عليه الناس.

فكان من حسناته العظام جمع المصحف وترتيبه ومتابعة الفتوح ونشر الإسلام واشترى زيادة المسجد النبوي في المدينة ليوسع على المسلمين. وبشر رومة من اليهود وجعلها وقفاً للمسلمين.

ولم يسلم عثمان في آخر عهده من كيد الكائدين من أقاربه وغير أقاربه، فثار عليه بعض قواد الأمصار وتجمعوا في المدينة وحاصروه في داره حتى قتل فيها مظلوماً، ونشأت عن قتله المشاجرة بين المسلمين، وكان من أمرها ما كان.

ذهب الخليفة عثمان بن عفان ضحية أحداث دبرها أخلاط من الناس دفعتهم الغيرة والحسد فكادوا له متذرعين بسخطهم على توليته لأقربائه، ولقد تأول الخليفة عثمان أن صلواته لذويه تدخل في باب صلة الرحم المعروف في الإسلام، وبعض المؤرخين لا يبريء مروان بن الحكم ومن لف لفه في إثارة الفتنة وتحريكها، ولقد رأينا أن

والده الحكم كان أول من فتن عثمان في دينه .

كان الخليفة عثمان رحمه الله ليناً رقيقاً حلواً مع الناس . ولم يك يتصور أن الناس سوف يحاصرونه أو يقتلونه ، كيف يقتلونه؟ وهو يشرف عليهم من داره في أيام حصاره ، ويخبرهم أنه لم يرتكب ما يستحق به القتل وأن دمه عليهم حرام . وأنهم إن قتلوه ، فلن يجتمعوا بعده أبداً . وصرح لهم أنه يقبل أن ينزع عما ينقمونه عليه ، وأن لا حق له في خلع رداء الخلافة الذي بسطه الله عليه ، همّ أولاً أن يخلع نفسه ونصحه المغيرة بن الأحنس بذلك . واستشار عبد الله بن عمر فنهاه ، وشجعه على التمسك بالخلافة مخافة أن يكون ذلك سنة للخلفاء بعده ، ورضي عثمان بقول ابن عمر وصبر على الحصار ، ولم يخضع للتهديد وامتنع امتناعاً شديداً من قتال المعتدين عليه .

في هذه الفترة الصعبة ساعده ابن عمه وابن خاله علي بن أبي طالب فنصحه ، وقاوم المتألبين عليه وبعث أبناءه من بين حراس داره وحاول أن يصل إليه في الدار فمنعته الجموع الغوغائية حتى اضطر أن يبعث إليه بعمامته علامة على الولاء والتأييد .

وكان أمر الله قدراً مقدوراً ، قتل عثمان مظلوماً صائماً يقرأ المصحف الذي جمع ويتلو القرآن الذي كان يقيم به الليل ركعة واحدة ، وباء بالموت كنانة بن بشر بن عتاب الكندي ، وساء عمل سودان بن حمران المرادي وعمرو بن الحمق .

واشتد حزن المسلمين بعد هذا الهرج المخيف ، فمنهم من عبر عن لوعة وأسف ، مثل حسان بن ثابت حيث يقول :

ضحوا بأشمط آثار السجود به يقطع الليل ترتيلاً وقرآنأ
ومنهم من استغل «قميص عثمان» لأغراض مريبة جعلتهم

يناوثون الخليفة الجديد أبا الحسن والحسين وسيد المجاهدين وأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه .

وكان لعثمان من رقية ولد لم تطل به الحياة، وله من غيرها أولاد منهم أبان وهو من أهل الفضل وحلمة الحديث، وخالد وكان عنده مصحف عثمان وعند أبنائه بعده، والوليد وهو من أهل الفتوة .

وتذكر كتب السير ابنة من ذرية عثمان جدها النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعلي وطلحة والزبير. فهي بنت محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان وأمها خديجة بنت عثمان بن عروة بن الزبير، وعروة أمه أسماء بنت أبي بكر، ومحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان أمه فاطمة بنت الحسين بن علي وأم الحسين فاطمة عليها السلام، وفاطمة بنت الحسين أمها أم إسحاق بنت طلحة بن عبد الله، وعبد الله بن عمرو ابن عثمان أمه حفصة بنت عبد الله بن عمر بن الخطاب .

ومن ذرية عثمان بن عفان العرجي الشاعر خليفة عمر بن أبي ربيعة المخزومي وهو عبد الله بن عمرو بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان . وهو الذي يقول :

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريمة وسداد ثغر
وهو القائل :

إني أتيت لي يمانية إحدى بني الحارث من مذحج
نلت حولاً كاملاً كله لا نلتقي إلا على منهج
في الحج إن حجت وماذا مني وأهله إن هي لم تحجج

ويجيبه عطاء بن أبي رباح فقيه أهل مكة بقوله :

«منى من مواقف الحج والعبادة وسواء حجت أم لم تحجج»

(٢) أبو حذيفة

ومن المهاجرين الأولين من بني عبد شمس، أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس.

هاجر إلى الحبشة، ثم بعدها إلى المدينة.

ثم شهد بدرًا من المسلمين، ولقد تعرض في هذا اليوم لامتحان صعب.

كان والده عتبة بن ربيعة من أول من قتل كافرًا يوم بدر.

ورأى أبو حذيفة أباه عارياً يجر على الأرض، بعدما مزقت السيوف أشلاء.

وقتل مع أبيه، أخوه الوليد وعمه شيبه وابن أخته حنظلة شقيق أم المؤمنين أم حبيبه رملة بنت أبي سفيان وأمها صفية بنت أبي العاص عمة عثمان لم يستطع أبو حذيفة إلا أن يتأثر بالمشهد المحزن، وأن يعبر عن حزنه وأسفه على مصير والده وذويه.

وبلغ أبو حذيفة أن الرسول عليه الصلاة والسلام نهى عن قتل عمه العباس وتقول الروايات إن أبا حذيفة قال إنه سوف يلجم العباس بسيفه إن لقيه، استخبر النبي أبا حذيفة، وأكد أنه ما شك منذ آمن، ولا نافق منذ أسلم. وقبل الرسول عذره ورضي عنه.

ولم تزل هذه الكلمات تتردد في خلد أبي حذيفة، وتكدر عليه صفو إيمانه حتى ألقى بنفسه في معركة اليمامة ليموت شهيداً في سبيل الدفاع عن الإسلام.

ولم يك أبو حذيفة وحده من قومه الذي فاز بالشهادة في يوم اليمامة فلقد استشهد من حلفاء بني غنم بن دودان يزيد بن رقيش بن رثاب، وشجاع بن وهب وهما ممن شهد بدرًا وجميع المشاهد مع

النبي ﷺ . كما استشهد في حروب الردة من بني غنم بن دودان
عكاشة بن^(١) محصن الذي كان طليعة لخالد بن الوليد، وهو الذي
قال له الرسول ﷺ: المرء مع من أحب.

ويذكر المؤرخون أن ديار بني غنم بن دودان في مكة بقيت مغلقة
بعد الهجرة مثل دور بني مظعون وبني بكير.

ومن أشهر مجاهدي بني رثاب ومهاجريهم عبد الله بن جحش.

كان عبد الله من علية الصحابة المهاجرين وأكابر الشهداء.

بعثه النبي ﷺ بعد بدر الأولى في سرية إلى نخلة لترصد أمر
قريش، وكان ذلك في الشهر الحرام. واضطر عبد الله أن يقتل وأن
يسبي ما عندهم.

وعاتبه النبي ﷺ في القتال في الشهر الحرام، وتوقف عن أخذ
الغنيمة ولكن الله جل وعلا برأ ساحة عبد الله بن جحش وأدان
المشركين الذين كفروا بالله وأخرجوا رسوله عن المسجد الحرام فأنزل
تعالى:

﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه، قل قتال فيه كبير وصد
عن سبيل الله﴾ - الآية ثم قال عبد الله بن جحش في ذلك:

تعدون قتلاً في الحرام عظيمة وأعظم منه لو يرى الرشد راشد
صدودكم عما يقول محمد وكفر به، والله راء وشاهد
وإخراجكم من مسجد الله أهله ليلاً يرى لله في البيت ساجد

(١) ومن مآثر عكاشة أن رسول الله ﷺ قال يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً مع كل ألف سبعون
ألفاً بغير حساب فقال عكاشة بن محصن يا رسول الله ادع الله أن أكون منهم فقال: أنت منهم
فقام رجل فقال يا رسول الله ادع الله أن أكون منهم فقال «سبقك بها عكاشة».

ومن بين أسرى عبد الله بن جحش، الحكم بن كيسان الذي أسلم وحسن إسلامه واستشهد في بئر معونة فكان من السبعين الذين لقوا ربهم ورضى عنهم ورضوا عنه.

وكان عبد الله يوم أحد من المجاهدين الأبرار، لقد قاتل بسيفه حتى انكسر وأعطاه رسول الله ﷺ عرجوناً من النخل فعاد في يده سيفاً، ورويت مثل هذه المعجزة لعكاشة يوم بدر. وقد دعا عبد الله ربه أن يرزقه الشهادة وأن يقطع أنفه وأذنيه في سبيله، وآمن له سعد بن أبي وقاص وأجيبت دعوته وذهب في سبيل الله ودفنه رسول الله ﷺ مع حمزة في قبر واحد وكان حمزة عم رسول الله ونخال عبد الله بن جحش.

ومن شهداء ومهاجري بني غنم بن دودان سنان بن أبي سنان أول من بايع بيعة الرضوان، وكان أبوه سنان من المهاجرين الأولين. واستشهد منهم بخيبر ربيعة بن أكثم ومحرز بن نضلة وكفيهم أن منهم بنو جحش بن رثاب.

المهاجرون الأولون من بني زهرة:

نذكر ممن هاجر من بني زهرة ثمانية من أجل الصحابة قدراً وأعظمتهم شأناً، منهم عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وأخوه عمير، ومن حلفائهم عبد الله بن مسعود الهذلي، والمقداد بن عمرو، ومسعود بن ربيعة القاري، وخباب بن الأرت التيمي. وذو الشمالين الخزاعي.

(١) عبد الرحمن بن عوف:

نبدأ بالحديث عن عبد الرحمن بن عوف: لقد كان اسمه في الجاهلية عبد عمرو أو عبد الكعبة وسماه النبي بعبد الرحمن ولنعيد إلى الذاكرة أنه كان من بين الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر، ومن الثمانية الذين سبقوا بالإسلام ومن العشرة المشهود لهم بالجنة، ومن الستة الأولى الذين عهد إليهم عمر بن الخطاب بأمر الخلافة من بعده.

إنه من أصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام، الذين قال عنهم «دعوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه». ورد هذا الحديث في معرض كلام جرى بين عبد الرحمن بن عوف وخالد بن الوليد، في وقعة بني

جذيمة لقد أنكر عبد الرحمن على خالد قتالهم، وقال كل منهما إن لهذه الواقعة صلة بالثأر الذي يطلبه عبد الرحمن بقتلة أبيه، في الجاهلية، وبالثأر الذي يريده منهم خالد بعمه الفاكه بن المغيرة. وعتب خالد وهو أمير الفرقة على عبد الرحمن وبلغ الرسول ما وقع، فبرىء إلى الله مما عمل خالد وأعطى الديات لبني جذيمة، وأكد أفضلية أصحابه الأولين.

ولم تك هذه المرة الأولى التي يظهر الرسول عطفه على رجل عرف منه الصدق والإيمان وشهد معه جميع الغزوات. ذلك الرجل الذي يمت إليه بصلة الصحبة والقرباة.

كان الرسول ينصحه ويرعاه ويقدر فضله واقتدى به مرة في الصلاة وحينما بعثه إلى دومة الجندل في سرية، عممه بيده الكريمة.

هاجر عبد الرحمن الهجرتين، ولما عاد إلى مكة رغب عن العودة إلى منزل تركه مهاجراً، وفي المدينة نزل عند أخيه سعد بن الربيع الأنصاري وأراد سعد أن يقاسمه ماله ونساءه، غير أن ابن عوف أثر أن يكتسب بيده، فاكتفى بأن سأل أن يدلّه على السوق وأراد الله لابن عوف أن يربح في الدنيا وفي الآخرة. فكانت ترج له المدينة رجاً وكانت أمواله تعد بآلاف النعم، والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة.

وهذه الثروة الهائلة لم تتمكن من قلب عبد الرحمن بن عوف، وإنما أراد أن يكون من أهل الدثور الذين يذهبون بالأجور، فلقد تصدق بسبعمائة راحلة بأحماها وأحلاسها، وحبس ألف فرس في

سبيل الله، وأوصى بأربعمائة ألف دينار للمسلمين، وحافظ على وصية النبي التي كانت بأمر من جبريل عليه السلام، فلم يزل يقري الضيف ويطعم المسكين.

ظل دائماً خاشياً من سطوة هذه الثروة، خشية أن يكون ثواب حسناته عجل عليه في هذه الحياة الدنيا، ويذكر أن مصعب بن عمير وحمزة بن عبد المطلب، ويقول إنهما خير منه وأنها لم يجدا كفناً كافياً لتغطية جثمانيهما، وأنه بعدما قد بسط الله عليه من الرزق ما بسط. فيبكي، ويأبى أن يأكل أو يشرب. فكلما ازدادت ثروته زاد في الخشية والإنفاق. وكان يعنى عناية خاصة بأمهات المؤمنين بعد النبي، وقالت عائشة وأم سلمة إن الرسول عليه الصلاة والسلام قال إنه لا يجنو عليهن من بعده إلا الصابرون. وكان من الصابرين عبد الرحمن بن عوف، وهذا ما جعله يستحق دعاء الرسول بأن يسقيه من سلسبيل الجنة.

وقد أشرنا أنه كان من أهل الشورى، ولما عرض عليه أن يتولى أمر المسلمين قال لأن تؤخذ مديّة فتوضع في حلقي ثم تنفذ إلى الجانب الآخر أحب إليّ من أن أتولى هذا الأمر. فكان أول من بايع عثمان ابن عفان رضي الله عنه.

وتوفي عبد الرحمن قبل الفتنة، وقال عنه علي بن أبي طالب:

«اذهب يا ابن عوف فقد أدركت صفوها وسبقت رنقها».

وكان من بين الذين حملوا جنازته، رفيقه وابن عمه سعد بن أبي وقاص.

(٢) سعد بن أبي وقاص:

وفي صدد الحديث عن سعد بن أبي وقاص الزهري نذكر بقوله
جل وعلا:

﴿وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا
تطعها﴾.

ويقول سعد نزلت هذه الآية في شأنه. واستجاب سعد لخطاب
ربه، خطاب يفرده بالأمر ويباشره بالعناية. كان سعد حريصاً على أن
يبر بأمه، حمنة بنت سفيان بن أمية، وأن يطيعها في كل شيء ما عدا
أن يشرك بالله شيئاً. ولقد جاهدت حمنة ابنها على أن يرجع عن
الإسلام فأبت أن تأكل، أو تشرب حتى يعود إلى جاهليته الأولى. غير
أن الحق أحق أن يتبع. وهكذا رد سعد على حمنة أنه لن يؤوب إلى
ذلك الظلام الحالك الذي رأى نفسه حائراً فيه. وأنه لن يرضى أن
يفارق ذلك القمر الذي اهتدى به بعدما خرج من الظلمات إلى
النور. وهذه الرؤيا كانت من أسباب إسلام سعد بن أبي وقاص،
حينما التحق بالرسول وهو مختلف يتعبد في أجياد. سبقه لضياء القمر،
حسبها قصه في رؤياه: أبو بكر، وعلي وزيد بن حارثة فكان من
الأربعة الأولى الذين أسلموا، ومن العشرة الذين في الجنة، ومن الستة
الذين ائتمنوا على خلافة المسلمين.

قال عنه الرسول ﷺ: هذا خالي فليبرني امرؤ خاله.

وكان سعد يفتخر بهذا الثناء، وهو جدير بذلك. فهو الذي أراق
أول دم في سبيل الله حينما تعرض لفتنة سفهاء قريش، وضرب أحد

المعتدين عليه بلحيي جمل وشج رأسه، هاجر الهجرتين وشهد كل المشاهد.

وهو الذي كان يغزو مع رسول الله ﷺ وأصحابه، ليس لهم من طعام إلا الحبلة وأوراق الشجر.

وهو الذي رمى أول سهم في سبيل الله، حينما شارك في سرية عبيدة بن الحارث إلى رابغ وقال:

ألا هل أتى رسول الله أني حميت صحابتي بصدور نبل
أذود بها عدوهم ذياداً بكل حزونة وبكل سهل
فما يعتد رام من معد بسهم مع رسول الله قبلي

وهو الذي شهد المشاهد كلها مع رسول الله وأبلى فيها البلاء الحسن.

وبعدما التحق الرسول بالرفيق الأعلى، ظل سعد بن أبي وقاص مقيماً على وفائه لنبيه ولدينه. فاستعمل أولاً على صدقات هوازن، ثم عينه عمر بن الخطاب أميراً على جيوش المسلمين في العراق. وانكسرت شوكة الإشراف والوثنية وانهمز رستم وما تبعه من رجال وفيلة. كان هذا النصر المبين على يد سعد بن أبي وقاص الذي ثبت دولة الإسلام. وبنى مدينة الكوفة.

ولقد أحرز على هذا النصر، لما أوتي من إيمان وحكمة.

فقد كانت دعواته مقبولة عند ربه، وسيرته محمودة عند جيوشه.

ولما سأل عنه عمر بن الخطاب عمرو بن معديكرب أجابه قائلاً «إنه متواضع في خبائه، عربي في غرته، أسد في تاموره، يعدل

بالقضية ويحكم بالسوية، ويبعد في السرية، ويعطف علينا عطف الأم
البرة، وينقل لنا حقنا نقل الذرة».

وفي عهد أمير المؤمنين عثمان بن عفان، عزل سعد عن
الإمارة، فاعتزل الأمور ونجا من الفتنة، ولما حاول معاوية أن يقحمه
في غمار المشاجرة مع علي بن أبي طالب، رد عليه بهذه الأبيات نذكر
منها:

معاوي داؤك الداء العياء وليس لما تجيء به دواء
أيدعوني أبو حسن علي ولم أردد عليه ما يشاء
أتطمع في الذي أعيا علياً على ما قد طمعت به العفاء

فأقام في بيته في العقيق حتى التحق برفاقه، عام أربع وخمسين
من الهجرة.

(٣) عبد الله بن مسعود

ومن حلفاء بني زهرة عبد الله بن مسعود الهذلي.

أسلم من السابقين الأولين، حيث أنه كان من الستة الأولى
الذين آمنوا برسول الله. ويذكر أنه كان يرعى غنم عقبة بن أبي معيط
فأتاه محمد بن عبد الله وطلب منه أن يسقيه. وأعرض ابن مسعود أن
يتصرف في غنم لا يملكها. وقبل أخيراً أن يعطيه شاة لم تلد قط،
واشتدت دهشة ابن مسعود، حينما رأى شاة لم يعلفها فحل تدر باللبن لما
اعتقلها محمد بن عبد الله، وحلب منها ما شاء من لبن وأعاد ضرعها
على ما كان عليه. وحينئذ عرف ابن مسعود أن محمداً رسول الله فأمن

به واتبعه وصحبه، وأحبه وتفرس فيه الرسول الذكاء وقال إنه غلام معلم.

ثم أقام ابن مسعود في مدرسة الرسول بمكة، يزداد كل يوم إيماناً وعلمًا، ينمو في قلبه حبه للرسول، وتتضاعف في نفسه الرغبة في التقرب منه.

ويقول ابن مسعود، إنه في هذه الفترة قرأ سبعين سورة من القرآن لا ينازعه فيها أحد. واستمد ابن مسعود من القرآن قوته وشجاعته، فلقد كان أول من تجرأ على قريش وقرأ عليهم القرآن جهراً بين الركن والمقام، عرض على رفاقه من المسلمين أن يتحدى قريشاً في الحرم. فخاف عليه إخوانه ورفاقه، قائلين له، إنه ليس له من عشيرة تحميه من أذى قريش. بيد أن إيمان ابن مسعود أقوى من العشائر والعصبيات، فقال دعوني فإن الله سيحميني ثم دخل الحرم ورفع صوته يتلو: بسم الله الرحمن الرحيم الرحمن علم القرآن. . واهتز لكلامه الملأ من قريش. فجعلوا يضربون وجهه وهو يقول: «ما كان أعداء الله أهون علي منهم، ولو أشاء لراجعتهم بمثلها غداً».

ثم هاجر ابن مسعود إلى الحبشة، ولما بلغه نبأ هجرة الرسول إلى المدينة أسرع للالتحاق به يحدوه الشوق إلى رؤيته، والمقام معه، لينعم بالسعادة في العيش في ظله والمقام في جواره، وذمته، فكان له ما أراد ولقد كان أحق بقول أبي نواس في الخصيب:

أنا في ذمة الخصيب مقيم حيث لا تهتدي صروف الزمان
قد عرفنا من الخصيب خللاً أمنتنا طوارق الحدثان
كيف أخشى من الليالي اغتيالاً ومكاني من الخصيب مكاني

ولقد كان ابن مسعود عند رسول الله ﷺ بمكان، يدخل عليه بلا استئذان، حينما يسمع سواده، ويوقظه من النوم، ويستره إذا أراد أن يغتسل، ويلبسه نعليه، ويمشي أمامه، ويتردد على بيته، هو وأمه، أم عبد، حتى ظن أبو موسى الأشعري أنهما من أهل البيت. عرف من سره ما لم يعلمه غيره، واستفاد من دعواته. فأجاره الله من الشيطان. أقرأه القرآن غضاً، وأمر أن يستقرأ أمته، وطلب منه أن يسمعه القرآن. ولما تلا عليه قوله تعالى: ﴿وَجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾ فاضت عينا رسول الله بالدموع.

وتزداد مع الأيام صلة الحب والتقدير بين ابن مسعود، ونبيه، فيقول عنه لو كنت مؤمراً أحداً من غير مشورة لأمرت ابن أم عبد. وقال إن رجله - وهو أحمش الساقين^(١) - أثقل في الميزان يوم القيامة من جبل أحد.

وبعد وفاة الرسول عرف الخلفاء لابن مسعود قدره. ومكانته، فعينه عمر بن الخطاب معلماً ووزيراً في الكوفة، مع أميرها عمار بن ياسر، وعلم منه أهل الكوفة خيراً كثيراً، قرأوا منه القرآن، وشاهدوا فيه سمت النبي وهديه، وأخلاقه.

ولما استدعاه عثمان إلى المدينة أبي إلا أن يسمع ويطيع - فعاد إلى دار الهجرة، ولما تطل الأيام حتى التحق بنبيه وحبيبه.

(١) أي دقيقتها.

المهاجرون من بني أسد بن عبد العزى

الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد:

نذكر في طليعتهم الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد حواري الرسول وابن صفية بنت عبد المطلب وابن أخي خديجة بنت خويلد.

من الخمسة الأولين الذين أسلموا، والعشرة الذين شهد لهم بالجنة والستة الذين عهد لهم عمر بن الخطاب بالشورى في خلافة المسلمين.

استمسك بعروة الإسلام يافعاً، وظل وفاقاً مستقيماً في سبيل دينه ورسوله.

هاجر المجرتين وشهد كل المشاهد مع رسول الله ﷺ. فجاهد بسيف طالما فرج الكرب عن المسلمين.

اتخذت الملائكة شعاره يوم بدر، فنزلت وعمائمها صفر، لتثبت المسلمين ولتطمئن قلوبهم ولتقذف الرعب في صدور أعدائهم.

ولقد كانت بركة الرسول عليه عظمة، عاش في رعايته يقدر جهاده وجهده. ففداه بأمه وأبيه يوم بني قريظة، وظل به رفيقاً طيلة حياته، راعياً لحقوقه ومصالحه.

واستمرت حياة الزبير في عهد أبي بكر وعمر في طمأنينة وسعادة. أنعم الله عليه من ماله فأنفق عن سعة، فقيل إنه رزق ألف مملوك، يؤدون له الخراج. فكان لا يستبقي منها درهما واحداً.

وفي أثناء الفتنة التي ابتلي بها المسلمون في أواخر عهد عثمان بن عفان حرص الزبير أن يبقى وفياً للحق وللعدل: ويقول عنه حسان بن ثابت:

أقام على عهد النبي ودينه حواريه القول بالفعل يعدل
أقام على مناجه وطريقه يوالي ولي الحق والحق أعدل

سار في ركاب عائشة يوم الجمل، معتقداً أنه على طريق الصواب. ولما ذكره علي بن أبي طالب قول الرسول عليه الصلاة والسلام: «لتقاتلنه وأنت ظالم له أقسم أن لا يحمل سلاحاً ضد علي». وتقول بعض الروايات إن ابنه عبد الله حمله على أن يكفر عن يمينه، وأن لا يعتزل المعركة. ولقد أجمع المؤرخون على أن الزبير لم ينتظر نهاية الموقعة وأنه أحجم عن القتال مخافة أن يكون من الفئة الباغية.

وغادر الزبير البصرة، تائباً ومنيباً، واعتدى عليه ابن جرموز، وأراد أن يبشر علي بن أبي طالب بقتل الزبير، وزف إليه علي بن أبي طالب البشارة بالنار.

وحزن المسلمون لقتل الزبير، ورثاه الشعراء، فمنهم من كان مخلصاً في قوله مثل ما كان من حسان بن ثابت، ومنهم من ندبه بعد حين لينال من منافسيه وخصومه مثل ما كان من أمر جرير بن الخطفي حين يذم الفرزدق وابن عمه شبة بن عقال في قتل الزبير وهو في جوارهم ومما قال فيه: وأشعاره فيه كثيرة:

إنني تذكرني الزبير حمامة تدعو على فنن الغصون هديلاً
قالت قريش ما أذل مجاشعاً جاراً وأكرم ذا القتيل قتيلاً
أو بعد مقتلهم حوارى محمد ترجو القيون مع الرسول سبيلاً
شملت بركة الزبير أسرته وحلفاءه.

فلقد كان لابنه عبد الله شأن عرّفه التاريخ، واشتهر مصعب
بجوده وفتوته، فحسده الخلفاء وتغنى به الشعراء، وفيه يقول ابن قيس
الرقيات:

إنما مصعب شهاب والله تجلت من وجهه الظلماء
ملكه ملك عزة ليس فيه جبروت ولا به كبرياء
أما عروة بن الزبير، فلقد كان من العلماء الأعلام.

ومن حلفاء بني أسد بن عبد العزى حاطب بن أبي بلتعة
اللخمي. وسعد بن خولي مولى حاطب شهد سعد بدرًا وقتل يوم أحد
شهيداً. أما حاطب فقد قال النبي في معرضه «ما يدريك لعل الله اطلع
على أعمال أهل بدر، وقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»
نعرف أن حاطباً بعث برسالة قبل غزوة الفتح ينذر فيها أهل مكة،
وبعث الرسول عليه الصلاة والسلام في أثر الطعينة التي حملت هذه
الرسالة في صفائر رأسها.

أدرك علي بن أبي طالب الطعينة، ومعه الزبير والمقداد ابن
عمرو. واستخرجوا منها الكتاب. وأمر حاطب أنه كتب إلى قريش
لتكون له يد عندهم يعرض بها القوة العصبية التي يحتمي بها الناس.
ونزل في أمره قوله تعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء - الآية﴾

واستأذن عمر في ضرب عنقه . لكن الرسول عرف صدقه وقبل
عذره، وعرف أنه لن يكون من الأشقياء من شهد بدمراً ويبيعه
الرضوان . وتاب حاطب، وارتضى الرسول توبته، وتحمل برسالته إلى
المقوقس، وحمل عنه الحديث من حسن الاستعداد للجمعة وكونه
كفارة عمل الأسبوع.

بنو عبد الدار

كان من بني عبد الدار أول أستاذ مهاجر بعثه الرسول إلى المدينة ليفقه الناس في دينهم، وليقرأ عليهم القرآن، إنه مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار. فتى مكة عزاً وجمالاً، كانت أمه من أغنى نساء قريش وكانت حريصة أن يعيش حياة ملؤها الرقة والنعيم، أسلم في دار الأرقم بن أبي الأرقم وظل يتردد سراً على النبي حتى بصر به عثمان بن طلحة فأخبر أهله فحبسوه حتى هاجر إلى الحبشة ثم عاد إلى مكة وأرسله النبي معلماً في المدينة. ولقد تحمل مصعب هذه المهمة، وقام بأمرها خير قيام، فكان في دور بني النجار، يدعو الناس إلى الله، ويبين لهم شرائعه ويقيم شعائره. ويقول البراء ابن عازب إن أول من قدم المدينة مصعب وابن أم مكتوم. وكان مصعب يأتي الأنصار فيدعوهم ويقرأ عليهم القرآن حتى فشى فيهم الإسلام، وأذن له النبي أن يجمع بالناس. فجمعهم في دار سعد بن خيشمة بخطبة وركعتين، وكانت أول جمعة في المدينة، وعاد إلى مكة مع حجاج الأنصار وحاولت أمه من جديد رده عن دينه فلم تفلح.

وبعد سنة من قدوم مصعب اجتمع شمل المسلمين بالمدينة، لما أقبل إلى الأنصار جدهم الذي كانوا ينتظرونه، وفرح ولائد بني

النجار بقدم النبي ، وتغنت فتياتهم يرددن :

نحن جوار من بني النجار يا حبذا جار النبي من جار
كان مصعب من الذين شهدوا هذا اللقاء العظيم . وظل
مصعب مجتهداً ، جاداً في هجرته وجهاده . كانت هجرته حباً لله
ورسوله ، وجهاده استماتة في سبيل الله ورسوله . فأعرض عن نعيم
بيته وحنان أمه وعمها أوتيت من مال ، فكان في المدينة يعاني ضيق يد في
الحياة ، فلم يزد إلا قوة وإيماناً . أقبل يوماً في المدينة وعليه نمرة قد
وصلها بإهاب فنكس الصحابة رؤوسهم حياء . فقال النبي : « الحمد
لله ليقلب الدنيا بأهلها . رأينا هذا - يعني مصعب - وما في مكة من
قريش أنعم عند أبويه نعيماً منه ، ثم أخرجهم من ذلك الرغبة في الخير
وحب الله ورسوله » . وحمل لواء المهاجرين يوم بدر وكان من أبطاله
المخلصين ، ولقد أسرف فيها أخوه ، وطلب مصعب من الأنصاري
الذي أسره أن يشد وثاقه . وأن يشدد في طلب الفداء . وفي يوم أحد ،
في الوقت الذي كان أبناء عمومته من بني عبد الدار يموتون ، الواحد
تلو الآخر ، تحت راية كفار قريش ، فاز مصعب بن عمير بالشهادة تحت
راية المهاجرين كان أبناء عمه يستمعون إلى هند بنت عتبة . وهي
تعرضهم على قتل المسلمين . وتدعوهم قائلة :

« صبراً بني عبد الدار . صبراً حماة الأدبار . ضرباً بكل بتار »
وتعدهم بالعناق ، وتهدهم بالفراق .

كان في ذلك الوقت مصعب ، يسبح لله . وفرغ الناس حينما رأوه
شهيدياً ، لأنه كان ممن يشبه بالرسول ، وتناسى المسلمون أن الله قد
عصم رسوله من الناس . وحسنت خواتم عمل مصعب بن عمير .

وقف عليه النبي صريعاً فتلاً قوله تعالى ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً﴾ وتذكر أيامه بمكة وما بها أحد أرق حلة ولا أحسن لمة منه وهو الآن أشعث الرأس قتيل في بردة لا تواري جسمه كله. ثم أقبل على الناس فقال: «زوروهم واثوهم وسلموا عليهم فوالذي نفسي بيده لا يسلم عليهم مسلم إلى يوم القيامة إلا ردوا عليه السلام».

ومن مهاجري عبد الدار الأولين سويبط بن سعد وطليب بن عمير وأمه أروى بنت عبد المطلب بن هاشم.

المهاجرون من بني مخزوم:

سبق أن ذكرنا أن شأن بني مخزوم في قريش شأن عظيم.
إنهم بيت المكانة والسطوة في قريش.

نصب كفارهم العداوة للإسلام، وأبلى من أسلم منهم البلاء الحسن في الدفاع عنه. فكان منهم الأرقم بن أبي الأرقم، الذي آوى الرسول في داره فجعل منها مسجداً للصلاة ومدرسة للتلاوة وحصناً للمسلمين. ومنهم أبو جهل الذي ناوأ محمداً رسول الله وسعى في قتله وإخراجه، ودبر مقاطعة بني هاشم في الشعب طيلة ثلاث سنوات، وقتل سمية أم عمار بن ياسر وحرص كفار قريش على قتال المسلمين في يوم بدر.

ومن بني مخزوم ثلة من خيار المهاجرين الأولين، منهم من تسمى بالمهاجر، وهو الوليد بن أبي أمية، وأبو سلمة بن عبد الأسد، وأخوه السائب. والمسيب بن حزن وهو من أهل بيعة الرضوان، وعبد الله بن السائب وعياش بن أبي ربيعة، والوليد بن الوليد، كل هؤلاء من فريق الجنة والهداية.

ومن فريق السعير والضلال، الوليد بن المغيرة الذي فكر وقدر وقتل كيف قدر. وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة الذي انتهى من بين

المستهزئين، ومن الذين أخلدوا إلى الأرض، زهير بن أبي أمية وأبو أمية نفسه.

ونعود إلى فريق الإسلام، لتحدث أولاً عن الأرقم بن أبي الأرقم.

(١) الأرقم بن أبي الأرقم بن أسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم

أسلم سابع سبعة ودعيت داره دار الإسلام فكانت أول بيت وضع للدعوة إلى الحق والتوحيد، وعرف الأرقم ما لها من فضل وبركة فتصدق بها الأرقم على ولده وكتب أنها محرمة بمكانها من الحرم لا تباع ولا تورث فلم تزل كذلك إلى زمن أبي جعفر المنصور. وبقيت لأهل الأرقم حتى خرج عبد الله بن عثمان بن الأرقم مع محمد بن عبد الله بن الحسن فحبسه المنصور وابتاع عامله الدار من أهلها تحت الضغط، وصيرها المهدي للخيزران أم هارون الرشيد، فصارت تعرف بدار الخيزران.

شهد الأرقم كل المشاهد مع الرسول وطالت به الحياة بعده فتوفي في عهد معاوية وأوصى أن يصلي عليه سعد بن أبي وقاص فطاب سابق عمله وختم بالخير والسعادة.

ومن بني مخزوم شماس بن عثمان وهو ممن شهد بدرًا ومن أبطال أحد، وقال النبي إنه لم ير شبيهاً له إلا في الجنة فكان لا يرمي ببصره يميناً وشمالاً إلا رآه في ذلك الوجه يذب بسيفه.

أصيبت مقاتله في معركة أحد وحمل إلى المدينة وبه رمق من الحياة، ولما مات قال النبي ﷺ إنه يعاد إلى أحد ليدفن كما تدفن الشهداء.

ومن حلفاء بني مخزوم عمار بن ياسر، نسبة في مذحج، وكان
أبوه حليفاً لأبي حذيفة بن المغيرة ولما أسلم آل ياسر في أول الدعوة
صاروا عرضة لفتنة قريش بتعذيبهم ذهب ياسر وسمية في سبيل
استجابتهما للإسلام، واشتد الألم بعمار حتى صار لا يدري ما يقول،
فأكره أن يقول ما لا يعتقد، وبقي قلبه مطمئناً بالإيمان، وعرف الله
ورسوله صدقه وثباته. ولقد كان الرسول يمر على آل ياسر ويقول لهم
أبشروا آل ياسر فإن موعدكم الجنة، ويرى النبي عمّاراً تحت لهيب نار
قريش فيدعو له قائلاً: «يا نار كوني برداً وسلاماً على عمار كما كنت
على إبراهيم» ويزداد عمار ثباتاً وطمانينة، ويظل مؤمناً متعبداً. قانتاً
آناء الليل ساجداً أو قائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ثم استطاع أن
يهاجر من بعد ما فتن وأن يحتمي بحمى النبوة في دار الهجرة، فكان
مع الرسول يبني المساجد للتعبد ويغزو لتكون كلمة الله هي العليا
ويقاتل الإنس والجن في سبيل الحق^(١). وكان الرسول عليه الصلاة
والسلام يعرف له إيمانه وسعيه. ويقول له «ويحك يا ابن سمية تقتلك
الفئة الباغية».

كانت هذه إمارة ترصدها المسلمون لمعرفة الحق في أيام مشاجرة
الصحابة وكلهم يعرف أن عماراً يدور مع الحق حيث دار. وعينه عمر
أميراً على الكوفة فقام مقام العدل والبر.

ولقد استشهد عمار مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وحين
رأى جيش عمرو بن العاص قال لقد قاتلت صاحب هذه الراية ثلاث
مرات مع النبي ﷺ ثم شد عليهم يقول:
نحن قتلناكم على تنزيله

(١) هذا القول مردود حيث لم يثبت أن النبي ولا أحداً من أصحابه قاتلوا الجن.

واليوم نضربكم على تأويله

ضرباً يزيل الهام عن مقيله

هذا الرجز من إنشاد عبد الله بن رواحة وهو آخذ بناقة رسول الله في قدومه لعمره القضاء.
ثم يردد: اليوم ألقى الأحبة محمداً وصحبه.

ولما سمع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بمقتله قال: إن امرأ لم تدخل عليه المصيبة بمقتل أبي اليقظان لغير رشيد. رحم الله عماراً يوم أسلم ويوم قتل ويوم يبعث حياً.

ونعود مرة أخرى إلى صميم بني مخزوم لنذكر عبد الله بن أبي أمية، الذي ثنته عناية الهداية فأسلم في غزوة الحديبية، وهاجر إلى مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام.

وعن بطل بني مخزوم، سيف الله وسيف رسوله، خالد بن الوليد. إننا نعرف ما نال برماة المسلمين من فرسان خالد يوم أحد، لكن هدى الله هو الهدى.

فبعد غزوة الأحزاب، أجمع رأي خالد وعثمان بن طلحة وعمرو ابن العاص إلى الإسلام والهجرة. ومنذ أسلم خالد، وهو سيف الرسول، ورسول الجهاد والفتح، أبلى أحسن البلاء في غزوة مؤتة وأخذ راية المسلمين بقوة، أخذها بعدما استشهد في ظلها واحداً بعد واحد، زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن رواحة. وأقر الرسول عليه الصلاة والسلام إمارته، وثبته في قيادة الجهاد، فشهد معه فتح مكة، وما بعدها من مشاهد.

وبعد الرسول، ظل خالد يرفع راية الإسلام، ويكسر شوكة الردة والكفر. ويحقق عليهم النصر تلو النصر.

المهاجرون من بني جمح :

الحديث عن بني جمح بن عمرو بن هصيص، يذكرنا بيئتين في هذا البطن من قريش، كانا على طرفي نقيض. بيت بني مظعون، وبه نبدأ حديثنا، بيت الهجرة والإيمان. ومن بينهم يستوقفنا عثمان بن مظعون، ذلك المهاجر الذي بدأ جهاده قبل الهجرة، كان من أول قومه إسلاماً، أسلم قبل دخول النبي دار الأرقم مع عبيدة بن الحارث وعبد الرحمن بن عوف، وأبي سلمة بن عبد الأسد وأبي عبيدة بن الجراح. قبل عثمان بن مظعون بعد إسلامه، أن يدخل في جوار الوليد بن المغيرة، وبقي مدة لا يتعرض له أحد بسوء، ثم اشتد البلاء على أصحابه من المسلمين، فتحرك الإسلام في نفسه، فذهب إلى الوليد، وقال قد رددت إليك جوارك، ودخلت في جوار من هو أعز منك، فتعرض للفتنة مثل قومه، ولطمه بعض الطغاة من قريش، فأصاب عينه وخسرهما. والوليد قريب منه يؤنبه ويقول له إنه كان في جوار منيع، ويتضاعف شعور الإيمان في نفس عثمان بن مظعون، ويرد على الوليد، قائلاً إن عينه الصحيحة أشد فقراً إلى ما أصاب أختها في الله. وكان عثمان من أحسن الناس سيرة قبل الإسلام وبعده حرم الخمر قبل الإسلام. ولما حرمت قال تبا لها لقد كان بصري فيها ثاقباً.

أراد أن يتبتل ويسيح في الأرض وأن يهجر النساء، واشتكت امرأته من وصال عبادته فقال له النبي أليس لك في أسوة حسنة؟ فإني آتي النساء، وأكل اللحم، وأصوم وأفطر. فإن لعينيك عليك حقاً، ولجسدك عليك حقاً، فصل ونم وضم وأفطر.

ثم وجده الرسول في بيت خاص يتعبد فيه فأخذ بعضادتي باب البيت وقال: يا عثمان إن الله لم يبعثني بالرهبانية، وإن خير الدين عند الله الحنيفية السمحة.

صحب عثمان الرسول وهاجر المهجرتين، وشهد معه بدرأ، ثم عاجلته المنية فكان أول من دفن في البقيع. قبله النبي وهو ميت وقالت عائشة إنها رأت دموع النبي تسيل على خد عثمان وبكت النساء عليه، فجعل عمر يضرهن بسوطه. وقال له رسول الله ﷺ مهلاً يا عمر بكين، وإياكن ونعيق الشيطان، ويين أن ما كان من العين والقلب فمن الله ومن الرحمة وما كان من اليد واللسان فمن الشيطان.

البيت الثاني من بني جمح بيت بني خلف بن وهب بن حذافة ولم ينج منه إلا من رحم ربك، ولقد كان صفوان بن أمية ممن تداركته هذه الرحمة. أما أمية بن خلف فقد عرف بأنه رأس الكفر. واشتهر بما لاقى منه مستضعفو المسلمين من الأذى والتعذيب، لقد تولى كبير تعذيب بلال بن رباح في مكة، وأصاب منه بلال ثأره في يوم بدر، وكان أخوه أبي، رأس الفتنة والضلال. فلم يكتف بأن يضع نفسه في متاهات الشرك والجحود. ولكنه حرص أن يكون داعية الإشراف بالله، ومدافعاً عن حوزة الكفر والجحود. ولقد أشار القرآن الكريم

إلى دور أبي، حينما اتخذته عتبة^(١) بن ربيعة خليلاً فصدته عن الذكر بعد إذ جاءه، وعن الإيمان بالله والتصديق برسالة النبي، فظلم عتبة نفسه، وسيعض على يديه، قائلاً يا ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً.

وتمادى أبي في غيه وغروره ووعد قريشاً أنه سيقتل محمداً في أحد. وعصم الله نبيه من الناس وأهلك أبيتاً على يد رسوله.

ونعود مرة أخرى إلى آل مظعون، لنشيد بأخوي عثمان، وهما عبد الله وقدامة وهما ممن هاجر الهجرتين وشهد كل المشاهد. وكذلك ابن أخته معمر بن الحارث بن معمر وابن أخيه السائب الذي قتل يوم بدر شهيداً.



(١) الرجل ليس عتبة بن ربيعة وإنما هو عقبة بن أبي معيط الذي كان مصافياً الود لأبي بن خلف الجمحي وهو الذي نزل فيه ﴿ويوم يعض الظالم على يديه﴾ الآية وسبب ذلك أن عقبة هذا يزعم أنه منافي فصنع طعاماً دعا إليه بني عبد مناف فلما حضر رسول الله ﷺ امتنع عن أكل طعامه حتى يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فنطق بها وأكل ﷺ من طعامه وانصرف، فلما حضر أبي مع صديقه بمكان قال كلامك علي حرام حتى ترد على محمد مقالته وتبصق في وجهه وذهب عقبة إلى رسول الله ﷺ وارتد عن الإسلام والعياذ بالله، لكنه حين أراد أن يبصق في وجه رسول الله ﷺ رد الله بصافه على وجهه فاحترق منه وجهه وكان أثره برصية، ونزل في ذلك قوله تعالى: ﴿ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً. يا ويلتي ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً. لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولاً﴾.

المهاجرون من بني سهم بن عمرو بن هصيص

كان بيت عدي بن سعد في بني سهم بيت شرف ومجد.

ولقد تفرق أبناؤه فريقين فريق في الجنة وفريق في السعير.

فكان منهم أبناء حذافة بن قيس وهم أولوا سابقة في الهجرة والجهاد. منهم خنيس الذي تزوج حفصة بنت عمر بن الخطاب قبل أن تكون من أمهات المؤمنين.

وعبد الله الذي كان رسول النبي ﷺ إلى كسرى، ومناديه في الحج.

ومن أبناء قيس بن عدي عبد الله بن الزبيري بن قيس، وهو الشاعر الذي قال بعد وقعة أحد:

ليت أشياخي بيدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
غير أن رحمة الله تداركت عبد الله، فأسلم وحسن إسلامه.

ومن بني عدي أيضاً الحارث بن عدي الذي كان من المستهزئين، غير أنه ترك ثمانية أولاد أسلموا كلهم. واستشهد منهم ثلاثة في سبيل الله وهم أبو قيس في اليمامة، وسعيد في أجنادين، وعبد الله في الطائف.

ومن مشاهير قريش ودهاتهم عمرو بن العاص

ونبدأ الحديث عن عمرو بن العاص، بقصة إسلامه وهجرته إلى المدينة مع خالد بن الوليد وعثمان بن طلحة. لقد جد عمرو بن العاص في أول أمره أن يقف في وجه الإسلام، ذهب إلى الحبشة لينزع مهاجريها من النجاشي، فكانت مناظرته التي انهزم فيها أمام

جعفر بن أبي طالب، وشهد مع قريش جل وقائعهم ضد المسلمين، وبعد غزوة الأحزاب ذهب ثانية إلى الحبشة فراراً من انتشار الإسلام، ومحاولة لاستمالة النجاشي من جديد. بيد أن محاورته مع النجاشي أفنعتة بالاستسلام والإسلام. ثم كان لعمر بن العاص بعد ذلك دوره المعروف في حروب الردة، وحينما وقعت المشاجرة بين الصحابة آثر عمرو أن يقف بجانب معاوية، وكان من أمره ما كان، وكان أمر الله قدراً مقدوراً وابنه عبد الله من علماء الصحابة وأفاضلهم.

ومن بيوتات بني سهم نذكر عرضاً بيت أبي وداعة بن سعيد بن سهم لا لتحدث عن المهاجرين الأولين، وإنما لنتبه أن من هذا البيت عبد الرحمن بن محيص بن المطلب بن أبي وداعة، قارئ أهل مكة.

ومن هذا البيت كذلك كثير^(١) الشاعر المعروف وإسماعيل بن جامع المشهور في الغناء.

(١) كثير الشاعر المعروف هو كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر الخزاعي أبو صخر اهـ، من الأعلام للزركلي ج ٦/٧٢.

وقال ابن مأكولا في الاكمال هو كثير بن عبد الرحمن بن أبي جمعة أبو صخر اهـ منه والمقصود تبين أنه ليس من قريش إطلاقاً وإنما هو من خزاعة، غير أن قومه من خزاعة يزعمون أنهم يرجعون في نسبهم الى الصلت بن النضر بن كنانة. قال البلاذري في أنساب الأشراف صفحة ٣٨، بعد ما ذكر أن الصلت بن النضر درج، قال: وقوم من خزاعة يذكرون أنهم من بني الصلت بن النضر منهم رهط كثير صاحب عزة، ابن عبد الرحمن قال كثير:

ليس أبي بالنضر أم ليس أخوتي

وكل هجان من بني النضر أزهر

إذا ما قطعنا من قريش قرابة

فأي قسي يحمل النبل ميسرا

فإن لم تكونوا من بني النضر فاتركوا

أراك بأذناب الفوائح أخضرا

اهـ والحمد لله

المهاجرون الأولون من بني عامر بن لؤي :

قد لا يكون عدد المهاجرين الأولين من بني عامر بن لؤي، كثيراً. غير أن العبرة ليست بالكثرة وحدها، حيث نجد أقواماً من السابقين المقربين. مثل أبي سبرة وأبي رهم بن عبد العزى بن عبد ود، وأمه برة بنت عبد المطلب، ولقد اختلف أهل السير في هجرته للحبشة استشهد يوم اليمامة صائماً مجاهداً مخلصاً ويذكر أهل السير من بني عامر كذلك أبا حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود الذي قيل إنه أول من وصل الحبشة من المهاجرين وعبد الله بن مخزومة بن عبد العزى الذي هاجر مع إمام المهاجرين في الحبشة جعفر بن أبي طالب، ثم عاد وشهد كل المشاهد مع رسول الله ﷺ. ومنهم سعد بن خولة الذي قال الرسول في صدده: اللهم أمض لأصحابي هجرتهم ولا تردهم على أعقابهم ولقد استجاب الله لنبيه في ابن مخزومة فلم يزل مجاهداً في سبيل الحق حتى قتل شهيداً في وقعة اليمامة.

ولا يسعنا، ونحن نتحدث عن بني عامر، إلا أن نذكر أحد زعمائهم ولو لم يك من عداد المهاجرين لما قام به من أدوار خطيرة في الجاهلية والإسلام، ذلك هو سهيل بن عمرو، الذي اشتهرت قصته في مفاوضات الصلح في الحديبية، حتى هدد عمر بقتله، وأعرض

الرسول عليه الصلاة والسلام عن ذلك مراعاة لما سوف يسديه للمسلمين فيما بعد. ولسهيل ابنان هاجر كل منهما إلى الله وإلى المسلمين في ظروف حاسمة. أولهما عبد الله بن سهيل الذي خرج مع المشركين إلى بدر، ولما تراءى الجمعان، رغب عبد الله بنفسه أن يقاتل مع أئمة الكفر والجحود، فخرج من صفوف أهل الضلال والخذلان، والتحق بالمسلمين، وقاتل في سبيل الله ومع رسول الله، فكتب له السعادة والنصر، وظل مهاجراً مجاهداً حتى استشهد في وقعة اليمامة.

أما قصة أخيه أبي جندل، فإنها تشبه بكثير ما وقع لأخيه عبد الله، جاء أبو جندل يرسف في قيوده أوان صلح الحديبية، وناشد المسلمين أن لا يردوه إلى دار الفتنة، ولم يرض الرسول غير الوفاء بالعهد إن العهد كان مسؤولاً، فرده النبي إلى قريش، وهو يعرف ماذا سيكون من أمره، واستطاع أبو جندل أن ينجو بنفسه، وأن ينضم إلى جماعة أبي بصير، التي تحيزت على طريق وأقضت مضاجع كفار قريش حتى طلبوا من الرسول أن يأويهم معه في المدينة.

ومن مهاجري بني عامر بن لؤي، وهب بن سعد بن أبي سرح، الذي مات شهيداً في غزوة مؤته. ومن حلفائهم، سعد بن خولة الذي رثى له النبي ﷺ بسبب وفاته بمكة بعدما هاجر منها ومن مواليتهم عمير بن عوف الذي شهد كل المشاهد مع رسول الله ﷺ.

المهاجرون من بني الحارث بن قصي

نذكر في طليعة المهاجرين من بني الحارث بن قصي، أمين الأمة عامر بن عبد الله بن الجراح، المعروف بأبي عبيدة. لقد قال عنه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كلمة موجزة، بيد أنها من أبلغ ما قيل في حياة أمين الأمة. لقد قاد أبو عبيدة ألوية النصر إلى الشام وفتح قاعدة الحضارة في دمشق، تحوطه جيوشه بكثير من الحب والاحترام. وينظر إليه عرب الشام بكامل المهابة والتقدير.

وتطلعت نفس أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى أن يزور المراكز التي انضوت في حظيرة الإسلام، وأن يشاهد بنفسه الأثر الحضاري لهذا الحدث العظيم. ووصل موكب عمر إلى الشام واستقبله قواد جيش أبي عبيدة وجعل يلتفت يمينا وشمالاً ليرى أمين الأمة، ثم قال أين أخي أبو عبيدة؟ فلم يأت أبو عبيدة على البغال الشهب، وإنما جاءه على بعير. وذهبا إلى خيمة أبي عبيدة، ونظر عمر إلى ما فيها من متاع، فلم يجد فيها سريراً ولا منضدة ولم ير إلا حصيراً يستعمل للجلوس، والنوم والصلاة. والتفت عمر إلى أخيه قائلاً: هلا اتخذت متاعاً؟ فأجابه أمين الأمة قائلاً: «إن هذا يبلغنا المقييل». وحينئذ قال له أمير المؤمنين: كل واحد منا غيرته الدنيا إلا أنت يا أبا عبيدة.

وهكذا شهد عمر بن الخطاب، لأمين الأمة بالثبات على سيرة الصحابة الأولين. وتمنى أن يرى بيتاً مملوءاً برجال مثل أبي عبيدة، وعندما أراد عمر أن يعهد بالخلافة قال لو كان أبو عبيدة حياً لاستخلفته. وقبل عمر، شهد الرسول عليه الصلاة والسلام لأبي عبيدة بالأمانة وبشره بالجنة وارتضاه أبو بكر في جمع سقيفة بني ساعدة، أن يكون خليفة للمسلمين.

ولقد سعى أبو عبيدة سعياً يجعله حرياً بكل هذا التقدير. لقد كان من المسلمين السابقين، ومن المهاجرين الأولين فلم يرض أن يكون من الذين يوادون من حاد الله ورسوله، ولو كانوا آباءهم، ولم يقبل منذ أن دخل في الإسلام، نسباً غير نسبة الإسلام. وهكذا قيل عنه إنه أجم والده بالسيوف في وقعة بدر الكبرى. وإذا كان بعض المؤرخين يقول إن أباه مات قبل بدر، فإن شهرة هذا الخبر تعبر عن مدى عمق إيمانه، وانقطاعه من أسباب الكفر، وتشبثه بعروة الإسلام. وشهد كل المشاهد مع رسول الله ﷺ. شهد بداراً وثبت معه يوم أحد، وهو الذي انتزع الحلقتين اللتين أصيب بهما في وجنتيه، فسقطت ثناياه آنذاك، فكانتا له سمة الخير وشهادة ذوي عدل على صدق النية في الهجرة والجهاد. وبعثه النبي أميراً على سرية في أرض جهينة في الساحل ولما نفذ زاد قومه صاروا يخبطون الخبط ويسوقونه، فسموا بجيش الخبط، ثم ما لبثوا أن وجدوا سمكة من أضخم الحيتان أكلوا منها عشرين ليلة.

ونذكر من بني عمومته: بني ربيعة بن هلال وكلهم من المهاجرين الأولين، منهم سهل وسهيل ابنا بيضاء، وأبوهما وهب بن ربيعة بن هلال ماتا في حياة النبي وصلى عليهما في مسجده، وكان

سهل ممن سعى في نقض صحيفة الظلم التي كتبتها قريش في مقاطعة بني هاشم بالشعب.

ومنهم كذلك عياض بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة، وعمرو ابن الحارث بن زهير، وعمرو بن أبي سرح بن ربيعة. وأخوه وهب، كلهم كانوا أهل سبق في الهجرة والجهاد. ومنهم أبناء عبد قيس بن لقيط بن عامر، سعيد والحارث، وكلاهما من المهاجرين الأولين.

خاتمة في مدلول الهجرة

لقد استعرضنا في هذا الفصل مشاهير المهاجرين الأولين، ولم نحاول استقصاءهم مراعاة للإيجاز. لأننا لو أردنا حصر جميع الذين أسلموا قبل الفتح، لتطلب ذلك الإحصاء أعمالاً تتجاوز ما نرمي إليه في هذه الأحاديث. فاقصرنا على أعلام المهاجرين من مكة إلى الحبشة ثم إلى المدينة، وذلك رغبة منا في تفهم مدلول الهجرة.

لقد نوه الله بالمهاجرين في القرآن الكريم. وجعل بعضهم أولياء بعض، وقرن الهجرة بالإيمان والجهاد، ولقد اعتبر الرسول عليه الصلاة والسلام، هجرة أصحابه عبادة مستمرة، وقيد أجرها بالنية، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله الحديث. وسأل النبي ربه أن يمضي لأصحابه هجرتهم. وأن لا يردهم على أعقابهم. ورثى لأحدهم حينما توفي في مكة بعد أن هاجر إلى المدينة. وكان المهاجرون يتخرجون من المقام في مكة بعد الحج مخافة أن يعودوا في هجرتهم، وأذن لهم الرسول في ثلاث ليال بعد النسك، وكثير منهم يأبى أن ينزل في داره التي خرج منها مهاجراً إلى الله ورسوله.

ثم أجمعوا على أن يبدأوا تاريخهم بهجرة الرسول باعتبارها أهم حدث تحول في الإسلام. فقال عمر بن الخطاب، الذي اختارها، إنها

فرقت بين الحق والباطل، وروى عن أبي شهاب الزهري أن النبي ﷺ لما قدم المدينة أمر بالتاريخ فكتب ابتداء من ربيع الأول. ويقول السهيلي إن الصحابة اقتبسوا اختيار بدء التاريخ بالهجرة استناداً على قوله تعالى: ﴿المسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه﴾. وأن أول يوم هو يوم قدوم الرسول ﷺ إلى المدينة.

فالهجرة إذن تعبد بالنسبة للمهاجرين الأولين، وتحول في تاريخ الإسلام.

إنها عبادة أولئك الذين خرجوا من بيوتهم فراراً إلى الله. فانسلخوا من أوطانهم وذويهم. لم يجسهم أهل ولا مال، عن المضي إلى دار الهجرة. دار الإيمان والجهاد.

والهجرة أيضاً تحول في تاريخ الإسلام، حيث إن الالتحام بين المهاجرين والأنصار قضى في أيام معدودات على العصبية القبلية وعلى حمة الجاهلية، وعلى المختلقات الأسطورية، وعلى كل المفاهيم التي لا تستند إلا على المنافع الإنسانية، واعتمدت قيم الإسلام كشرعة ومنهاج، وكون هذا الالتحام تلك القوة الضاربة التي حمت الإسلام في مهده، ورفعت كلمة الإيمان والتوحيد في كل مكان.

ولقد كان المهاجرون والأنصار، تحت قيادة محمد بن عبد الله، وبمراى ومسمع من الله، هم أبطال هذا الجهاد المقدس.

دور الأنصار

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله وحده وصلى الله على نبيه ورسوله

القسم الثالث

دور الأنصار

«خير دور الأنصار بنو النجار ثم بنو عبد الأشهل ثم بنو الحارث
ابن الخزرج ثم بنو ساعدة وفي كل دور الأنصار خير».

هذا ما قاله من الأنصار من عرفهم حق معرفتهم وبلا أخبارهم
في السراء والضراء. لقد قال هذا القول عنهم من أرسل إليهم وهاجر
إلى دارهم محمد رسول الله ﷺ.

ونود هنا أن نتردد بين هذه الدور ونذكر بعض ما لها من فضل
وخير، ولكن قبل أن نقرع أبواب دور الأنصار نذكر في عرض
موجز بمكانة الأنصار بين العرب ويمجدهم وشرفهم العريق، ثم نذكر
ما أسدوه في فجر الإسلام لهذا الدين من نصر وتأييد، وبعد هذا
العرض نعود إلى أحياء الأنصار لتتعرف على أعيانهم الكرماء.

مكث النبي عليه الصلاة والسلام بمكة بضعة عشرة سنة ينذر أم
القرى ومن حولها، ويدعو الناس إلى التوحيد والعدل والإحسان وينهى
عن الفحشاء والمنكر والبغى، وكذبه الملأ من قريش وقالوا ساحر
أومجنون. فلم يستجب له إلا القليل، وظل في مكة في ثلة مستضعفين

يخافون أن يتخطفهم الناس، معرضين لفتنة سفهاء قريش وسخرية مستهزئتهم، فهاجر بعض أصحابه إلى الحبشة فإراً بدينه من الكفر والاضطهاد، وبقي البعض صابراً لما يلاقيه من إهانة وتعذيب، ولما كاد رسول الله ﷺ أن يستيئس من قومه، بدأ يعرض دينه على القبائل التي ترد المواسم حول مكة، فكان يأتيهم في منازلهم ويستعطفهم ويقرأ عليهم القرآن ويدعوهم إلى الإسلام. وكانوا في أكثر الأحيان يردون عليه أقبح الرد ويكذبونه أشنع التكذيب، كان ذلك مثل بني ثور بن مرة وبني عبد الله من كلب، وبني حنيفة.

ومن بين القبائل التي عرض عليها الإسلام بنو عامر بن صعصعة وأجابه سيدهم ببيجرة بن فراس بقوله: «أرأيت بأنا إن تابعناك ثم أظهرك الله على من خالفك، أيكون الأمر لنا من بعدك؟». ويرد عليه الرسول عليه الصلاة والسلام قائلاً «إن الأمر لله يضعه حيث يشاء» وبين لببيجرة أن الإسلام دين الله لا يقبل من يريد دخوله للتغلب والملك، وأوجس بنو عامر في أنفسهم الخوف من قريش فقالوا «إننا لن نهدف نحورنا دونك» فلم يقضهم الله لنصر الإسلام.

وفي هذه الفترات كان للنبي عليه الصلاة والسلام لقاءات مع بني قيلة، لقي أولاً سويد بن الصامت أخا بني عمرو بن عوف، وهو من أقرباء النبي ﷺ، إذ أن أمه ليلي بنت عمرو أخت لسلمي بنت عمرو النجارية أم عبد المطلب، وسمع سويد القرآن واستحسنه وقارب أن يسلم، وكان سويد حكيمًا درس مجلة لقمان التي تضمنت حكمته، كما كان شاعراً مجيداً، تظهر حنكته في شعره حيث يقول:

ألا رب من تدعو صديقاً ولو ترى مقالته بالغيب ساءك ما يفري

مقالته كالشهد ما دام شاهداً وبالغيب مأثور على ثغرة النحر
يسرك بأديه وتحت أديمه نائمة غش تبترى عقب الظهر
ورجع سويد إلى قومه وقتله الخزرج يوم بعث. وكان اللقاء
الثاني مع فتية من بني عبد الأشهل أتوا مكة يستنجدون بقريش في
حربهم مع الخزرج، ومن هؤلاء القوم أبو الحيس بن رافع وإياس بن
معاذ، ولما سمعوا القرآن من النبي ﷺ رد عليه إياس بالقول
والاستحسان، ولكن أبا الحيس غضب على إياس وسفه قوله وضرب
بالخصى في وجهه. ويقول بنو عبد الأشهل إن إياساً مات مهلاً
بالتوحيد والإسلام.

واللقاء الثالث كان بينه وبين ستة من الخزرج. اثنان منهم من
بني النجار وهما: أسعد بن زرارة وعوف بن عفراء، وثلاثة من بني
سلمة وهم: جابر بن عبد الله وقظية وعقبة بن عامر. والسادس من
بني زريق وهو رافع بن مالك بن العجلان. ولما سمعوا منه القرآن
استجابوا كلهم لدعوته واعتنقوا دينه الخفيف ثم رجعوا إلى أهلهم
مبشرين ومنذرين.

وكان اللقاء الرابع بداية عهد جديد في الإسلام، فقد ضم أحد
عشر رجلاً من الخزرج ورجلين من الأوس. فمن الخزرج نجد
أسعد بن زرارة ومعه رفاقه السابقون الأولون ما عدا جابر بن
عبد الله، ومعهم في هذه المرة معاذ بن عفراء التجاري وعبادة بن
الصامت ويزيد بن ثعلبة ويزيد بن غنم بن سالم العجلاني والعباس بن
عبادة بن نضلة. ومن الأوس أبو الهيثم بن التيهان وعويم بن ساعدة.
واتفقت هذه الجماعة التي تمثل قبيلتي بني قيلة أن تباع النبي

ﷺ على احترام أوامر الإسلام واجتناب مناهيه والسعي في نشر دعوته. ويعرف هذا اللقاء بالعقبة الأولى. لأنه قد تم في منى.

ثم كانت العقبة الثانية، وهي كانت اللقاء الخامس الذي له ما بعده. فهو أعظم حدث عرف تاريخ فجر الإسلام. ففيه التقى بنو قيلة مع رسول الله ﷺ وبايعوه على نصره وإيوائه وعلى قتال الأحر والأسود دونه وعلى استقبال كل من هاجر إليهم من المسلمين.

ومن هذا اللقاء بدأ نور الإسلام ينتشر في الأفق، وتحطم الحصار الذي ضربه كفار قريش على المسلمين وأراد الله أن يرفع راية الإسلام ويعزه على أيدي الخزرج والأوس فحين جاء حجيج أهل يثرب، وكان من بينهم بعض المسلمين، أتاهم النبي ﷺ وسلم حسب عادته ووعظهم وتلا عليهم القرآن. واجتمع به منهم زهاء سبعين رجلاً وامرأتين. وبايعوه على الجهاد بأنفسهم وأموالهم في سبيل الله. وعلى إيواء مهاجري المسلمين. واختار النبي ﷺ منهم اثني عشر نقيباً يكفلونهم ويرعون عهدهم، وكان هو كفيلاً على قومه من المسلمين. ثم لم يسألوه أن يجعل الأمر لهم من بعده مثل ما فعل بنو عامر بن صعصعة، ولكنهم طلبوا منه إن أظهره الله على عدوه أن لا يتركهم وأن لا يبارح دار هجرته. وكان جوابه إليهم أن تبسم ابتسامة الوفي قائلاً: «إن ذمته ذمتهم وحرمته حرمتهم».

وكان أول من بايعه أسعد بن زرارة ثم تتابع الناس على البيعة، وسوف نذكر في دور الأنصار أسماء هؤلاء النقباء الذين كان الرسول ﷺ يشير إليهم بإملاء من جبريل عليه السلام، فكانت هذه العقبة الثانية مرضاة لله ونصراً لنبيه وبشارة لملائكة الرحمن، كما كانت مذلة

للسيطان الذي تعالى صراخه فوق هضبات منى، وكانت كذلك بداية انهزام كفار قريش.

فمن هم هؤلاء الأنصار الجدد الذين استطاعوا أن يتحدوا قريشاً في عقر دارهم وأن يبايعوا محمداً على قتال جميع العرب وجميع المشركين؟ سوف نعرف جواب هذا السؤال حين ندرك ما لهم من شرف في النسب وما عرف عنهم من إباء وكرم وشجاعة.

مجد الأنصار

ولن نستغرب مجد الأنصار وإبائهم إذا عرفنا أنهم أبناء ملوك اليمن، فجدهم الأزدي بن الغوث بن سبأ كان ملكاً في صنعاء بعد حمير. أما آبؤهم الأدنون فهم لا يصغرون عن رتبة الملوك مثل أجدادهم الأقدمين، فالأوس والخزرج هما ابنا حارثة بن ثعلبة العنقاء بن مزيقيا عمرو بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس البهلول بن ثعلبة الصنم بن مازن الهراج بن الأزدي. وكل هذه الألقاب تشير إلى المجد والرفعة والتعظيم.

وقد نزع عامر من اليمن حين أحس سيل العرم، وعلم أن قومه لن يرضوا بغربته عنهم فاحتال عليهم وأمر ابنه عمراً أن يلطمه أمام الملك وبهذه المكيدة استطاع أن يأبى الإقامة في دار الهوان والعقوق.

وتجمع بعض بني حارثة بن ثعلبة بن عمرو عند ماء قرب الجحفة يقال له غسان وتسموا به، ورحل منهم أولاد جفنة بن حارثة إلى الشام وتغلبوا على سكانها وملوكها مدة سبعمئة سنة، وذلك بإعانة

إخوتهم من أهل يثرب كما استعان أهل يثرب بأبناء جفنة عندما خافوا من نقض عهودهم من اليهود.

فالأنصار أبناء الملوك وإخوة الملوك وقبل الهجرة بقليل أزمعوا أن يتوجوا ملكهم لكن الله اختار لهم الإسلام عن الملك، فكانوا خياراً في الجاهلية والإسلام فلا غرابة أن يفخر شاعرهم حسان بن ثابت بقوله: يا بنت آل فراس إنني رجل من معشر لهم في المجد بنيان إما سألت فأنا معشر أنف الأزدي نسبتنا والماء غسان

والعرب تفخر بحماية المياه وبورود الماء الذي تناذره العدو، وهذا ما يفسر لنا كون قبائل بارق والهجر وخزاعة كانوا من بني حارثة، ولكنهم ليسوا من غسان لأنهم لم يردوا ماء غسان ولم يحموه.

ولا غرابة أيضاً أن يفخر حسان بمكانته عند أبناء عمومته من ملوك الشام الغسانيين فيقول:

لمن الدار أقفرت بمعان بين أعلى اليرموك فالصمان

وظل الأوس والخزرج على إباثهم وعزهم لا يقبلون أن يحتموا إلا في ظل سيوفهم ولما غزا تبع الأصغر الشام ودان له ملوك غسان قدم على يثرب وفيها بنو حارثة فأعانهم على اليهود، ورجع إلى اليمن بعدما كسا الكعبة من بروده اليمنية ثم أرسل إلى الخزرج والأوس يريد منهم إتاوة مقابل إعانته لهم على اليهود، وكان ردهم عليه عنيفاً ومفحشاً يعبر عنه هذان البيتان:

العبد تبعكم يريد قتالنا ومكانه بالمنزل المتذلل
إنا أناس لا نضام بأرضنا عض الرسول بطن أم المرسل

والتصحيح في البيت الأخير في كلمة «بطن» ثم غزا تبع

الأنصار فكانوا يكرمونه في الليل ويقاتلونه بالنهار ، فأعجب بشجاعتهم وكرمهم يذيقونه حد السيوف ، وشبا الرماح كل يوم ويكرمون مثواه بقراهم كل ليلة ، فتركهم وعلم أن الأنصار لا يضمامون في أرضهم .

وقد كان من الصعب على قبيلة قليلة العدد مثلهم أن لا تحتمي ببعض الملوك وتعطيه المغرم مقابل هذه الحماية ، مثل ما فعلت بنو أسد حيث كانوا يؤدون إتاوة لحجر الكندي ، وكانت هوازن وهم أكثر عدداً من بني قبيلة ، تعطي مغرمًا لزهير بن جذيمة العبسي ، وذلك قبل أن يقتله خالد بن جعفر العامري الذي يقول :

أو كيف تنكرني هوازن بعدما أعتقتهم فتوالدوا أحراراً
وقتل ربهم زهيراً بعدما جدع الأنوف وأكثر الأوتاراً

وخالد بن جعفر هذا هو من بني عامر بن صعصعة الذين أبوا أن ينتصروا لرسول الله ﷺ خوفاً من قريش . وهذا يوضح لنا عن الأنصار وإبائهم ومجدهم العريق .

ولم يسُدْ بنو قبيلة بالشجاعة والكرم فقط بل إنهم أيضاً أعطوا الحكمة وفصل الخطاب . فكان منهم سويد بن الصامت صاحب مجلة لقمان وحكمته ، ومنهم ثابت بن قيس بن شماس خطيب رسول الله ﷺ الذي كان يباهي به الوفود .

وقد نبغ منهم شعراء أفذاذ عم صيتهم جميع العرب ، فقد قال أنس بن مالك رضي الله عنه : أتانا رسول الله ﷺ وما فينا أهل بيت إلا ويقولون الشعر ، ونذكر في طليعة هؤلاء الشعراء شاعر رسول الله ﷺ حسان بن ثابت الذي استطاع أن يقتحم قبة النابغة الذبياني وأن

يتحداه هو وعلقمة الفحل، وقد أنشدهما حسان قصيدته الرائعة التي مطلعها.

أسألك رسم الدار أم لم تسأل بين الجوابي فالبضيع فحومل
وفيها يقول:

لله در عصابة نادمتهم يوماً بجِلْق في الزمان الأول
أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم الأفضل
يسقون من ورد البريض عليهم برداً يصفق بالرحيق السلسل
يغشون حتى ما تهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل

وينال شعر حسان هذا إعجاب جميع الحاضرين ويثير سخط
الحسود.

وابن مارية المشار إليه في هذا الشعر هو الحارث بن أبي شمر
الغساني، وأمه مارية بنت وهب بن ظالم الكندي وهي التي يضرب
المثل بقرطيتها، وهي أيضاً أخت هند الهنود امرأة حجر آكل المرار.

هكذا كان حسان في الجاهلية وسوف نراه في عهد الإسلام حين
نتكلم عن دار بني النجار.

ومن مشاهير شعراء الأنصار كعب بن مالك وعبد الله بن
رواحة، وسوف نتحدث عنهم فيما بعد.

ونريد أن نذكر في آخر هذا الفصل بعض العوامل التي جعلت
الأنصار يعتنقون الإسلام وينصرون رسوله عليه الصلاة والسلام.

إن أهم هذه العوامل أنهم كانوا أهل كرم وعفة وإباء، طبع الله
في نفوسهم هذه الخصال الحميدة التي قد رفعها الإسلام وأعلى شأنها.

فأتاهم هذا الدين السمع موافقاً لما عرف في طبائعهم من كرم وإباء، ثم إنهم كانوا يجاورون أهل الكتاب من يهود ونصارى وعرفوا بمخالطتهم بعض ما في الكتب المنزلة من توحيد الله وعظمته، ومن بعثه للأنبياء، كما عرفوا أنه سيأتي رسول يجدد دين الخنيفية ويمحو الأوثان.

وقد كان أبناء عمهم في الشام يدينون بالنصرانية ويعظمون شعائرها وكان بعض بني قبيلة يحضر هذه الشعائر ويفهم منها أن هناك رباً يجب أن يعبد، فهذا حسان بن ثابت يقول في جلق:

ودنا الفصح فالولائد ينظمن سراعاً أكلة المرجان.

غير أن الأنصار لم يرضوا أن يدخلوا في هذه الأديان التي اعتبروها أجنبية عليهم، فالبعض منهم ظل وفياً لمناة والبعض كان يدعي أنه على الخنيفية مثل عبد^(١) عمرو الفاسق أبي حنظلة الغسيل. وحين سمعوا القرآن وأتاهم الإسلام على يد رسول عربي يمت إليهم بالقرابة ويبعث بصدقه الطمأنينة في نفوسهم رأوا أن هذا الدين مصداقاً لما قبله من الكتب والرسول، وأنه ملائم لأخلاقهم الأبية، مستجيباً لما تتطلبه ضمائرهم من التقرب إلى الخالق ومن طرح الأوثان.

فقيضهم الله للإسلام فصاروا له أنصاراً ولرسوله مأوى، وللمهاجرين إليهم إخواناً. وما نحن نظرق أبواب دورهم لنستطلع على ما فيها من مجد في النفوس وأسبقية في الإسلام.

(١) يعني أبا عامر الفاسق والد حنظلة الغسيل فقد كان يدعي أنه على الخنيفية وكان لذلك يدعي أبا عامر الراهب، فلما جاء الإسلام وكفر به سباه رسول الله ﷺ بالفاسق، أخرجته من المدينة بغضه لرسول الله ﷺ، وانضم إلى مشركي مكة وتزوج جميلة بنت عبد الله بن أبي راس النفاق قالوا: حنظلة الغسيل نجل الفاسق زوج جميلة ابنة المنافق.

بنو النجار (بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج)

نبتدىء بخير دور الأنصار، دار بني النجار. ونرى مصداق ما قاله عنهم النبي عليه الصلاة والسلام، حين نعرف أنهم من أشرف الأنصار بيوتاً، وأوسطهم نسباً وأشدهم على أعداء الإسلام. وسوف نلتقي في دارهم بعدة أحياء اشتهرت كلها بالفضل والأسبقية في الإسلام.

(١) بنو غنم بن مالك بن النجار:

نقف أولاً عند حي بني غنم بن مالك بن النجار. وسنجد في هذا الحي أول نقيب بايع رسول الله ﷺ على قتال الأحمر والأسود، وأول من عاهده على نصرته وعلى إيواء المهاجرين.

حضر هذا الرجل العقبات الثلاث، وكان فيها مخلص الإيمان باذلاً نفسه وماله لتأييد الإسلام، آوى في بيته المهاجرين الأولين اللذين قدما المدينة أعني مصعب بن عمير وعبد الله ابن أم مكتوم. فكانا في بيته يعلمان القرآن ويثان دعوته.

ولما جاء النبي ﷺ المدينة امتلاً قلب هذا الرجل فرحاً ولازم رسوله وحببيه، وأعطاه ذلك المكان المقدس الذي بنى فيه مسجد^(١) رسول الله ﷺ. لكنه لم يلبث أن توفي وذلك قبل وقعة بدر بقليل ولو أن الله مد في عمره لكان له في الإسلام شأن عظيم.

(١) الذي ورد في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «يا بني النجار ثامنوا في حائطكم» فقالوا: بل نهبه لك قال: «لا إلا من شراء» فاشتراه بعشرة دراهم نقدها أبو بكر. وكان هذا الحائط مربداً ليتيمين في حجر عرف بن عفرأ هما سهل وسهيل. ففي هذا الحائط بنى ﷺ مسجده بعد إقامة أربعة عشر يوماً بالمدينة فيه تكلم.

هذا الرجل هو أسعد بن زرارة بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك، وقد كان أسعد هذا بطل العقبات وإمام النقباء وناصر المهاجرين السابقين.

وقد كافأه رسول الله ﷺ أحسن المكافأة عاجله مريضاً وصلى عليه ودفنه بالبقيع. وقال لأهل داره إنه عليه الصلاة والسلام نقيبهم بعد أسعد وأوصى بيناته. فكان يكرمهن ويحليهن رعات التبر واللؤلؤ، وهن ممن بايعنه ونذكر منهن حبيبة أم أبي أمامة بن حنيفة وكبشة بنت أسعد والفريعة التي زوجها رسول الله ﷺ من نبيط بن جابر وقال للواتي أشرفن على زفافها أن يقلن:

أتيناكم أتيناكم فحيونا فحيونا نحييكم
ولولا الخنطة السمراء لم نحلل بواديكم
ولولا الذهب الأحمر ما جئنا نهيكم

وفي هذا الحي سوف نحط رحالنا في دار أبي أيوب، فهي كعبة ديار بني النجار بركت أمامها القصواء لأمر ما، فكان فيها رحل رسول الله ﷺ، ونزل فيها مع رحله، يحوطه بنو النجار متقلدي سيوفهم، ينظرون إليه نظر المهابة والتكريم. وكان عليه الصلاة والسلام، من هذه الدار ينير قلوب المسلمين بنور الإيمان وهدية، ويرفع فوقهم ألوثة الإسلام.

وأبو أيوب، واسمه خالد بن زيد، ممن استحق هذه العناية الإلهية التي جعلته أهلاً لاستقبال رسول الله ﷺ في داره هذه، لقد كان عقيباً وبدرياً، شهد كل المشاهد مع النبي عليه الصلاة والسلام وحمل عنه العلم والحديث، حتى إن الصحابة كانوا يستفتونه في الفرائض والسنن.

ولم يترك أبو أيوب، الجهاد بعد النبي ﷺ حتى توفي شهيداً في زمن معاوية بن أبي سفيان. وتشاء الأقدار أن يكون فيها بعيداً جداً عن المدينة المنورة. لقد استشهد في قسطنطينية ودفن في سورها. وكان أهل هذه المدينة يستسقون بقبره^(١) فيسقون.

ومن هذا الحلي لن نغفل حارثة بن النعمان بن نفع وزيد بن ثعلبة بن غنم. فقد كانا من أجلاء أصحاب رسول الله ﷺ الذين شهدوا كل المشاهد. وقد اشتهر حارثة بيره وصدقه، وهو الذي قال عنه النبي ﷺ إنه رأى الجنة مرة ولما سمع بها قراءة سأل عنها فأجيب بأنه صوت حارثة بن النعمان، فقال عليه السلام «كذلكم البر» فهو إذا من الذين بشروا بالجنة، ومن الذين خصوا برؤية جبريل يتحدث مع النبي عليه الصلاة والسلام. كما اشتهر أيضاً بجوده حيث إنه أعطى النبي ﷺ دوره التي قرب المسجد فكانت بها حجرات أزواج النبي. وبناته: سودة وعمرة وأم هشام كن ممن بايعن النبي ﷺ وأم هشام هي التي يروى عنها أنهم مكثوا سنة بجواره عليه الصلاة والسلام وتؤنوره معهم واحد وعنه قد أخذت بعض سور القرآن.

ثم لا نغفل كذلك عمارة بن حزم العقبي الذي شهد كل الغزوات مع النبي ﷺ والذي مات شهيداً يوم اليمامة، وعمارة هذا هو الذي حمل راية بني النجار يوم فتح مكة. وقد عرض على رسول الله ﷺ رقية عنده فارتضاها وأقره عليها.

وفي بيوت بني غنم بن مالك بيت ليس لنا بد من زيارته، فقد كان رسول الله ﷺ يزوره ويعطف على ساكنيه. إنه بيت الربيع بنت معوذ بن عفراء. فقد حدثنا البخاري أن النبي عليه الصلاة والسلام

(١) لا يجوز في الإسلام مثل هذا العمل وإنما يكون الاستسقاء بدعاء رجل صالح في قيد الحياة والناس يؤمنون.

قد زار هذا البيت، وجلس قريباً من الربيع يوم عرسها ووجد عندها
ولائد يغنين ويذكرون أبطال الأنصار، ولما رأى النبي عليه السلام
أردن الثناء عليه وذكر معجزاته، ولكن الرسول عليه الصلاة والسلام
قال لمن «لا تقلن هذا وعاودن ما قلتن من قبل».

وقد كانت الربيع هذه تغزو مع رسول الله ﷺ وتحضن
المرضى، وتداوي الجرحى، وليس هذا بغريب في نساء الأنصار
اللواتي قد عرفن بالشجاعة والتحمل وصدق الإيمان، وليس هذا أيضاً
غريباً في حق الربيع بالذات فلقد استشهد أبوها يوم بدر. وهو معوذ
بن الحارث بن رفاعة بن سواد، واشتهر هو وإخوته بأبناء عفراء التي
هي أمهم.

وأخوا معوذ هما معاذ بن عفراء هو عقبي وبدري، وعوف بن
عفراء الذي استشهد يوم بدر بعدما أبلى بلاءً حسناً في نصرته الإسلام.
وقد قال عبد الرحمن بن عوف إنه بينما كان في صفوف القتال حي
جاءه شاب من الأنصار وقال له: «أين أبو جهل؟ فوا الله إن رأيت لا
يفارق سوادى سواده حتى يموت منا الأعجل». وبعد هنيهة أتاه فتى
منهم وقال له مثل ما قال الأول. وبصر عبد الرحمن بن عوف بأبي
جهل وقال لهما هذا هو من تبحثون عنه. فجردا سيفيهما وذهبا إليه،
واستطاع كل منهما أن يقول إنه قد قتل ألد أعداء الإسلام. وكان أحد
هذين الشابين هو عوف بن عفراء والثاني معاذ بن عمرو بن الجموح
الذي سوف نراه في دار بني سلمة.

وقد قاتل مع رسول الله ﷺ ستة عشر رجلاً من بني غنم بن
مالك واستشهد منهم دونه يوم أحد أربعة، من بينهم خالد بن مخلد

وهو بدري . وعمرو بن منير بن سواد وابنه قيس وابن أخيه ثابت بن عمرو بن زيد بن سواد بن مالك بن غنم .

(٢) بنو عمرو بن مالك بن النجار

ينقسم هذا الحي من الأنصار إلى بيتين: بيت بني معاوية بن عمرو وهم المعروفون ببني جديلة، والثاني بيت بني مغالة وهم بنو عدي بن عمرو بن مالك . وأهم مغالة من بني كنانة بن خزيمة .

نبدأ ببني عدي بن عمرو ونتوقف في دار كان النبي ﷺ يدخلها ويصلي فيها ويدعو لأهلها بالخير والبركات، أعني دار أبي طلحة . ويعرفنا أبو طلحة بنفسه إذ يقول:

«أنا أبو طلحة واسمي زيد : وفي سلاحي كل يوم صيد» . نعم إنه زيد بن سهل بن الأسود بن حزام بن عمرو بن زيد مائة بن عدي ، وهو البطل الشجاع والفارس المغوار الذي شهد العقبة الأخيرة وجميع المشاهد مع رسول الله ﷺ .

اشتهر أبو طلحة يوم أحد بأنه كان مع النبي ﷺ وراء محن واحد، فكان أبو طلحة يرمي المشركين بنباله ويطل رسول الله عليه الصلاة والسلام ليرى مواقع نبل أبي طلحة، ولكن أبا طلحة يقول له: «بأبي أنت وأمي لا تشرف على القوم فنحري دون نحرك» . وأعجب رسول الله ﷺ برماية أبي طلحة فكان كلما مر به أحد من رماة المسلمين يقول له: «انثر جعبتك لأبي طلحة» وسوف نرى في معرض الكلام عن بني عدي بن النجار كيف كانت أم سليم زوج أبي طلحة تجاهد مع المسلمين؟ وبالخصوص في هذا اليوم الذي كان شديداً على المسلمين .

واشتهر أبو طلحة أيضاً بكرمه وإنفاقه في سبيل الله . فلما أنزل قوله تعالى ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تَحِبُّونَ﴾ . قال أبو طلحة «إن أحب مالي إليَّ حائطي بريحاء»^(١) فهو لله ورسوله» فأمره رسول الله ﷺ أن يجعله في ذوي الحاجة من أقربائه، فأعطاه بين أبي بن كعب وحسان بن ثابت .

وهو الذي استعار منه النبي ﷺ جواداً ركبه ليلة فزع في المدينة وأثنى عليه الصلاة والسلام على الجواد كما كان يثني من قبل على مالكه . فهو من فضلاء الصحابة وعلمائهم ، ومن المقربين من رسول الله ﷺ في السفر والحضر . وهو الذي أمره أن يدخل قبر ابنته حيث إنه من الأبرار المطهرين . ويروى أنه ما ترك الصوم لا في سفر أو مرض إلى أن مات في خلافة عثمان . وقد ولاه عمر بن الخطاب على مراقبة أعمال أهل الشورى وكلفه بتنفيذ ما قرره .

وقد كان حفيده إسحق بن عبد الله بن أبي طلحة من رواة الحديث المشهورين . وعبد الله بن أبي طلحة هو الذي حنكه رسول الله ﷺ بتمر فيها ريقه وقال ضاحكاً : لما تلمظ الصبي فيها «أبت الأنصار إلا حب التمر» .

ومن أبنائه أبو عمير الذي كان يمازحه رسول الله ﷺ وهو طفل وقد رآه حزيناً فسأل عن كآبته فقال له أبو طلحة ضل نغره الذي كان يلعب به فصار النبي عليه السلام يقول «يا أبا عمير ما فعل النغير» . وقريب من بيت أبي طلحة بيت ابن عمه حسان بن ثابت بن المنذر وقد عرفنا أن له أخوين أحدهما : أوس بن ثابت ، وهو من شهداء

(١) قال ابن الأثير هذه اللفظة كثيراً ما اختلف الفاظ المحدثين فيها فيقولون بريحاء بفتح الباء وكسرهما وفتح الراء وضمها وهو اسم مال وموضع بالمدينة قال : وقال النخعي في الفائق إنها فعيل من الراح والأرض الظاهرة (لسان العرب مادة برح) .

أحد، وقد آخى النبي ﷺ بينه وبين عثمان بن عفان والثاني أبو شيخ بن ثابت، وهو ممن شهد بدرًا مع رسول الله ﷺ.

أما حسان بن ثابت فهو شاعر رسول الله ﷺ الذي أصبح مضرب الأمثال. فهو الذي يشير إليه البوصيري فيقول:
أنا حسان أمدحك وإذا نحت عليكم فإنني الخنساء

ولم يك حسان وحده الشاعر الأنصاري الذي نافح عن رسول الله ﷺ، فسوف نرى أن كعب بن مالك وعبد الله بن رواحة كانا من فحول شعراء الأنصار المدافعين عن الإسلام. بيد أن صيت حسان قد شمل الأقطار العربية كلها، وعرفته الملوك والمواسم الشاعر المصقع في أيام الجاهلية وخافه المشركون في حروب الجهاد، فكان من فحول شعراء الجاهلية ومن سيوف الإسلام في صدر الإسلام.

وكان النبي ﷺ ينصب له كرسيًا في المسجد وينشده رده على المشركين، والرسول عليه الصلاة والسلام يقول له «اهجهم وروح القدس معك» فلا غرابة أن يلهم تلك العبارات التي أقضت مضاجع مشركي قريش وصارت مضرب الأمثال. نذكر منها على سبيل المثال، قوله مخاطبًا أبا سفيان بن الحارث حين قال:

أتهجوه ولست له بكفاء فشركما لخير كما الفداء

واشتهر أيضاً تعريضه بفرار الحارث بن هشام حيث يقول:

إن كنت كاذبة التي حدثني فنجوت منجى الحارث بن هشام
ترك الأحبة أن يقاتل دونهم ونجا برأس طمرة وجام
وكذلك قوله لكفار قريش:
زعمت سخينة أن ستقهر ربها وليغلبن مغالب الغلاب

وكان ﷺ يردد الشطر الأخير من هذا البيت بإعجاب وتصديق .

وليس من السهل حصر ما اشتهر من شعر حسان من هذا القبيل، فلقد ظل حسان في صدر الإسلام الناطق بلسان حال المسلمين يفحم من هاجاهم ويفخر بنصرهم وبما أولاهم الله من هدى وكرامة ويندبهم شهداءهم وكرامهم .

وكان النبي عليه الصلاة والسلام يعرف له منزلته في الدفاع عنه وعن المسلمين فكان يرحمه ويرضيه . ولما تورط حسان في قصة الإفك المشهورة وضربه صفوان بن المعطل، أرسل إليه النبي ﷺ وأرضاه ووهبه أم ابنه عبد الرحمن وهي أخت مارية القبطية أم إبراهيم بن رسول الله ﷺ . فكان حسان يفتخر بقراءة ابنه من ابن النبي عليه الصلاة والسلام .

وأشعار حسان في النبي ﷺ كثيرة جداً وجيدة كثيراً . وسوف لا نورد منها في هذا الفصل إلا أبياتاً قليلة بعدما التحق النبي بالرفيق الأعلى، وهذه الأبيات تدل دلالة واضحة على منزلته من رسول الله ﷺ .

من الذي عنده رحلي وراحلي ورزق أهلي إذا لم يؤنسوا المطرا
أم من نعاتب لا نخشى بوادره إذا اللسان عثا في القول أو عثرا
كان الضياء وكان النور يتبعه بعد الإله وكان السمع والبصرا
ولئن كانت الأيام امتدت بحسان بعد النبي ﷺ فإنه مع ذلك ظل وفياً لرسوله ولدينه، كما ظل مؤازراً للخلفاء الراشدين حريصاً على اجتماع كلمة المسلمين .

وفي شيخوخة حسان لم تفارقه فتوته الشعرية، فكان ينشد شعره

في المسجد بين يدي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ويذكر أنه يجد ربيع
بني جفنة ويتحدث بما لهم من سالف المفاخر. ويروي صاحب العقد
الفريد أن حسناً حضر يوماً مأدبة عند رجل من الأنصار وقد كف
بصره، وبصحبه ابنه عبد الرحمن وكانت في المجلس فتية تغني بشعره
وتقول:

انظر خليلي بباب جلق هل تبصر البلقاء من أحد
جمال شعشاء إذ هبطن من المنحنى دون الكثبان فالسند
وتستهل دموع حسان طرباً وحنيناً لذكرياته الماضية.

ولقد كان ابنه عبد الرحمن مثله في الفتوة والشعر. وهو الذي
عناه حسان بقوله في زيد بن ثابت.

فمن للقوافي بعد حسان وابنه ومن للمثاني بعد زيد بن ثابت
وقد كان عبد الرحمن بن حسان جريء اللسان تناول بالهجاء
زياد بن أبيه وقال فيه معرضاً بمعاوية:

وأشهد أن قريك من زياد كقرب الفيل من ولد الأتان

كما هجا عبد الرحمن بن الحكم هجاء لاذعاً، فأمر معاوية
مروان بن الحكم، وهو والي إذ ذاك على المدينة، أن يؤدبها. فضرب
مروان عبد الرحمن ثمانين سوطاً وضرب أخاه عشرين. فقيل لابن
حسان هلا شكوت من الوالي إلى الخليفة؟ قال كيف أفعل وقد ضربني
كما تضرب الأحرار. وجعل لأخيه نصف الحد كما يجلد العبد؟ وبعد
هذا التهاجي حرض يزيد بن معاوية الأخطل التغلبي على هجاء
الأنصار، ونشأت عن ذلك قصة سوف نذكر طرفاً منها في ترجمة

النعمان بن بشير.

أما بنو معاوية بن عمرو بن مالك فيكفيهم فخراً وشرفاً أن منهم إمام القراء أبي بن كعب بن قيس صاحب رسول الله الذي ائتمنه على كتاب الله الكريم. فلقد كان يقرئه السور بأمر من الله جل وعلا، وكان أبي يبكي فرحاً حين يخبر بأن الله تعالى أمر رسوله بأن يقرئه كتابه العزيز. فكان من كتاب الوحي ومن الصحابة القلائل الذين حفظوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ.

واعترف له الصحابة رضوان الله عليهم بقصب السبق في هذا الميدان الشريف. فقال عنه عمر بن الخطاب إنه أقرأ الصحابة وكان يسميه بسيد المسلمين ويسأله عن النوازل. وقرأ عليه منهم الكثير مثل أبي هريرة وعبد الله بن عباس وغيرهم.

وقد عده مسروق من أصحاب الفتيا وقد شهد أبي العقبة والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وتوفى في خلافة عثمان على الأرجح.

ومن شهد بدرًا من بني معاوية أنس بن معاذ بن قيس ابن عم أبي ويروى أنه كان من شهداء بئر معونة.

(٣) بنو عامر بن مالك بن النجار (المشهورون ببني مبدول):

ومنهم سهل بن عتيك بن النعمان بن عمر بن عتيك بن عمر بن عامر وهو من رجال العقبة ومن أبطال بدر وأحد.

ومن أبطال بدر وأحد من هذا الحي، الحارث بن الصمة. وكان

من ثبت مع رسول الله ﷺ يوم أحد، وبايعه على الموت دونه. ولما انكشف العدو قليلاً كان رسول الله ﷺ يقول ما فعل عمي؟ ما فعل حمزة؟ فخرج الحارث بن الصمة في طلب حمزة بن عبد المطلب وأبطأ، فسار على أثره علي بن أبي طالب وهو يرتجز.

يا رب إن الحارث بن الصمة كان رفيقاً ويناذا ذمة قد ضل في مهامه مهمة يلتمس الجنة فيما ثمة^(١)

(٤) بنو عدي بن النجار

بيت بني عدي بن النجار من أعرق بيوت الأنصار في الإسلام، فقد شهد منهم بديراً اثنا عشر رجلاً، أبو زيد، قيس بن السكن وهو من بني حرام بن عامر بن غنم بن عدي، وأبو زيد هذا من الذين جمعوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ.

ومن أبطاهم البدرين حرام بن ملحان بن خالد بن زيد بن حرام، وكان النبي عليه الصلاة والسلام يقول عنه إن حراماً مات معي، وهو من شهداء القراء يوم بئر معونة. وهؤلاء الشهداء هم الذين غدرت بهم رعل وذكوان وعصية. وقد حزن عليهم رسول الله ﷺ أشد الحزن ولبث شهراً يدعو على الذين غدروا بهم حتى أوحى الله تعالى عليه أن شهداء بئر معونة لقوا ربهم فأرضاهم ورضى عنهم. وكان حرام أول من استشهد منهم وذلك حين بعثه أمير السرية المنذر بن عمرو الساعدي، إلى جموع القوم بكتاب من النبي عليه الصلاة والسلام. ولما غشيه حرام وحده قتلوه غدراً، وروى قاتلوه أنه لما

(١) وشهد الحارث ابن الصمة يوم بئر معونة وقتل شهيداً.

أحسن الطعنة قال فزت ورب الكعبة. ولم ينج من أهل بئر معونة إلا كعب بن زيد أخو بني دينار بن النجار بقي بين القتلى فظن ميتاً ثم امتدت به الحياة إلى يوم الخندق.

ونعرف من حلفاء بني عدي بن النجار سواد بن غزية الذي استشهد يوم بدر بعدما طلب من رسول الله ﷺ القود وذلك ليتسنى له أن يتطيب من عطر عرق النبي الكريم قبل أن يلتحق بمعرسه الأخير.

ومن بني عدي بن النجار أنس بن مالك، وقبل أن نتكلم عنه والكلام عنه قد يطول، نود أن نعرف ببعض أقربائه. ولنبدأ بعمه أنس بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام، وأنس بن النضر هذا قال الله تعالى عنه في آية كريمة ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر﴾ وكان أنس ابن النضر ممن قضى نحبه يوم أخذ بعد صدق الله ورسوله ما عاهدهم عليه. وقد كانت شهادته دليلاً على صدق اليقين وإخلاص المحبة لله ولرسوله. فحين صرح اللعين أن النبي مات يوم أحد فزع المسلمون من هذا الصراخ فزعاً شديداً فقال أنس بن النضر صارخاً: «ما هي الحياة بعد رسول الله عليه الصلاة والسلام» ثم هاجم معترك المشركين وهو يشم ريح الجنة دون الموت، فتمزق جسده في سبيل الله وبارك الله في ذاك الأديم الممزق.

وأنس بن النضر قال رسول الله ﷺ، إنه من عباده الذين إن أقسموا على الله لأبرهم، وقد روى البخاري قصة أخته الربيع بنت النضر التي كسرت ثنية جارية وشكا أهل الجارية إلى رسول الله ﷺ فدعا أخت النضر للقصاص، فقال أخوها: «والذي بعثك بالحق لا

تكسر ثنية الربيع» فقال له رسول الله عليه الصلاة والسلام: «يا أنس كتاب الله القصاص» فرضى أنس بكتاب الله ويحكم رسوله دون أن يبقى في صدره منه شيء. ولكن أهل الجارية رضوا بالأرش، وفرح بذلك رسول الله وقال ﴿إِنْ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ مِنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرِهِ﴾.

ويروى أيضاً أن البراء بن مالك أخا أنس بن مالك وحادي رسول الله ﷺ، كان من الذين اصطفوا بمثل هذه الخصوصية. وقد استعمل قسمه على الله في حروب الفتوح التي كان من شجعانها. فقال يا رب أقسم عليك إلا ما أعطيتنا أكتافهم وألحقتني برسول الله ﷺ فكان ما أقسم عليه واستشهد رضي الله عنه.

أما أنس بن مالك فإن دوره في الإسلام كان مهماً جداً فيما يتعلق بتحمل العلم والتشريع، فهو من العلماء الذين أرسوا سنة رسول الله ﷺ من بعده، ونصروا تعاليمه وسيرته وأعطوا من أنفسهم مثلاً على العمل الخالص لعبادة ربهم والاقتراء بسنة رسوله عليه الصلاة والسلام.

كان أنس غلاماً لا يتجاوز العاشرة حينما قدم رسول الله ﷺ إلى المدينة، وأخذ أبو طلحة بيد أنس، وذهب به إلى رسول الله ﷺ قائلاً «إن أنساً غلام ذكي، وأرجو أن يكون في خدمتك» ورضى النبي ﷺ بأنس كخادم له ومكث معه عشر سنين ويقول أنس في هذه المدة التي كنت أخدم فيها رسول الله ﷺ لم يقل لي إذا فعلت شيئاً: لم فعلت كذا؟ وإذا لم أفعل شيئاً لم يقل لي قط: لم لم تفعل كذا؟. وهذه العبارة من أبلغ ما يوصف به حسن خلق من الذي خلقه القرآن ولم يكن فظاً ولا غليظاً ولا فحاشاً، وإنما كان ليناً لأصحابه وبهم كان رحيماً.

في هذه العشر السنوات لازم أنس رسول الله ﷺ في سفره وحضره، وحرص أن يعقل ما كان يرى من رسول الله ﷺ وصار فيما بعد يبيث عنه الحديث الكثير ويصف خلقه وخلقه، فهو الذي يقول لنا إن رسول الله ﷺ كان أحسن الناس وجهاً وأحسن الناس خلقاً، ليس بالطويل ولا بالقصير، مربوعاً بعيداً ما بين المنكبين، له شعر يبلغ شحمة أذنه ووجهه مثل القمر، وأنه ما مس حريراً ولا ديباجاً ألين من كفه، ولا شم عطراً أطيب من عرقه، وكما عرف أنس خلق رسول الله ﷺ فقد عرف أيضاً من خلقه ما كان يرضيه ويضاعف في نفسه الحب والإعجاب. عرف منه ذلك الرسول الذي لا يتكبر وليس للعجب ولا للرياء إلى نفسه سبيلاً، فكان يروي عنه أنه قال من بسط الله له رزقه فليصل رحمه، وكان يذهب في صلة الرحم وعبادة المرضى، حتى إنه ذهب معه يوماً ليعود شاباً يهودياً مريضاً كان يخدمه بعض الأحيان، ويجلس رسول الله ﷺ عند رأس الشاب المريض ويأمره أن يسلم، وينظر أبو اليهودي إلى رسول الله ﷺ ويقول لابنه «أطع أبا القاسم» ويستجيب الابن المريض ويخرج النبي ﷺ مستبشراً قائلاً «الحمد لله الذي أنقذه من النار». وعرف منه أنس التواضع لله والرحمة بالأمة، والكرم بالمال حتى إنه، والمسلمون كلهم تحت تصرفه قد التحق بالرفيق الأعلى ودرعه مرهونة عند يهودي تاجر في ثمان أمداد من شعر اشتراها لنفقة آل بيته، ومن تواضعه أنه قد كان يستدعيه الخياط إلى بيته ويطعم عنده ويدعو له بالخير.

وعرف أنس من رسول الله ﷺ، شفقتة ورحمته بأمتة فسمعه يقول لمعاذ بن جبل «إن من قال لا إله إلا الله من أمتة حرمه الله على النار». وسمعه يعظ النساء ويقول هن «إن أي امرأة مات لها ثلاثة من

الأبناء لم يبلغوا الحلم كانوا لها سترًا من النار»، ويراجعن رسول الله ﷺ في اثنين ويقبل ذلك لمن . ويدعو لمن .

وكان أنس كذلك من أحفظ الناس لعبادة رسول الله ﷺ، ويعبر لنا عنه بهذا القول: لا تحب أن تراه صائمًا إلا رأيته، ولا مفطرًا إلا رأيته، ولا قائمًا إلا رأيته، ولا نائمًا إلا رأيته، فكان يصوم الدهر حتى نقول لا يفطر، ويفطر حتى نقول لا يصوم. وهذه العبارة تدل على المواظبة دون تكليف النفس ما لا تطيق، فيعطي العبادة حقها والبدن حقه .

ويتحدث أنس عن صلاة رسول الله ﷺ ويقول إنه كان يوجزها ويكملها، وإذا رفع من الركوع قام حتى تقول قد نسي، وكذلك بعد السجود، وكان يعتدل في سجوده ولا يبسط ذراعيه على الأرض، ويأمر أصحابه أن يقيموا الركوع ومحسنوا الصفوف ويقول إنه يراهم من وراء ظهره، وكان يصلي الظهر بالهاجرة، والعصر والشمس نقية فيذهب السائر بعدها إلى قباء ويأتيه والشمس مرتفعة، ويصلي المغرب إذا وجبت الشمس، وأما العشاء فإذا رأى أصحابه اجتمعوا عجلها، وإن أبطؤا تأنى بها، وقد أخرها مرة إلى نصف الليل، وكان يبكر بالجمعة ويقل بعدها، وكان إذا ارتحل قبل أن تزيغ الشمس أخر الظهر إلى وقت العصر فنزل فجمع بينهما، وإذا زاغت قبل أن يرتحل صلى الظهر وركب، وربما جمع بين المغرب والعشاء .

وكان أنس ممن حج مع رسول الله ﷺ واعتمر معه أربع مرات: عمرة الحديبية المشهورة، وعمرة القضاء وهي كانت في المدة التي مآد فيها رسول ﷺ كفار قريش، وعمرة الجعرانة بعد قسم غنائم حنين،

والعمرة الرابعة التي كانت مع حجه، ويذكر أنس هنا أنهم ساروا من منى إلى عرفات والبعض يكبر والبعض يلبي، ولا يعيب أحد على أحد ما فعل، وإن هذا القليل مما أتانا به أنس من الأحكام والعلوم. فهو الذي حفظ وثيقة الجامعة في الزكاة وهي التي كتبها له أبو بكر حين ولاء عاملاً على البحرين.

وقد طال عمر أنس بعد رسول الله ﷺ ولبث نحواً من سبعين سنة بعده يحدث الكثير، ويصف خلقه وخلقه ويبكي عليه، وعلى ما كان يعهده في أيامه من عبادة وزهد، ويتذكر يوم كان يزور بيته ويصلي فيه ويقول له أم سليم يا رسول الله إن لي خويصة، فيقول لها رسول الله ما هي خويصتك؟ فتقول «خادمك أنس»، فيدعو بكل خير ويطول العمر وكثرة الولد والمال، فكان أنس أكثر الأنصار مالاً وولداً ومن أطول الصحابة عمراً.

ومن روى عنه أبناؤه وحفدته مثل ثابت وثمانية بن عبد الله بن أنس وابن أخيه إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، كما روى عنه مولاه وكتابه محمد بن سيرين وكذلك صاحبه الذي كان منقطعاً إليه هو وقتادة السدوسي.

ولنعد الآن إلى أم أنس أعني أم سليم بنت ملحان فقد كانت من اللواتي بايعن رسول الله ﷺ وغزون معه، فكانت يوم أحد مع عائشة بنت أبي بكر مشمرة عن ساقها تحمل القرب وتسقي المجاهدين. وكانت مع النبي ﷺ يوم حنين وخنجرها في نطاقها تهدد كل من أراد به سوءاً، ولما رآها النبي عليه الصلاة والسلام قال إن الله قد أحسن وكفى.

وعرفت أم سليم بحب رسول الله عليه الصلاة والسلام، فكانت لا تفتأ تهديه ما طاب له، وتستدعيه إلى بيتها وإذا نام عندها أخذت عرقه وجعلته في طيبها، وإذا شرب عندها قطعت فم القربة التي شرب منها واحتفظت به للتبرك، كما كانت تحج معه وتأخذ شعره^(١) إذا حلق بمنى، وكان الرسول يرى ما تفعل ولا ينكر عليها ذلك، وكان لا يأتي إلى بيت غيرها^(٢) ولما سئل عن ذلك قال إني أرحمها فإن أخاها مات معي وهو يعني حرام بن ملحان.

وقد أسلمت أم سليم قبل الهجرة بكثير وذلك في حياة زوجها الأول مالك بن النضر ولما توفي^(٣) عنها وخطبها أبو طلحة قالت إنها لن تتزوج من المشركين الذين يعبدون خشبة نجرها عبد حبشي، ووقر ما قالت أم سليم في قلب أبي طلحة ورضى بالإسلام فكان ذلك هو مهر أم سليم^(٤).

وقد فرحت أم سليم فرحاً شديداً بقدوم الرسول عليه الصلاة والسلام فكانت تتردد بينه وبين زوجاته تخدمه وتعاونه وتغزو معه المشركين.

ولأم سليم أختها وقرينتها وهي أم ملحان - زوج عبادة بن الصامت رضي الله عنهما - وكان النبي ﷺ يأتي بيتها فتطعمه وينام عندها ويستيقظ ضاحكاً، وتسأله «ما يضحكك يا رسول الله؟»

(١) المحفوظ أنه ﷺ لما حلق في حجة الوداع أعطى شقة الأيمن لأبي طلحة. وأما شقة الثاني فقد قسمه بين أصحابه الشعرة والشعرات.

(٢) المحفوظ أنه كان يأتي إلى بيت أختها أم حرام بنت ملحان وهي التي روت عنه قوله: عرض عليّ ناس من أمتي يركبون ثبج البحر ملوكاً على الأسرة الحديث المتفق عليه.

(٣) المعروف أنها أسلمت ولم يسلم ففرق بينهما الإسلام.

(٤) الاستبصار في بيت الصحابة من الأنصار.

فيقول عرض على غزاة في سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ملوكاً على الأسرة، وتقول أم ملحان ادع الله أن يجعلني منهم فدعا لها رسول الله ﷺ وأجيبت دعوته، فقد غزت أم ملحان مع زوجها عبادة بن الصامت وركبت في غزواتها أيام معاوية وحينما خرجت صرعت من دابتها وكتب الله لها الشهادة والفوز.

(٥) بيت بني مازن بن النجار:

في بيت بني مازن عدة أبطال من رجالهم أمثال قيس بن أبي صعصعة وعبد الله بن كعب بيد أن أشهر أبطالهم أخته، أم عُمارة (نَسِيَّة) بنت كعب بن عمرو بن عوف بن مبدول بن عمرو بن غنم بن مازن.

حضرت أم عُمارة مع زوجها زيد بن عاصم بن كعب ليلة العقبة وبايعت مع القوم.

شهدت أحداً والحديبية وخيبر وعمرة القضاء وحينئذ واليامة، وقاتلت يوم أحد قتالاً لم يستطعه الرجال وجرحت اثني عشر جرحاً.

وقد كانت أم سعيد بنت سعد بن الربيع تقول لها حديثي خبرك يوم أحد، قالت خرجت أول النهار وأنا أنظر ما يصنع الناس ومعني سقاء فيه ماء؛ فانتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو في أصحابه والدولة والريح للمسلمين، فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله ﷺ فجعلت أباشر القتال وأذب عن رسول الله بالسيف وأرمي بالقوس حتى خلصت إلى الجراح.

قالت فرأيت على عاتقها جرحاً له غور أجوف فقلت يا أم عُمارة

من أصابك بهذا؟ قالت أقبل ابن قمیئة وقد ولی الناس عن رسول الله ﷺ يصيح دلوني على محمد فلا نجوت إن نجا؛ فاعترض له مصعب بن عمير وناس معه وكنت فيهم فضربني هذه الضربة ولقد ضربته على ذلك ضربات ولكن عدو الله كان له درعان.

وقد روى حفيدها عمارة بن زيد أنها قالت إن رسول الله ﷺ قال إن مقامها في يوم أحد خير من مقام الرجل.

وقد أنختها الجراح في ذلك اليوم حتى ظن بها الموت، ولما علم النبي عليه الصلاة والسلام بنجاتها فرح بذلك.

وكان معها يوم أحد زوجها وابناها يقاتلون كلهم أمام رسول الله ﷺ، وكان الناس يرون عليها منهزمين وهي ثابتة مع النبي عليه الصلاة والسلام.

ولما رآها لا تُرس لها قال لأحد الفارين ألق ترسك إلى من يقاتل، فألقاه إليها فأخذته وصارت تحتمي وتحمي به النبي عليه الصلاة والسلام.

وقد تعارض لها أحد الفرسان وضربها بالسيف لكن ترسها حماها منه ولما رجع الفارس ضربت عرقوب فرسه وأسقطته، فقال النبي عليه الصلاة والسلام لأحد أبنائها «يا ابن أم عمارة أمك أمك، فعاونها ابنها حتى أوردت عدوها حياض الموت».

وحكى ابنها عبد الله بن زيد بن عاصم أنه لما جرح في عضده يوم أحد أقبلت أمه أم عمارة وربطت جرحه وقالت انهض بني لتضارب القوم فقال لها رسول الله ﷺ ومن تطيقين يا أم عمارة؟ فاعترضت الرجل الذي جرح ابنها وضربته حتى برك. فصار النبي

عليه الصلاة والسلام يبتسم ويقول «استقودت يا أم عمارة (أي أخذت لنفسك القود) فالحمد لله الذي أظفرك وأقر عينك من عدوك وأراك تارك بعينك».

وكان النبي عليه الصلاة والسلام يدعو لها وإلى آل بيتها ويقول «اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة».

وقد أوتي عمر بن الخطاب مروطاً فسأله أحد أن يعطي منها زوجة ابنه عبد الله صفية بنت أبي عبيد فقال أبعث به إلى من هو أحق به منها إلى أم عمارة نسيبة بنت كعب سمعت رسول الله ﷺ يقول عنها يوم أحد «ما التفت يمينا ولا شمالاً إلا ورأيتها تقاتل دوني».

وقد كان الرسول يأكل عندها وهي صائمة ويخبرها أن الملائكة تصلي على الصائم إن أكل عنده الطعام.

وقد قطعت يدها يوم اليمامة وشاركت^(١) في قتل مسيلمة الكذاب الذي قتل ابنها حبيب بن زيد وقطعه إرباً إرباً حيث لم يقر له بالنبوة.

هذه هي أم عمارة التي شهدت العقبة وشهدا معها زوجها زيد ابن عاصم وقاتلت مع النبي ودونه وبعده. ورضي ابنها حبيب أن يموت صبراً في سبيل الله وفي سبيل رسوله.

(١) المعروف انها خرجت في جيش خالد بإذن خليفة رسول الله قالت : فلما دخلنا حديقة الموت تأملت عدو الله وسط المعمة فجعلته شأني وبيننا أنا أشق الصفوف اليه وما أحد ينس بكلمة وما هو إلا قرع الحديد بالحديد، عمد أحدهم إلى يسراي فقطمها فوالله ما نظرت في أي موضع سقطت فلما انتهيت إليه : إذا ولدي عبد الله يمسح سيفه من دمه فقلت أقتلته يا بني؟ قال نعم فسجدت شكراً لله.

وقد شهد بدرأ من بني مازن مع قيس بن أبي صعصعة الذي استعمله النبي ﷺ على المشاة، كما شهدها أبو داود بن عامر وسراقة بن عمرو بن عطية.

(٦) بنو دينار بن النجار:

بيت آخر من بيوت بني النجار، هو بيت بني دينار بن النجار. وقد ذكرنا من أهل هذا البيت كعب بن زيد بن قيس بن مالك بن كعب بن عبد الأشهل بن حارثة بن دينار. ونعلم أن كعباً شهد بدرأ مع رسول الله ﷺ وأنه كان في سرية بئر معونة وارتثت وامتدت به الحياة حتى شهد الخندق ومات فيها شهيداً.

ومن هذا البيت يجدر بنا أن نذكر أبناء السميراء بنت قيس ابن مالك، وهم الضحاك بن عبد عمرو بن مسعود بن ثعلبة بن كعب بن عبد الأشهل وأخاه النعمان، وهؤلاء الثلاثة^(١) قد شهدوا بدرأ مع النبي ﷺ وقتلوا بين يديه يوم أحد، أما ابنها الرابع قطبة بن عبد عمرو فقد كان من شهداء بئر معونة.

والسميراء أسلمت وبايعت النبي ﷺ هي وابنتها أم الربيع وأم الحارث واستشهد أبناؤها الأربعة في سبيل الله.

(١) لم يذكر لنا هنا من هؤلاء الثلاثة إلا اثنين، فأين الآخر؟

بنو عبد الأشهل :

ابن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس :
لم ننته بعد من الخزرج وسوف نعود إليهم بعد حين، وفي هذا
الفصل سنتكلم عن دار بني الأشهل من الأوس وذلك مراعاة للترتيب
الذي ذكرنا في أول هذه القصة، مروياً في الصحاح عن النبي ﷺ .
وفي هذا الترتيب أن بني عبد الأشهل هم خير دور الأنصار بعد بني
النجار، وقد قالت عائشة إن ثلاثة من الأنصار لم يكن أحد منهم
يلحق في الفضل، كلهم من بني عبد الأشهل : سعد بن معاذ، وأسيد
ابن حضير، وعباد بن بشر.

وسوف نبدأ بأسيد بن حضير نقيب بني عبد الأشهل في العقبة
الثانية. لقد كان والد أسيد حضير بن سماك بن عتيك بن رافع بن
امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل. وحضير كان فارس الأوس
وزعيمها في الجاهلية، وأميرها يوم بعث، وهو الذي قال فيه خفاف
بن نديبة السلمي يوم مات حول أطمه المعروف بواقم .
لو أن المنايا جرن عن ذي مهابة لهبن خضيراً يوم غلق واقم
يطوف به حتى إذا الليل جنه تبوأ منه مقعداً متناعماً
عرف والد أسيد بحضير الكتائب، وورث عنه ابنه هذا الاسم

كما ورث منه الشجاعة والرمي، فكان من خيار الأنصار في الجاهلية والإسلام.

أسلم أسيد على يد مصعب بن عمير العبدي مع سعد بن معاذ وحسن إسلامهما ثم قاما في بني عبد الأشهل بالدور الذي قام به سعد ابن زرارة في بني غنم بن مالك بن النجار. فكان من علية الصحابة وأعلامهم المعروفين، وقد آخى النبي ﷺ بينه وبين مولاه وحبه زيد بن حارثة.

ويقول ابن الكلبي إن أسيداً حضر بدرًا ولكن ابن سعد في طبقاته يقول إنه تخلف عنها وأنه لما رجع رسول الله ﷺ من بدر تلقاه أسيد وقال له الحمد لله الذي أظفرك وأقر عينك من عدوك وإني لو كنت أعلم أنك تريد غير عير قريش لذهبت معك. فقال له رسول الله ﷺ صدقت^(١).

عرف النبي عليه الصلاة والسلام صدق أسيد وفضله وروى عنه أنه قال عنه «نعم الرجل أسيد بن حضير» وقد كانت مواقفه مع رسول الله ﷺ شريفة تدل على حسن الإسلام والإخلاص. فقد ثبت معه يوم أحد وقاتل دونه قتالاً شديداً في فتية من بني عمومته من بني عبد الأشهل، وكانوا يموتون بين يدي النبي الواحد تلو الآخر. وذلك حين انكشف الناس عن النبي عليه الصلاة والسلام وغشيه الكفار، وجرحه ابن قميثة، وانكسرت رباعيته ولم يبق معه إلا القليل من أصحابه فقال عليه السلام «من يشري نفسه لنا؟» فهب آنذاك فتية بني عبد الأشهل، ويروى أن آخرهم موتاً كان عمارة بن زياد بن السكن.

(١) ابن سعد ج ٣ ص ٦٠٥.

ولما أجهضته الجراح قال لهم النبي ﷺ أدنوه مني فأدنوه منه فوسده قدمه فتوفي ونخده على قدم رسول الله ﷺ .

فإذا كان يوم أحد شديداً على المسلمين عامة فإنه كان شديداً بالخصوص على بني عبد الأشهل، فقد استشهد فيه العدد الكثير من رجالهم . ولما مر عليهم النبي ﷺ عائداً إلى المدينة وهم يبكون موتاهم قال: « لا ولكن حمزة لا بواكي له » فذهب أسيد بن حضير إلى نساء بني عبد الأشهل وأمرهن أن يتحزمن ويأتين المسجد ليندبن عم رسول الله ﷺ . ولقد تأثر النبي عليه الصلاة والسلام من موقفهن ودعا لهن بالخير إذ آسين بأنفسهن . وتقول بعض الروايات إنه أمرهن أن لا يندبن هالكاً فيما بعد .

وفي حديث الإفك حينما طلب النبي ﷺ من ينصفه من أناس تقولوا على أهله ولا يعلم من أهله إلا الخير، كان أسيد بن حضير أول من سل سيفه ليحامي حمى رسول الله ﷺ . وقد كانت له صلة وثيقة بآل أبي بكر الذي كان لا يقدم عليه أحداً من الصحابة . وكان أسيد أيضاً يقدر بركات آل أبي بكر وصرح بذلك حين نزلت آية التيمم .

وكان أسيد من أولئك الصحابة الذين اختلفوا بأمور خارقة للعادة تدل على إكرامهم وتشريفهم . فمن الصحابة من غسلته الملائكة مثل حنظلة بن أبي عامر ومنهم من كان جبريل يقرئه السلام مثل حارثة ابن النعمان ومنهم من تضيء عصاه فتكون بين يديه كالمشكاة في الظلام . وهذا ما وقع لأسيد بن حضير وابن عمه عباد بن بشر وكان أسيد يذكر أنه يكون في حالات يرضى فيها عن شعوره الديني وذلك حين يسمع القرآن أو يقرأه ، أو حين يستمع إلى خطب النبي ﷺ أو عندما يشهد الجنائز .

ذكرنا أسيداً قبل سعد بن معاذ، لأن أسيداً كان من نقباء العقبة ولكن فضائل سعد ومآثره جعلته في أعلى مراتب الصحابة. لقد فاخرت^(١) به الأوس لأنه اهتز عرش الرحمن لموته. وهذا قد ورد في الأحاديث الصحاح، وحملت نعشه الملائكة إلى البقيع. وروي أن النبي ﷺ قال مرة لما رآه «قوموا لسيدكم» ولما مرض بنى له خيمة في المسجد ليعوده عن كذب. ولما ظن به الموت قال عليه الصلاة والسلام: «اللهم إن سعداً قد جاهد في سبيلك، وصدق رسولك، فتقبل روحه بخير ما تقبلت به روحاً، وسمع سعد كلام النبي ففتح عينيه وقال السلام عليك يا رسول الله أشهد أنك رسول الله» ووضع النبي ﷺ رأس سعد على فخذه حتى مات ثم قال له «أنجزت الله ما وعدت، ولينجزنك الله ما وعدك».

هنيئاً لك أبا عمرو وورد في الصحيح أنه لما أعجب المسلمون بحلة أهديت إلى رسول الله ﷺ قال لمناديل سعد في الجنة ألين منها وأحسن.

ولنرجع قليلاً إلى الوراثة لتتكملم عن إسلام سعد بن معاذ. يقول صاحب الروض الأنف إن أهل مكة سمعوا هاتفاً يقول:

فإن يسلم السعدان يصبح محمد بمكة لا يخشى خلاف المخالف
وكان محمد عليه الصلاة والسلام آنذاك بمكة وكفار قريش
يكيدون له ليشتوه أو ليقتلوه، وكان الله له ولياً ونصيراً.

(١) ابن سعد ج ٣ ص ٦٠٦.

وقد ظن أهل مكة أن المعنيّ بالسعديين هما قبيلتا سعد هذيل
من قضاة وسعد بن زيد مناة بن تميم. ولكن الهاتف أعاد الكرة
وقال:

فيا سعد سعد الأوس كن أنت ناصراً
ويا سعد سعد الخزرجين الغطارف
أجيباً إلى داعي الهدى وتمنيا
على الله في الفردوس منية عارف
وعلم أن المقصود في هذه الأبيات هما سعد بن معاذ وسعد بن
عبادة وكلاهما أجاب داعي الرشد والهدى إلى الإسلام.

لقد أسلم سعد بن معاذ حسب ما ذكرنا من قبل مع أسيد بن
حضير على يد مصعب بن عمير وأسعد بن زرارة، وكان سعد وأسيد
من بني عبد الأشهل، وأسلم معهم جميع رجالهم ونسائهم في آن واحد
وطلباً من مصعب بن عمير وأسعد بن زرارة أن يتحولوا إلى دارهم لبث
الإسلام ونشره في أرجاء المدينة.

ويقول ابن هشام إنه بعد إسلام سعد بن معاذ وأسيد بن حضير
لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون ما عدا ما
كان في دار بني أمية بن زيد وخطمة ووائل وواقف. وهم من
الأوس بن حارثة وذلك أنه كان فيهم أبو قيس بن الأسلت المعروف
بصيفي. وقد كان شاعراً مطاعاً وقد قيل إنه أراد الإسلام ولكن منعه
منه حقه على الخزرج وقيل إنه أسلم عند موته وهو القائل:

أرب الناس أما إن ضللنا فيسرنا لمعروف السبيل
ولولا ربنا كنا يهوداً وما دين اليهود بذي شكول

ولولا ربنا كنا نصارى مع الرهبان في جبل الجليل
ولكننا خلقنا إذ خلقنا حنيفاً جيلنا عن كل جيل
نسوق الهدى ترسف مذعنات مكشفة المناكب في الحلول

وبعد الهجرة كان سعد من أولئك الصحابة المخلصين يجبون من
هاجر إليهم ويقفون عند أوامر الرسول ونواهيها .

ففي يوم بدر كان سعد بن معاذ على رأس قومه من بني عبد
الأشهل وأبلى فيه البلاء الحسن . وغني عن التوكيد ما فعل بنو عبد
الأشهل يوم أحد . أما في يوم الخندق فإننا نسمع عائشة بنت أبي بكر
تروي لنا قصته فتقول إنه مر بها وهو يرتجز :

البث قليلاً يدرك الهيجا حمل
ما أحسن الموت إذا حان الأجل

وكان سعد بن معاذ يحس بدنو أجله ويريد أن يتقبله الله شهيداً
على أحسن حالات الشهادة، ولقد أتبع له ذلك . فقد رماه ابن العرقة
على أكحله، وأسكنه النبي ﷺ وآواه وكان لا يجب أن يموت حتى تقر
عينه في حلفائه من بني قريظة الذين نكثوا عهده وعهد رسول الله،
وحالفوا عليه مشركي قريش . واستجاب الله لدعوة سعد فنزل جبريل
عليه السلام على النبي قائلاً: إن الملائكة لم تضع لأمة الحرب وإن عليه
أن يغزو بني قريظة من الآن . وحاصر رسول الله ﷺ بني قريظة نحو
شهر حتى قبلوا النزول على حكم سعد بن معاذ الذي قد تماثل
للشفاء، وأتى سعد وحكم بجزاء الغدر والكفران وقال له رسول الله
ﷺ إنه حكم بحكم الملك جل وعلا من فوق سبع سماوات .

ورجع سعد إلى خيمته في المسجد بعدما قرت عينه من عدوه

وطلب الله أن يقبضه إليه إن كانت الحرب مع مشركي قريش قد انتهت. فانفجر كلمته^(١) وتوفي متوسداً فخذ رسول الله ﷺ.

وإذا كان سعد نال ما يجب فإن المسلمين قد تأثروا تأثراً شديداً لموته. فقد قالت عائشة ما كانت تعرف بكاء أبي بكر من بكاء عمر على سعد^(٢). وكان النبي عليه الصلاة والسلام لا يبكي على الشهداء ولكن الحزن عرف في وجهه. وكانت أم سعد بن معاذ تبكيه وتندبه وتقول بين يدي رسول الله ﷺ:

ويل أم سعد سعداً براعة ونجداً
ويل أم سعد سعداً حزامة وجداً
بعد أياد ياله ومجداً مقرر ما سد به مسداً

وروي أن رسول الله ﷺ كان يعزيها ويقول لها ألا يرقىء دمعك ويذهب حزنك أن ابنك أول من ضحك الله له، واهتز له العرش؟ ثم كان عليه الصلاة والسلام يعذرهما ويقول دعوها فكل نائحة تكذب إلا أم سعد^(٣). وهي كبشة بنت رافع الخدرية.

أما ثالث الثلاثة فهو عباد بن بشر بن وقش بن زغبة بن زاعوراء بن عبد الأشهل كان من السابقين الأولين للإسلام. لأنه قد أسلم قبل أسيد بن حضير وسعد بن معاذ وظل عباد وفيماً لدينه ورسوله شهد يوم بدر مع رسول الله ﷺ، كما شهد معه مشاهدته كلها. وشارك في قمع فتنة كعب بن الأشرف، ثم بعثه النبي عليه الصلاة والسلام إلى بني سليم ومزينة ثم إلى بني المصطلق بعدما كان من أمر الوليد بن

(١) (كلمته) أي: جرحه.

(٢) ابن سعد ج ٣ ص ٤٢٣ والاستبصار ص ٢١١.

(٣) ابن سعد ج ٣ ص ٤٣٧.

عقبة بن أبي معيط ما كان، ثم جعله على مقاسم خيبر وكان أيضاً على حرس رسول الله ﷺ بتبوك.

واستشهد عباد في اليمامة بعدما أبلى فيها البلاء الحسن، حيث روي أنه كان يقدم أربعمائة من الأنصار ومعه أبو دجانة والبراء بن مالك.

ومن حلفاء بني عبد الأشهل أبو الهيثم بن التيهان واسمه مالك واختلف في نسبه، فمنهم من نسبه إلى زاعوراء أخي عبد الأشهل ويكون آتذ من الأوس. والمشهور عند أهل السير أنه من قضاة.

وكان هو نفسه فيما يروي عنه ابن سعد يقول: محياي ومماتي لبني عبد الأشهل وكان من نقبائهم ليلة العقبة الأخيرة وأبو الهيثم من أول من أسلم من الأنصار وشهد العقبات كلها وجميع الغزوات.

وحليف آخر كان من علية الصحابة وسادتهم وهو محمد بن مسلمة الأوسي، أسلم على يد مصعب مثل السابقين الذين ذكرنا وشهد مع النبي ﷺ جميع المشاهد ما عدا تبوك لأنه خلفه الرسول عليه الصلاة والسلام على المدينة ويروي عنه أنه قال سلوني عن مشاهد النبي ﷺ ومواطنه فإني لم أتخلف عنه في غزوة قط إلا في تبوك. وسلوني عن سراياه فإنه ليس منها سرية تخفى عليّ إما أن أكون فيها أو أن أعلمها حين خرجت.

وقد اعتزل المشاجرة محمد بن مسلمة وروي أنه قال أعطاني رسول الله ﷺ سيفاً فقال قاتل به المشركين ما قوتلوا فإذا رأيت أمي يضرب بعضهم بعضاً فانت به أحداً فاضربه حتى ينكسر ثم اجلس في

(١) يقال الحرث ويقال الحارث.

بيتك حتى تأتيك يد خاطئة أو منية قاضية. وقال إنه اعتزل الفتنة بين الصحابة واستبدل سيفه بسيف من خشب وجلس في مكانه حتى أتته المنية القاضية سنة ست وأربعين^(١) وكان من فقهاء الصحابة ومحدثيهم.

هؤلاء هم بعض مشاهير رجال بني عبد الأشهل. ومن نسائهن المبايعات الرباب بنت النعمان بن امرئ القيس عمه سعد بن معاذ وأم البراء بن معرور الذي هو أحد النقباء الاثني عشر، ومنهن هند بنت سماك بن عتيك عمه أسيد بن حضير وزوجة سعد بن معاذ.

واشتهرت منهن أم عامر الأشهلية وهي بنت يزيد بن السكن بن رافع بن امرئ القيس بايعت النبي ﷺ وشهدت معه بعض الغزوات وروت عنه بعض الأحاديث.

وقد قالت إنها أته بعرق فتعرقه وهو في مسجد بني عبد الأشهل، ثم قام يصلي ولم يتوضأ. وروت أيضاً أنه شرب عندها من شجب ثم انصرف. فدهنت الشجب وهو قرابة تشبه الدلو وطوته فكانت تسقي منه المريض رجاء البركة.

ومن نساء بني عبد الأشهل المشهورات حواء بنت ابن سكن أسلمت والنبي ﷺ بمكة وكان زوجها الشاعر المعروف قيس بن الخطيم مشركاً وكان يسيء عشرتها بسبب إسلامها. وأق قيس بن الخطيم سوق ذي المجاز فاتاه النبي ودعاه إلى الإسلام، فأجابه قائلاً ما أحسن ما تقول ولكن الحرب شغلتنني عن هذا الحديث. ويروي ابن

(١) ابن سعد ج ٣ ص ٤٤٤.

سعد أن رسول الله ﷺ قال له يا أبا يزيد إن صاحبك حواء قد بلغتني أنك تسيء صحبتها منذ فارقت دينك فاتق الله واحفظني فيها. قال قيس نعم وكرامة! سأفعل ما تحب ولا أعرض لها إلا بخير. ولما قدم قيس المدينة قال لحواء لقيت صاحبك محمداً فسألني أن أحفظك فيه وأنا والله وافٍ له بما أعطيته فعليك بشأنك والله لا ينالك مني أذى أبداً. فأظهرت حواء ما كانت تخفي من الإسلام.

بنو الحرث^(١) بن الخزرج

هذه هي ثلاثة دور الأنصار طبق الترتيب النبوي الذي قد ذكرناه من قبل. وسوف نرى في بيوتاتها أنها جديرة بذلك التنويه وبتلك الإشادة التي صدرت من رسول الله عليه الصلاة والسلام.

آل رواحة:

وفي هذه الدار نبداً ببيت بني رواحة، ورواحة هو ابن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج.

نعرف من آل رواحة عبد الله بن رواحة وهو من فضلاء الصحابة الأعلام. شهد العقبة وبدراً الكبرى وكان من نقباء قومه وشهد الغزوات كلها ما عدا غزوة بدر الموعود، فقد استخلفه النبي ﷺ على المدينة وبعثه بعد غزوة بدر مبشراً لأهل المدينة بانتصار المسلمين. وأمره رسول الله عليه الصلاة والسلام على سرية بعثها إلى خيبر ليفل جموع غطفان. كما عُين خليفة أمير في سرية مؤتة بعد أسامة

وجعفر بن أبي طالب. ولما استشهدا قبله أخذ راية المسلمين وأبلى
البلاء الحسن حتى لقي ربه وهو يضرب بسيفه في سبيل الله ورسوله.

هذا هو ابن رواحة في الجهاد ولكنه لم يكن مجاهداً فحسب بل
كان أيضاً من العباد ذو المجالس التي تتباهى بها ملائكة السماء، ومن
الذين شروا أنفسهم ابتغاء مرضاة الله تعالى.

فقد روي عن زيد بن أرقم وكان يتياً في حجر عبد الله أنه أردفه في
السرية التي استشهد فيها فسمعه يردد:

إذا دانيتني وحملت رحلي مسيرة أربع بعد الحساء
فشأنك فانعمي وخلاك ذم ولا أرجع إلى أهلي ورائي
وجاء المؤمنون وخلفوني بأرض الشام مشهور الثراء

فبكى زيد بن أرقم حين سمع مقالته، ولكن ابن رواحة انتهره
قائلاً إنه حريص على نيل الشهادة في سبيل الله وكان له ما أراد^(١).

ونعرف منه في هذه الحادثة صدقه ووفاءه لدينه كما نعلم منه أنه
من فحول شعراء الأنصار. وليس هذا ببدع من الأمر فإن أمه هي
كبشة بنت واقد بن عمرو بن الأطنابة الشاعر المشهور. وقد قال
معاوية إنه هم بالفرار عدة مرات يوم صفين ويمنعه قول ابن الأطنابة.

أبت لي عفتي وأبي إبائي وأخذي المجد بالثمن الريح
وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدي أو تستريحي
لا دفع عن مآثر صالحات وأحي بعد عن عرض صحيح

(١) الاصابة ج ٣ ص ٦٧.

وشعر ابن رواحة لا يقل عن شعر جده جودة وإحكاماً. فكان في
الجاهلية يناقض قيس بن الخطيم. وفي الإسلام كان ثالث الثلاثة
الشعراء المرموقين: حسان بن ثابت وكعب بن مالك وابن رواحة.
وسمعه رسول الله ﷺ يقول:

وفينا رسول الله يتلو كتابه إذا انشق معروف من الفجر ساطع
أرانا الهدى بعد العمى بقلوبنا به موقنات أنما قال واقع
يبنت يجافي جنبه عن فراشه إذا استثقلت بالمشركين المضاجع
فقال عليه الصلاة والسلام «إن أحاكم لا يقول الرفث». وكان النبي
ﷺ يستمع إلى أراجيزه ويردد بعضها ويقول له عليك بالمشركين.

فهو الذي كان يقود زمام ناقة النبي عليه الصلاة والسلام في
طوافه بالبيت. ويردد هذا الرجز:

خلوا بني الكفار عن سبيله خلوا فإن الخير مع رسوله
قد أنزل الرحمن في تنزيله نحن ضربناكم على تأويله
ضرباً يطيح الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله

واشتهرت أراجيزه في الخندق حيث يقول:

يا رب لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينه علينا وثبت الأقدم إن لاقينا
إن الكفار قد بغوا علينا وإن أرادوا فتنة أبينا

وكان النبي ﷺ يوم الخندق يردد بعض هذا الرجز. ويروي ابن
سعد أن النبي ﷺ ناداه وسأله كيف يقول العشر؟ ثم أنشد بين يديه:

يا هاشم الخير إن الله فضلكم على البرية فضلاً ماله غير
إني تفرست فيك الخير أعرفه فإسأله خالفتم في الذي نظروا

ولو سألت أو استنصرت بعضهم في جل أمرك ما آووا وما نصرُوا
فثبت الله ما آتاك من حسن تثبيت موسى ونصراً كالذي نصرُوا
وفرح النبي بشعره ودعا له بالتثبيت.

ويقول الشعراء إن من أحسن ما قال ابن رواحة في النبي ﷺ
قوله:

لو لم تكن فيه آيات مبينة كانت بديهة تنبيك بالخبر
هذا هو عبد الله بن رواحة الذي كان من المؤمنين السابقين
والمجاهدين. ومن فحول الشعراء ويقول إنه لما نزلت آية ﴿والشعراء
يتبعهم الغاؤون﴾ الآية قال ابن رواحة إن الله علم أني منهم فأنزل قوله
تعالى: ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً﴾ (١).

وكبشة أم عبد الله بن رواحة من نساء الأنصار اللواتي بايعن
رسول الله ﷺ وكذلك ابنتها عمرة بنت رواحة.
وعمرة من سراوات النساء وتعبق بالمسك أردانها
وعمرة هذه هي أم النعمان بن بشير بن سعيد الذي ستحدث
عنه فيما بعد.

(١) الاصابة ج ٣ ص ٦٧.

بنو ساعدة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج

دار بني ساعدة هي رابعة خير دور الأنصار، وكان سعد بن عبادة يتمنى أن يكون في المقدمة، مع أن رتبته كانت عالية. وقد قال النبي ﷺ «وفي كل دور الأنصار خير».

وفي هذه الدار نمر بادية ذي بدء بيت بني عبادة بن دُلَيْم بن حارثة. واشتهر هذا البيت في الجاهلية بأطم عبادة الذي كان ينادي فوقه المنادي: «من كان يريد الشحم واللحم فليأت أطم عبادة بن دُلَيْم» وأخذ سعد عن أبيه الكرم والشجاعة، فكان ينادي بنداء أبيه، واشتهر بالرماية فلقب بالكامل لما اتصف به من أحسن الأوصاف^(١).

ثم كان الإسلام ينبع نوره في مكة ويمتد هذا النور إلى المدينة فيضيئها، وكان سعد من الذين استناروا بهدي الإسلام في أول أمره. وقد حضر العقبة الأخيرة وكان من نقباء قومه. ولم يسلم من أذى قريش الذين جدوا في طلب المبايعين في العقبة الأخيرة ولم يدركوا منهم غير سعد بن عبادة، وأسر سعد وضرب بالأبطح، وجر بلمته على الحصباء ولكنه صبر على أذى المشركين حتى خلصه من أيديهم جبير بن

(١) الاستبصار ص ٦٣.

مطعم بن عدي . ويقول ابن هشام إن أول شعر قيل في الهجرة قول
 ضرار بن الخطاب بن مرداس أخي بني محارب بن فهر:
 تداركت سعداً عنوة فأخذته وكان شفاء لو تداركت منذراً
 ولو نلتها طلت هناك جراحه وكان حريماً أن يهان ويهدرا
 ولقد أجاب حسان بن ثابت هذا الشعر على عادته المألوفة .

لم يك سعد ممن شهد بدرًا وإن كان حريصاً على حضورها وقد
 كان قبلها بقليل يجمع قومه لينفروا مع رسول الله ﷺ، كما كان بوجه
 أن يشارك في أول معركة بين المسلمين ومشركي أهل مكة الذين
 أهانوه أمام الملا من قريش غير أنه نهش قبل خروج المسلمين فلم يسر
 معهم، وعرف رسول الله ﷺ صدقه وعذره وضرب به مثل كمثل من
 حضر هذه الواقعة الفاصلة^(١) .

وظل سعد بن عبادة بعد الإسلام متمسكاً بكرمه ونخوته فقد
 آلى على نفسه أن يبعث كل يوم إلى النبي ﷺ بجفنة اشتهر أمرها بين
 أهل المدينة حتى روي أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يقول
 لرسله إلى بعض مخطوباته «اذكروا لها جفنة سعد» . مع أن النبي عليه
 الصلاة والسلام لا يحتاج إلى مثل هذا الترغيب وإنما كان على خلق
 كريم .

وقد كان سعد يحب المجد والمال ويقول إنه لا مجد إلا بفعال ولا
 فعال إلا بمال . غير أنه لم يرده إلا لبيذله في سبيل مجده وفي سبيل
 الله^(٢) . فهو الذي تصدق بحائضه المعروف بالمخراق، وجعل في

(١) فقد روى أن رسول الله ﷺ قال لئن كان سعد لم يشهدا فقد كان عليها حريصاً .

(٢) الاصابة ج ٣ ص ٨٠ .

المسجد سقاية جارية تصدق بها عن أمه التي توفيت وهو غائب وقد صلى عليها النبي ﷺ بعد موتها بمدة.

وبعد أن التحق النبي عليه الصلاة والسلام بالرفيق الأعلى، اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة عند سيدهم سعد بن عباد، ولعلمهم كانوا يرغبون في مبايعته لولا أن وصل الخبر إلى أبي بكر وعمر وجماعة المهاجرين فبادروا إليهم في دار سعد فكانت فيها البيعة لأبي بكر رضوان الله عليه. وكان سعد يومئذ مريضاً ولم يحضر البيعة ولم ينعها. وقد أراد أبو بكر أن يحمله عليها كرهاً غير أن بشير بن سعد نصحه بتركه مخافة إثارة الفتنة بين المسلمين. وقبل أبو بكر هذه الخطة لأن سعداً لم يرد هو أيضاً من جانبه أن يشق عصا المسلمين وإن كان في نفسه ما فيها من هذا الأمر.

وفي خلافة عمر بن الخطاب ذهب سعد بن عباد إلى الشام ومات فجأة في مغتسله بحوران. ويقول بعض كتب السير إن أهل المدينة سمعوا هاتفاً من الجن يقول:

نحن قتلنا سيد الخزرج سعد بن عباد

ورميناه بسهمين فلم تحط فؤاده^(١)

فأخذ بعضهم من ذلك أن الجن قتلته وهو أمر لا تؤيده الرواية الصحيحة ولا يرضاه العقل، مات في خلافة عمر بن الخطاب وكل الناس يعرفون من هو عمر بن الخطاب، ولقد التقى سعد بن عباد بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب. وقال له عمر «أنا صاحب من أنت صاحبه» يذكره بالعهد الذي بينهما جميعاً مع رسول الله ﷺ، ثم قال:

(١) ابن سعد ج ٣ ص ٦١٧.

لك أن ترحل عن جوارنا إذا لم ترض عنه»، فذهب سعد بن عبادة إلى الشام. ووافته هناك المنون.

وآل سعد بن عبادة كلهم من خيار المسلمين وقد ذكرنا صلاة رسول الله ﷺ على أمه عمرة بنت مسعود النجارية، وتعرف بعمرة الثالثة.

ومن المبايعات أختاه مندوس بنت عبادة وليلى وهذه الأخيرة هي أم السائب بن خلاد، وزوجته فكيهة بنت عبيد بن دليم وهي أم قيس بن سعد بن عبادة، وغزية بنت خليفة وهي أم سعيد بن سعد بن عبادة. وهؤلاء الأربع هن من بني ساعدة. وابنه سعيد من حملة الحديث الثقات وقد أدرك النبي عليه الصلاة والسلام وكانت عنده بثينة بنت أبي الدرداء.

ولبني ساعدة نقيب ثان هو المنذر بن عمرو بن خميس بن لوزان وهو الذي يعني ضرار بن الخطاب بقوله:
«وكان شفائي لو تداركت منذراً».

وإذا كان منذر هذا أعتق لينجو من قريش بعد العقبة الأخيرة، فإنه أيضاً «أعتق ليموت يوم بئر معونة. فهو الذي كان أميراً على المسلمين في هذه السرية، واشتهر أمره فيها وقد ذكرت تفاصيل هذه الحادثة في معرض الكلام عن حرام بن ملحان النجاري^(١).

وقد شهد المنذر بدمراً وأحداً، وكان من أكابر الشهداء.

ومن اللواتي بايعن النبي ﷺ أخته سلمى بنت عمرو بن خنيس وأختها مندوس أم مسلمة بن مخلد.

(١) ابن هشام عند الحديث عن حادث بئر معونة جـ ٣ ص ١٨٤.

ومن بني لوزان بن عبدود بن يزيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة، سماك بن خرشة بن لوزان ذو العصابة الحمراء، كان يجعلها على جبينه أثناء المعركة ليعرفه الناس وليتعرف الناس على شجاعته ونجدته. وقد شهد سماك بدمراً وأبلى أحسن البلاء واشتهرت بطولته يوم أحد حين أخذ سيف رسول الله ﷺ بحقه، وباعه على الموت، وذهب يجر ثيابه مختالاً إلى الوطيس. ويقال إن بعض الحاضرين نفس عليه إيثاره بسيف رسول الله ﷺ، ومن الناس من قال إن مشيته لا ترضي ربه، غير أن الرسول ﷺ دافع عن حماه وقال «إلا في هذا اليوم». وعرف المسلمون أن ذا العصابة يعرف كيف يختال وكيف يفل جموع المشركين بضربه الصادق المتين. فكان يقاتل ويرتجز:

أنا الذي عاهدني خليلي ونحن بالسفح لدى النخيل
أن لا أكون آخر الأفلول^(١) اضرب بسيف الله والرسول^(٢)

ويروى أن علي بن أبي طالب أعطى سيفه لفاطمة وقال لها خذي هذا السيف غير ذميم. فقال له رسول الله ﷺ إن كنت قد أحسنت فقد أسنه الحارث بن الصمة وأبو دجاجة.

وأبو دجاجة هو سماك بن خرشة وقد اشتهر بكنيته هذه مثل ما اشتهر بشجاعته، وقد مات شهيداً يوم اليمامة متهللاً وجهه عند الموت، يقول إن رجاءه من الله عظيم لأن قلبه كان مخلصاً لله وللمسلمين ولأنه لم يكن يخوض فيما لا يعنيه.

(١) الأفلول : آخر الصفوف.

(٢) ابن هشام ج ٣ ص ١٣.

آل الربيع

وبعد آل رواحة نأتي بيت بني الربيع بن عمرو بن أبي زهير بن مالك الأغر. ومن هذا البيت سعد بن الربيع. وهو أحد النقباء الاثني عشر. شهد بدرًا وأحدًا مع رسول الله ﷺ. وعرف سعد بن الربيع بالكرم والشجاعة والإخلاص. وهو الذي آخى النبي ﷺ بينه وبين عبد الرحمن بن عوف. ودعاه سعد إلى منزله وأكرمه ثم أراد أن يشاطره كل ما يملك حتى إنه قال إن لي امرأتين فانظر أيهما أعجبتك أتركها لك. وعف عبد الرحمن عن المال وعن نساء سعد وطلب منه أن يدلّه على السوق. ففعل وربحت تجارة عبد الرحمن^(١).

ولقد استشهد سعد بن الربيع يوم أحد ويقول ابن سعد إن النبي ﷺ قال: «رأيت سعداً يوم أحد وقد شرع فيه اثنا عشر سناناً. ولما فقده النبي ﷺ قال من يأتيني بخبر سعد؟ فقال أبو بن كعب أنا يا رسول الله، ثم ذهب يطوف بين القتلى حتى وجده وقد أنفذت مقاتله ولكنه لم يزل حياً فسأل عن الخبر فأبلغه أبي أن رسول الله ﷺ يسأل عنه فقال له اذهب فأقرئه مني السلام وقل إني طعنت اثنتي عشرة طعنة وأن قد أنفذت مقاتلي وأخبر قومك أنه لا عذر لهم عند الله إن قتل رسول الله وواحد منهم حي. ودفن سعد بن الربيع مع ابن عمه خارجة ابن زيد بن أبي زهير^(٢). وأم سعد بن الربيع من المبايعات وهي هذيلة بنت عمرو بن خريج بن عامر. ومن المبايعات كذلك أخته حبة بنت الربيع زوج أبي الدرداء وابنته جميلة. وروى ابن سعد عن

(١) ابن سعد ج ٣ ص ٥٢٣.

(٢) ابن سعد وابن هشام.

جابر بن عبد الله أن آية الميراث قد نزلت في شأن ابنته ولم تشتهر منهم غير جميلة أم خارجة بن زيد بن ثابت الذي هو أحد الفقهاء السبعة.

آل زيد بن أبي زهير:

وهذا البيت قريب من بيت آل الربيع. وهم أبناء عمومة إذ يجمعهم في النسب أبو زهير بن مالك الأغر. ونجد في هذا البيت خارجة بن زيد وحياته أشبه بكثير حياة ربيبه سعد بن الربيع. فكلاهما شهدا العقبة وبدراً واستشهد يوم أحد بعدما أبلى البلاء الحسن وتلقى عشرات الطعنات وكلاهما كان كريماً أياً مخلصاً لله ولرسوله.

وكان النبي ﷺ آخى بين خارجة بن زيد وصاحبه أبي بكر الصديق. وتزوج الصديق ابنته حبيبة ابنة خارجة وكانت لها أم كلثوم. وحبيبة وأخوها زيد بن خارجة أمهما جذيلة بنت عمرو التي ذكرنا أنها أم سعد بن الربيع. فالثلاثة إخوة لأم.

وزيد بن خارجة هو الذي سمع منه الكلام بعد موته^(١) وذلك في خلافة عثمان بن عفان^(٢).

آل بشير بن سعد بن خلاس بن زيد بن مالك الأغر:

وقد كان بشير من السابقين الأولين في الإسلام حضر المعقبة وشهد بدرأً وجميع المشاهد مع رسول الله ﷺ وقد أمره النبي عليه

(١) وقيل إن زيدا أغمي عليه قبل موته فظنوه ميتاً فسجوا عليه ثوبه ثم راجعته

نفسه فتكلم بكلام حفظه عنه أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ثم مات (أسد الغابة)

(٢) الاستبصار في بيت الصحابة من الأنصار.

الصلاة والسلام على سريتين أولاهما نحو بني مرة بفدك وقتلهم قتالاً شديداً حتى ظن به الموت. والثانية في ثلاثمائة رجل عام سبع في الهجرة. وتوجه إلى جموع غطفان فظفر بهم وقل جمعهم. كما كان أمير السلاح في عمرة القضاء. وواصل بشير جهاده مع المسلمين حتى استشهد في موقعة عين التمر وهو يقاتل تحت راية خالد بن الوليد^(١).
وشهد بدرأً كذلك أخوه سماك بن سعد.

ولبشير من العقب ابنه النعمان وابنته أبية وهي من المبايعات وأمهما عمرة بنت رواحة، وقد سبق ذكرها في آل رواحة.

أما ابنه النعمان فكان من مشاهير الصحابة العلماء وحملته الحديث. فهو الذي روى عنه البخاري حديثه المشهور «الخلال بين الحرام وبين» الحديث. ولعله الأنصاري الوحيد الذي انحاز إلى معاوية في المشاجرة بينه وبين علي، وقد أعطاه معاوية ولاية الكوفة وقال أهل الكوفة إنهم لم يروا خطيباً مثله.

ولكنه في آخر حياته لم يرض عن معاملة معاوية لقومه. فحين وقع التهاجي بين عبد الرحمن بن الحكم مع عبد الرحمن بن حسان. وأقذع هذا الأخير في هجاء بني أمية طلب يزيد بن معاوية من الأخطل أن يهجو الأنصار ففعل. وقال قبحه الله:

ذهبت قريش بالمكارم كلها واللؤم تحت عمائم الأنصار
فذهب النعمان بن بشير إلى معاوية وحسر عمامته قائلاً، «هلى ترى تحت هذه العمامة من لؤم؟» فقال معاوية لا أرى إلا كرمًا. وذكر

(١) ابن سعد ج ٣ ص ٥٣٢.

النعمان لمعاوية ما قاله عبد الأرقام الذي هجا الأنصار ضلة. ثم قال له إنه لن يرضى إلا بقطع لسانه وإن قومه لن ترضيهم الدراهم في هذه الحادثة. وأظهر معاوية رضاه وتقبله لما طلب منه مناصرة الأنصاري، غير أن حيل يزيد بن معاوية حالت دون إنجاز وعد الخليفة، وبقي للأخطل لسانه الذلق يمدح به بني أمية ويناقض الشعراء

ولما مات معاوية دعا النعمان لابن الزبير وقتل (بيد) الضحاك بن قيس في موقعة مرج راهط.

ولعل بنات النعمان أشهر من بنيه وله بنون ومن بناته هند التي كانت تقول وهي عند روح بن زنباع.

وما هند إلا مهرة عربية سليمة أفراس تحللها بغل فإن أنجبت مهراً عريقاً فبالخرى وإن يك أقراف فما أنجب الفحل ولما قتل مصعب بن الزبير زوجة المختار بن أبي عبيد وهي إحدى بنات النعمان بن بشير قال فيها عمر بن أبي ربيعة المخزومي.

إن من أعظم الكبائر عندي قتل حسناء غادة عيطبول
قتلت باطلاً على غير ذنب إن لله درها من قتييل
كتب القتل والقتال علينا وعلى الغايات جر الذبول

ومن أولاد النعمان بن بشير يزيد وإبراهيم. وهذا الأخير هو الذي زوج ابنته من يحيى بن أبي حفصة جد مروان الشاعر ومولى عثمان بن عفان لأنه بذل له عشرين ألف درهم. وقد ضح قومه بما صنع وعابوه بالنثر والشعر. ومما قالوا له:

لعمري لقد حللت نفسك خزية وخالفت فعل الأكثرين الأكارم

ولو كان جدّك اللذان تتابعا بيدرا لما راما صنيع الألائم
 واعتذر إبراهيم بن النعمان اعتذار من استولى الطمع على نفسه فقال:
 وما تُرکت عشرون ألفاً لقائل مقالاً فلا تحفل ملامة لائم
 وإن كنت قد زوجت كحولى فقد أتت به سنة قبلي وحب الدراهم
 وإن كانت هذه الرواية صحيحة. وقد رواها ابن عبد ربه في العقد
 فإنها تدل على الفرق الشاسع بين إبراهيم ووالده النعمان بن بشير.
 وقد عرفنا نخوته وإبائه واعتزازه بنفسه فلقد خالف قومه من الأنصار
 وانضم إلى شيعة معاوية للصدافة التي بينهما بيد أنه لما استبىح حمى
 قومه الأباة، حسر عمامته أمام معاوية وملاً أذنيه بالحق. وها هي
 أبياته التي هدد بها الخليفة الأموي. وأعرب له فيها عن نخوته
 وانتصاره لذويه واحتقاره للدراهم التي أحبها ابنه إبراهيم:

معاوي ألا تعطنا الحق تغترق لحي الأسد مشدوداً عليها العمائم
 أيشتمنا عبد الأراقم ضلة وهذا الذي تجدى عليك الأراقم
 فمالي ثار دون قطع لسانه فدونك من ترضيه عنك الدراهم

بيت بني خدرية: واسمه الأبحر بن عوف بن الحارث

من أهل هذا البيت عبد الله بن الربيع بين قيس بن عامر بن
 عباد بن الأبحر. وهو من الذين سبق إسلامهم. فإنه قد حضر العقبة
 الأخيرة وشهد بدرأً وأحدأً. ومنهم مالك بن سنان بن عبيد بن
 ثعلبة بن الأبحر. قتل يوم أحد شهيداً ولما أصيب النبي عليه الصلاة
 والسلام استقبله مالك بن سنان فمص دمه وازدرده، وقد روي عن
 موسى بن محمد الأنصاري عن أمه أم سعد بنت مسعود بن حمزة ابن

أبي سعيد أنها سمعت أم عبد الرحمن بنت أبي سعيد تحدث عن أبيها أن رسول الله ﷺ قال من أراد أن ينظر إلى من خالط دمه دمي فلينظر إلى مالك بن سنان .

واشتهر من أبناء مالك الفريعة وهي من نساء الأنصار اللواتي بايعن النبي ﷺ . وقد روت عنه حديثاً مشهوراً في إقامة المعتدة . فقد روت أنها جاءت وأخبرته بأن زوجها قد قتل وأنها تريد أن تنتقل إلى أهلها . فأذن لها أولاً ثم لما أرادت الانصراف أمرها أن تعيد حديثها لكنها لما أكملته أمرها أن تقيم في بيت زوجها حتى يبلغ الكتاب أجله . وقضى عثمان بن عفان بمقتضى ما روته الفريعة .

ولمالك بن سنان ابن من أفاضل الصحابة وعلمائهم وهو سعد بن مالك المشهور بأبي سعيد الخدري . وكان من الذين استصغروا يوم أحد لأنه لم يبلغ الخامسة عشر آنذاك . ولما استشهد أبوه يوم أحد أتى النبي ﷺ لأن أباه لم يترك شيئاً . فواساه الرسول ﷺ ونصحه وقال له من يستغن يغنه الله . ومن يستعفف يعفه الله ومن يتصبر يصبره الله . ورضى أبو سعيد بهذه النصيحة الخالدة . وبايع رسول الله على أن لا تأخذه في الله لومة لائم .

وهو من الذين حملوا عن النبي ﷺ العلم والحديث وروى حديث « لا يمنعن أحدكم مخافة الناس أن يتكلم بالحق إذا رآه أو علمه » ويقول أبو سعيد إن ذلك حمله إلى معاوية فملاً أذنيه بالحق ثم رجع .

وبقي أبو سعيد الخدري في المدينة ، وامتدت به الأيام وحدث عن النبي ﷺ كثيراً من الأحاديث . وروى عنه ثقات الرواة . وقد

سلم من بطش أهل الحرة بالمدينة لما عرفوه مهابة لشيخوخته وعلمه .
وقد خلف عدة أولاد منهم عبد الرحمن بن أبي سعيد وهو كثير
الحديث غير أن أهل الحديث استضعفوه فلم يعتبروا جل ما روى عن
أبيه . ولعبد الرحمن إخوة منهم حمزة بن أبي سعيد .

ومن نساء بني خدرة المبايعات للنبي ﷺ سعاد بنت رافع بن
معاوية بن عبيد بن خدرة وهي أم أسعد بن زرارة، وكذلك أختها
كبشة التي هي أم سعد بن معاذ .

ومن دار بني الحارث بن الخزرج عويمر بن زيد المعروف بأبي
الدرداء سبق إسلامه وإن كان من آخر قومه إسلاماً . ولما رأى ابن
خالته عبد الله بن رواحة أنه لم يبادر إلى الإسلام والتخلي عن
الأصنام، وافاه وكسر أصنامهم وصار يخاطبه بقوله :

تبرأ من أسماء الشياطين كلها أأكل ما يرعى مع الله باطل
فأسلم أبو الدرداء وحسن إسلامه . ولعله لم يرض عن تأخره في
الركب فأراد أن يجد السير في دينه الجديد فانقطع عن تجارته، وتخلي
عن كل ما كان يشينه من متاع الحياة وانقطع للعبادة .

وكان صديقه وأخوه سلمان الفارسي ينصحه في إعراضه عن
الدنيا بقوله : إن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً .

وكان أبو الدرداء من الذين يحدثون عن النبي ﷺ ويتحرج من
أن لا ينطق باللفظ الذي صدر عن النبي عليه الصلاة والسلام فكان
يقول إذا حدث بالحديث إن لم يكن هكذا فشيءه .

ولعله كان مؤذناً لأهل الشام ثم انتقل إلى القضاء فقدرروي عنه

قوله لما عين قاضياً في دمشق «إن القاضي على مهواه منزلتها أبعد من عدن أبين. ولو علم الناس ما في القضاء لابتعدوا عنه ولو علموا ما في الأذان لرغبوا فيه».

وأبو الدرداء كان أيضاً كما ذكرنا من أهل العبادة وأهل الزهد. ولقد كان يقول: تفكر ساعة خير من قيام ليلة، ويقول أحب الفقر تواضعاً لربي، وأحب الموت اشتياقاً إلى ربي، وأحب المرض تكفيراً لخطيئتي.

غير أن العبادة المتواصلة والتفكير والاعتبار، جميع ذلك لم يمنع أبا الدرداء من أن يكون من فرسان الجهاد. فقد روى ابن سعد أنه أثار إعجاب رسول الله ﷺ يوم قال: «نعم الفارس عويمر غير أفه» (أي غير ثقل). وقد ظل أبو الدرداء خفيفاً إلى الجهاد ثقيلاً على أعداء الإسلام وشارك في فتوح الشام تحت إمرة يزيد بن أبي سفيان ثم استوطن دمشق وصار فيها قاضياً بين المسلمين حتى توفي سنة إحدى وثلاثين^(١).

قبل أن نهى الكلام عن الحارث بن الخزرج نقف عند خبيب بن يساف الذي عرف بنجدته وشجاعته وقد أراد أن يشارك مع المسلمين في بدر الكبرى من قبل أن يسلم غير أن النبي ﷺ قال له فيما رواه ابن سعد عن خبيب بن عبد الرحمن بن خبيب إننا لا نستعين بالمشركين على المشركين.

ولكن الله أراد الخير بخبيب فأسلم والتحق بجيش المسلمين

(١) راجع الاستبصار ص ١٢٥.

وقاتل معهم فكان من أهل بدر الذين فازوا بالمغفرة والرضوان .

ويروى عن خبيب هذا أنه قال : « فقاتلت رجلاً فضربني ضربة ثم تزوجت ابنته بعد مقتله فكانت تقول لي لا عدمت رجلاً وشحك هذا الوشاح فأقول لها لا عدمت رجلاً عجل أباك إلى النار^(١) .

ولم نعرف من أولاده من كانت أمه من بنات مشركي قريش . فابنه عبد الرحمن من أم ولد . وهو أبو خبيب الذي كان من ثقات أهل الحديث وله ابن آخر اسمه أبو كثير وأمّه جميلة بنت عبد الله بن أبي بن سلول .

أما ابنته أنيسة فأمها زينب بنت قيس بن شماس ولعل خير من نختم به الكلام عن بني الحارث بن الخزرج هو عبد الله بن زيد بن عبد ربه بن زيد بن الحارث وهو من الذين شهدوا العقبة وبدراً وجميع المشاهد مع رسول الله ﷺ .

وهو الذي أرى الأذان في المنام فقص رؤياه على رسول الله ﷺ فأقرها وصارت سنة المسلمين .

آل قيس بن شماس

وشماس هو ابن زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك الأغر . وأول من تكلم عنه من أهل هذا البيت ، هو ثابت بن قيس صاحب رسول الله ﷺ وخطيبه في المحافل . ونريد أن ننبه إلى أن في الأنصار رجلين كلاهما اسمه ثابت بن قيس وكلاهما كان من أخصيار الصحابة . وأحدهما ابن قيس بن الخطيم أبوه كان شاعراً مشهوراً .

(١) ابن سعد ج ٣ ص ٥٣٥ .

وهو كان من القلة الذين ثبتوا مع النبي ﷺ يوم أحد وكان يقاتل بين يديه حاسراً لا ترس له وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يقول له أقبل يا حاسر وأدبر يا حاسر وثابت هذا شهد جميع المشاهد مع النبي ﷺ واستعمله علي بن أبي طالب على المدائن .

أما ثابت بن قيس بن شماس فهو الذي نعني هنا . فهو الذي خطب أمام رسول الله ﷺ يوم مقدمه المدينة قائلاً : إنا نمنعك مما نمنع منه أنفسنا وأولادنا . واشتهرت أيضاً خطبته أمام وفد بني تميم التي قال فيها :

الحمد لله الذي خلق السموات والأرض خلقه . قضى فيهن أمره . ووسع كرسيه علمه ، ولم يك شيء قط إلا من فضله . ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكاً . واصطفى من خير خلقه رسولاً ، أكرمه نسباً وأصدقه حديثاً ، وأفضله حساباً . فأنزل الله عليه كتابه واثمنه على خلقه فكان خيرة الله من العالمين ثم دعا الناس إلى الإيمان فآمن برسول الله المهاجرون من قومه وذوي رحمه . أكرم الناس حساباً وأحسن الناس وجوهاً وخير الناس فعلاً . ثم كان أول الخلق إجابة نحن أنصار الله ووزراء رسوله نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله ، فمن آمن بالله ورسوله منع ماله ودمه ، ومن كفرناجزناه في الله أبداً وكان قتله علينا يسيراً .

أقول هذا وأستغفر الله لي وللمؤمنين والمؤمنات .

هذه إحدى خطب ثابت بن قيس التي كان ينصر بها دينه ورسوله ويروى أنه لما نزل قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ﴾ . حزن ثابت بن قيس

ولازم بيته ولما كلمه قومه في ذلك قال إني قد هلكت فلقد كنت أرفع صوتي بين يدي رسول الله ﷺ وأجهرله كما أجهر لكم. ولما علم النبي عليه الصلاة والسلام بعث إليه أن يأتيه وبشره بالجنة وبأن الله لن يجبط ماله من عمل وفضل^(١).

ومكث ثابت بعد النبي ﷺ حتى يوم اليمامة، فكان من الذين بذلوا أنفسهم وحياتهم في سبيل إعلاء كلمة الحق، حتى رزق الشهادة. وقد نفذ أبو بكر الصديق وصيته التي أوصى بها بعد شهادته، حيث إنه رآه أحد المسلمين في المنام فذكر له ما عليه من دين يجب أن يقضى عنه وأخبره بمن أخذ درعه التي كانت عليه في المعركة^(٢).

أما أم قيس بنت ثابت فقد سبق ذكرها في النساء المبايعات لأنها أيضاً أم عبد الله بن رواحة كبشة بنت واقد بن عمرو بن الأطنابة ومن المبايعات كذلك أخواته عمرة بنت رواحة، وزينب بنت قيس وأختها أم ثابت.

وفي كل دور الأنصار خير

«وفي كل دور الأنصار خير». هذه هي تكملة الحديث الذي كان كله ثناء وتنويهاً بالأنصار. لقد كانت هذه الجملة الأخيرة عبارة شاملة عن تقدير شامل، ولم يفت رواة الحديث أن يذكروا أن الرسول حينها فاه بهذه العبارة الأخيرة، أمسك أصابعه ورمى بها، ليؤكد بيده ما قاله

(١) الاستبصار ص ١١٨.

(٢) الاستبصار.

بلسانه. هذا ما قاله الرسول وصدق رسول الله. ففي كل دور الأنصار خير.

ولقد تحدثنا بشيء من التفصيل عن الدور التي ذكرها رسول الله بالتفصيل والترتيب وستحدث بإيجاز وإجمال عن الذي أثنى بالخير إجمالاً.

وما دمننا في دور الخزرج، فنذكر من بني عمرو بن الخزرج، بيت بني سالم، ومن أهل هذا البيت عتبان بن مالك الذي كان النبي يزور داره، ويجلس عنده على حصير قد اسود من طول ما لبث، ويلتمس عتبان من النبي الكريم أن لا يغادر بيته حتى يصلي فيه، ويستجيب الرسول لطلب عتبان، ويرش حصيره المسود^(١) بالماء ويصلي عليه ويدعو لأهل عتبان بالخير والبركة.

ونذكر من بني سالم بن عمرو بن عوف أنصارياً ثاني اثنين فريدين من نوعهما وهما العباس بن عباد بن نضلة لقد كان العباس هذا من المهاجرين والأنصار. ولقد هاجر إلى مكة حين أسلم، وعاد إلى المدينة فجمع بين حسنات الهجرة وحسنات نصره الرسول.

ومن بني عنز بن عوف بن عمرو بن عوف، وعنز هو المشهور بقوفل.

ويكفي هذا البيت فخراً أن منهم عبادة بن الصامت، وهو من

المعروف عنها أنها وقعت في بيت أم سليم بنت ملحان زوج أبي طلحة فهي التي كان يقبل عندها وعند أختها أم حرام وينام عندهما (كما ورد في شرح زاد المسلم) عند قوله يا أبا عمير ما فعل النغير؟ أما صلته في بيت عتبان بن مالك فهي واردة لكنه طلب أن يصلي في محل من بيته ليتخذ مصل ففعل.

النقباء الذين أشار إليهم جبريل في العقبة، وارتضاهم الرسول، ورضي بهم قومهم.

وإذا ما مررنا على بني سالم بن غنم بن عوف (وهو المشهور بالحلي). فإننا سوف نعبر عما نكنه من تقدير وإجلال، لموقف صحابي جليل من هذا البيت، هذا الصحابي هو عبد الله بن عبد الله بن أبي. لقد كان والده رأس المنافقين في المدينة، وكان لا يدع فرصة تمر إلا وحاول أن يمس الرسول بسوء.

لقد كانت مواقف ابن أبي المنافق معروفة، غير أن ابنه لم يتبرأ منه فحسب، وإنما قال للرسول: «دعني أضرب عنقه» ويعرف صدق عبد الله بن عبد الله بن أبي وإخلاصه، فيزداد إعجابه وإشفاقه عليه، وتبلغ به الرأفة، أن يصلي على والده بعد موته، وينزل الوحي بأمر من الله إلى الرسول أن لا يصلي على أحد من المنافقين أبداً. كل هذه المواقف تخبرنا بما يكنه الرسول لعبد الله بن عبد الله بن أبي. الذي ارتضاه الأنصار، أن ينزل في^(١) قبر الرسول عليه الصلاة والسلام. وهي ميزة تدل على ما له من فضل وخير. من هذا البيت يزيد بن وداعة، ورفاعة بن عمرو وهما من رجال العقبة وأبطال بدر الكبرى.

ثم ننتقل إلى بيتين متجاورين في ظل العز والكرامة. وهما بيت بني بياضة لنشير إلى أن من بينهم زياد بن لبيد وفروة ابن عمه. وهما أهل سابقة في النصر والإسلام، ومنهم النعمان بن دخيلة الذي حمل

(١) هذه الخصلة لم أفق عليها والذي كان معي أن الذي نزل في قبر النبي ﷺ غيره... تأمل.

راية المسلمين يوم أحد. . أما إخوانهم من بني زريق، فقد اشتهروا بمسجدهم الذي كان خاصاً بهم في المدينة. كما اشتهروا برجال من علية الصحابة، منهم أبو رافع بن زيد الذي قيل إنه أول من أسلم من الأنصار، وذكروا أن منهم ابن عبد قيس الذي بايع في العقبة، وشهد بدرًا واستشهد في أحد.

وإذا مررنا ببيوت بني سلمة، فإننا لن نرى إلا خيراً وكرماً وشجاعة. كان الرسول يحب أهل هذا البيت، ويأمرهم أن لا يتوانوا عن الصلاة في مسجده ولو كان بعيداً منهم، ويقول لهم أن احتسبوا بخطاكم. وكان بنو سلمة حريصين على امتثال نصائح الرسول. وليس بغريب عليهم، ذلك إذا عرفنا أن من بينهم ثابت بن الجذع وعيس بن عامش وهما من الذين بايعوا في العقبة، وجاهدوا في بدر. وأن منهم نقيبين عبد الله بن حرام، وهو من شهداء أحد. ولقد حمد الرسول صحبته وحفظ عهده وعطف على ابنه جابر فبارك الله له في حائظه بسبب دعوته حتى قضى ديون والده دون أن ينقص من بيادره شيء واشترى منه بغيره بثمان مبيع ومازحه في معرض الحديث عن زواجه، وكان جابر من علماء الصحابة الذين نشروا حديث الرسول وتعاليمه.

أما النقيب الثاني فهو البراء بن معرور، ولقد أشبهه عبد الله بن حرام في موته وحياته، مثل ما أشبه ابنه بشر جابر بن عبد الله. إن بشراً كان من المقربين من الرسول، ومن ملازميه في الحضر والسفر. وتشاء الأقدار أن يأكل معه من الشاة المسمومة في خيبر. ويموت بشر شهيداً ولم تزل أكلة خيبر تعتاد رسول الله حتى قطعت منه أبهره.

ومن هذا البيت أحد فرسان رسول الله المعروفين بالشجاعة والشهامة، وهو أبو قتادة بن ربعي، الذي أسلم عن حب وإيمان، وجاهد بقوة وإخلاص.

ونختم القول عن بني سلمة بذكر أبناء عفرأ وهما معاذ ومعوذ ابنا عمرو بن الجموح اللذان عرفناهما في بدر يتوقدان حماساً لنصرة الإسلام، واستماتة في القضاء على أعداء الإسلام. وكان لهما ما أرادا حيث أنهما استطاعا أن يكفيا المسلمين شر أبي جهل وكيدته.

ثم نعود إلى قباء بين ديار بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، لنرى ما فيها من فضل وخير. نبدأ بدار كلثوم بن الهدم التي نزل فيها النبي عليه السلام، ونقف في ديار بني ضبيعة، تكريماً لحمى الدبر عاصم بن ثالث بن أبي الأفلح. إن عاصماً أهل لهذه الكرامة لقد عرف المسلمون جهاده وبطولته يوم أحد. حينما كان سيفه يورد المشركين حياض الموت وكلما سقط أحد من الكفار تحت حده يقول: خذها وأنا ابن أبي الأفلح.

كان عاصم في سرية الرجيع مع رفاقه. واستعصم من المشركين بسيفه حياً، ولما مات وحاول أعداؤه التمثيل به هاجمهم النحل من دونه فلم يستطيعوا إليه سبيلاً. ومن أهل هذا البيت حنظلة الغسيل. وهو الذي استشهد وهو جنب ورأى الرسول الملائكة تغسله وتطهره. وكان أبناؤه سادة مشهورين واجتهدوا^(١) في الدفاع عن حوزة مدينة الرسول يوم الحرة حينما انتهكت جيوش يزيد بن معاوية حرمة طيبة.

(١) يعني عبد الله بن حنظلة الغسيل أمير الأنصار يوم الحرة.

ومن بني أمية بن مالك بن عوف أبو لبابة بن عبد المنذر. الذي اعترف بذنبه في حق الرسول حينما أشار إلى اليهود أن النبي سيوقع بهم، وندم أبو لبابة على ما ارتكب وربط نفسه في سارية من مسجد الرسول لا تزال تحمل اسمه إلى اليوم. وبقي في محبسه حتى تاب الله عليه وعفا عنه، والله عفو غفور.

ومن بني ثعلبة بن عمرو بن عوف. عبد الله بن جبير أمير الرماة يوم أحد، وأخوه خوات صاحب ذات النخيين، وعمهما الحارث بن النعمان من شهداء أحد. ولندكر من بني حنشل بن عوف بن عمرو بن عوف ابني حنيف سهل وعثمان ومواقفهما الحميدة في صدر الإسلام، وما قاما به من نصرة الرسول ونصرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

هؤلاء هم الأنصار - بيوت العز والشرف، وعيبة الرسول وكرشه - .

لقد قال الرسول عنهم: الأنصار شعار والناس دثار. أجل، إنهم القوم الأولى^(١)، بايعوا على قتال الأحمر والأبيض لتكون كلمة الله هي العليا. وهم الأولى وفوا بما عاهدوا عليه الله وما بدلوا تبديلاً، آووا الرسول وعزروه ونصروه ودخلوا في الإسلام مخلصين وجاهدوا في سبيله شجعاناً مستميتين.

واستقبلوا المهاجرين بحب وترحاب، وآثروا على أنفسهم، وشاطروهم دورهم وأموالهم وظلوا مثاليين في الكرم والوفاء وعرف لهم الرسول عليه الصلاة والسلام، ما أسدوه من مال وأنفس. وعرف أنهم سيعودون قليلاً (والكرام قليل) وسيكثر غيرهم.

(١) الأولى) اسم موصول بمعنى (الذين).

وأن الناس سيتناولون عليهم، فكان آخر خطبة خطبها في المسجد، في مرضه الذي توفي به تدور حول مستقبل الأنصار، لقد عصب رأسه بعصاة حمراء، ليخفف عنه آلام الصداع، وليتحدث إلى المسلمين لآخر مرة، وليقول لهم: إنه يوصي المسلمين بالأنصار، مشيراً بذلك إلى أمتة أن تحفظ للأنصار حقوقهم، ولتعرف فضلهم ومكانتهم. وأكد أنه لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، وأن آية الإيمان حب الأنصار. ثم دعا ربه مبتهلاً: اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار.

الفهرس

| | |
|----|-----------------------|
| ٥ | مقدمة الناشر |
| ٩ | تقريظ |
| ١١ | المقدمة |
| ٢١ | في بيوت النبي |
| ٢١ | في بيت خديجة |
| ٢٦ | في بيت سودة |
| ٢٨ | في بيت عائشة |
| ٤٠ | في بيت حفصة |
| ٤٣ | في بيت أم سلمة |
| ٤٧ | في بيت زينب بنت جحش |
| ٥٠ | في بيت أم حبيبة |
| ٥٢ | في بيت زينب بنت خزيمة |
| ٥٣ | في بيت جويرة |
| ٥٦ | في بيت صفية بنت حيي |
| ٦١ | في بيت ميمونة |
| ٦٥ | المهاجرون الأولون |
| ٦٧ | بنو هاشم وبنو المطلب |

| | |
|-----|-------------------------------------|
| ٦٨ | علي بن أبي طالب |
| ٧٣ | حمزة بن عبد المطلب |
| ٧٦ | جعفر بن أبي طالب |
| ٧٩ | العباس بن عبد المطلب خاتم المهاجرين |
| ٨٤ | مهاجرو بني تيم بن مرة |
| ٨٤ | أبو بكر بن قحافة |
| ٩٠ | طلحة بن عبيد الله |
| ٩٣ | الحرث بن خالد بن صخر بن عامر |
| ٩٥ | بنو عدي |
| ٩٦ | عمر بن الخطاب وسعيد بن زيد |
| ١٠٣ | المهاجرون من بني عبد شمس وبني نوفل |
| ١٠٤ | عثمان بن عفان |
| ١٠٨ | أبو حذيفة |
| ١١١ | المهاجرون الأولون من بني زهرة |
| ١١١ | عبد الرحمن بن عوف |
| ١١٤ | سعد بن أبي وقاص |
| ١١٦ | عبد الله بن مسعود |
| ١١٩ | المهاجرون من بني أسد بن عبد العزى |
| ١١٩ | الزبير بن العوام |
| ١٢٣ | بنو عبد الدار |
| ١٢٦ | المهاجرون من بني مخزوم |
| ١٢٧ | الأرقم بن أبي الأرقم |
| ١٣٠ | المهاجرون من بني جمح |

| | |
|-----|--------------------------------------|
| ١٣٣ | المهاجرون من بني سهم بن عمرو بن هصيص |
| ١٣٥ | المهاجرون الأولون من بني عامر بن لؤي |
| ١٣٧ | المهاجرون من بني الحارث بن قصي |
| ١٤٠ | خاتمة في مدلول الهجرة |
| ١٤٣ | دور الأنصار |
| ١٤٩ | مجد الأنصار |
| ١٥٤ | بنو النجار |
| ١٥٤ | بنو غنم بن مالك بن النجار |
| ١٥٨ | بنو عمرو بن مالك بن النجار |
| ١٦٣ | بنو عامر بن مالك بن النجار |
| ١٦٤ | بنو عدي بن النجار |
| ١٧١ | بيت بني مازن بن النجار |
| ١٧٤ | بنو دينار بن النجار |
| ١٧٥ | بنو عبد الأشهل |
| ١٨٤ | آل رواحة |
| ١٨٤ | بنو الحرث بن الخزرج |
| ١٨٨ | بنو ساعدة بن كعب بن الخزرج |
| ١٩٣ | آل الربيع |
| ١٩٤ | آل زيد بن أبي زهير |
| ١٩٤ | آل بشير بن سعد بن خلاس |
| ٢٠١ | آل قيس بن شماس |
| ٢٠٤ | وفي كل دور الأنصار خير |